وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ القديم

الدور الحضاري للبطالمة في مصر

(الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي نموذجا)

من إعداد الطالب:
أبوبكر مريقي

إشراف الدكتور:
بلقاسم رحماني

أعضاء لجنة المناقشة

.الدكتور إبراهيم بشي رئيسا .

.الدكتور بلقاسم رحماني مقررا .

.الدكتور محمد الهادي حارش عضوا .

.الدكتور محمد الحبيب بشاري عضوا .

السنة الجامعية :2007 / 2008 .

الإهـــداء

إلى من بفضله بعد المولى صرت إلى هذا المقام.

إلى من حرم نفسه لذة العيش و وهبني أعز ما يملك دون فخر أو رياء أو كبرياء.

إلى مدرستي في الحياة بعد الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام...

والدي العزيز.

إلى من ذرفت لأجلي دموعا من ماء زهر في أفراحي

ودموعا من دم في أحزاني.

إلى التي سهرت لأجلي وتمنت لي حسن الختام...

والدتي الحبيبة.

إلى إخوتي جميعا من دون استثناء وأخص بالذكر منهم أخي الأكبر جمال

إلى جميع الأهل والأصدقاء والأحباب...

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضع راجيا من المولى عز وجل

أن يجعله في ميزان حسناتي وأن ينفع به طلاب العلم من أمتي.

والسلام....

شكر وعرفان

قال تعالى " فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون "

سورة البقرة. الآية 152 .

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم . اللهم علمنا ما ينفعنا ، وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علما . والصلاة والسلام على رسول البشرية و معلم الإنسانية سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إنه ليسعدني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى جميع أساتذة قسم التاريخ ومعهد الآثار بجامعة الجزائر مع جزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف الدكتور رحماني أبو القاسم على ما أولاني به من عناية وتوجيه في انجاز هذا العمل. كما تقدم بخالص شكري إلى زملائي الأساتذة من جمهورية مصر الشقيقة وبخاصة الدكتور حندوقة إبراهيم فرج والدكتور محمد فهمي عبد الباقي والأستاذة مروة إبراهيم من جامعة القاهرة وكذا الدكتور أبو اليسر عبد العظيم فرح من جامعة عين شمس

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث ولو بالكلمة الطيبة. . . .

قائمة المختصرات:

- **CE = Chronique d'Égypte.**
- **C.A.H = Cambridge Ancient History.**
- **J.H. S =Journal of Hellenic Studies.**

المقدمـــــــة

تعتبر دراسة الجوانب الحضارية لتاريخ الحضارات القديمة دراسات حديثة، أراد العلماء والمؤرخون من خلالها إبراز أهمية هذه الجوانب في قيامها وسقوطها، ناهيك عن الجانب السياسي الذي يكتسي أهمية كبرى في معرفة تاريخها . وعلى الرغم من اختلاف العلماء في تعريفهم لمعنى الحضارة، فإنهم يتفقون على أن محورها الرئيسي هو ما خلفه الإنسان من فكر وإبداع في جوانب الحياة المختلفة، وكان له تأثير مباشر أو غير مباشر على محيطه الذي يعيش فيه . ولما كان الشرق الأدنى مهد الحضارات القديمة فإنه حظي بدراسة الجوانب الحضارية عند مؤرخي العهد الجديد، وقد أفرزت هذه الدراسات من الأهمية التاريخية صورة لم تكن واضحة بالمقارنة مع الدراسات الكلاسيكية والتي اتخذت من الجانب السياسي لها محورا في الدراسات الإنسانية .

ويجمع المؤرخون على أن مصر تعتبر من أقدم الحضارات الإنسانية . وقد شهدت هذه الأخيرة أحداثا كثيرة خلال مراحل تاريخها الطويل بداء من العهد الفرعوني ومرورا بغزو الهكسوس ووصولا إلى الاحتلال الفارسي الذي أعقبه حدث كبير، تمثل في دخول الإسكندر الأكبر مصر فاتحا وذلك عام 332 ق .م في إطار الصراع بين الفرس والإغريق، ويعتبر هذا الحدث نقطة تحول عظمى في تاريخ مصر، فقد كانت إمبراطورية الإسكندر هي البوتقة التي انصهرت فيها ثقافات الشعوب التي انضوت تحت لواءه وذلك بفضل الأفكار التي كان يعتنقها هذا الغازي المقدوني، والتي تقوم على فكرة المساواة بين الشعوب، وبعد وفاته عام 323 ق .م تباينت آراء خلفائه في الإيمان بأفكاره ومواصلة ما شرع في تحقيقه، وبذلك انهارت إمبراطوريته وتحولت إلى كيانات سياسية مختلفة كان أكبرها مملكة مقدونيا في بلاد اليونان والدولة السلوقية في سوريا وأخيرا دولة البطالمة في مصر والتي أسسها بطلميوس بن لاجوس أحد قادة جيش الإسكندر الذي أسندت إليه مهمة إدارة ولاية مصر في البداية غير أنه ما لبث أن استقل بها وأعلن نفسه ملكا عام 305 ق .م .

ويحاول هذا البحث أن يسلط الضوء على النظم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي طبقها البطالمة والنتائج التي ترتبت عليها ومدى تقبل المصريين لهذه السياسة، ومن جهة أخرى يحاول هذا البحث أن يصل إلى نتائج حول العلاقات بين الإغريق والعناصر الأخرى التي وفدت إلى البلاد من ناحية وبين المصريين أهل البلاد من ناحية أخرى وفي إطار المعالجة المراد القيام بها للعناصر الآنفة الذكر تجمع لدينا أسئلة عدة تمس المحاور الرئيسية لبحثنا وتتمثل فيما يلي:

- كيف تقبل المصريون وجود البطالمة خلفاء الإسكندر ؟

- هل أدى البطالمة دورا حضاريا معينا في مصر ؟ وما طبيعته ؟ وما هي ميادينه ؟
- ما طبيعة السياسة التي طبقها البطالمة في مصر فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية طيلة فترة حكمهم ؟
- ما مدى تأثير هذه السياسة على الأجناس البشرية الخاضعة للبطالمة ؟
- هل كانت خيرات البلاد و مداخيلها حكرا على الإغريق والمقدونيين لوحدهم أم أنهم أشركوا المصريين أصحاب الأرض في ذلك ؟
- هل تأثر المصريون وأثروا هم كذلك بالوجود الإغريقي ؟ أم أنهم انصهروا وتأغرقوا وبذلك فقدوا معالم حضارتهم وقبلوا بالوضع الجديد .
- هل تعايشت الحضارتين المصرية والإغريقية أم أنه كان بينهما نفور كبير ؟
- أين كان موقع الأقليات في مصر البطلمية ؟
- وأخيرا إلى أي مدى نجحت سياسة البطالمة في إرساء معالم الحضارة الإغريقية في بلد عريق الحضارة كمصر ؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها تمكننا من التعرف على قدر كبير يخص الجانب الحضاري لمصر في عهد البطالمة، محاولين بذلك إبراز الأهداف الآتية:

- التعرف على السياسة المنتهجة من قبل البطالمة فيما يخص الجانب الحضاري، بالتركيز على الجوانب التالية (الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) .
- إبراز مدى تأثير سياسة البطالمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على جميع العناصر التي سكنت مصر .
- التعرف على النظام الاقتصادي الذي طبقه البطالمة في مصر، خصوصا وأنهم أقروا نظاما جديدا أصبح منهجا تبعهم الرومان فيه من بعدهم .
- توضيح سياسة البطالمة في الموازنة ما بين الأغلبية المصرية أصحاب الأرض والأقلية من الإغريق والمقدونيين أصحاب السلطة والحكم .

- محاولة التعرف على اهتمامات البطالمة بالجانب العلمي والفكري وبناء صرح عظيم لا يزال يذكره التاريخ والمتمثل في مكتبة الإسكندرية ومدرستها .
- إبراز مدى تأثير الحضارة اليونانية في المصريين ومدى استفادة الإغريق من الحضارة المصرية القديمة في مختلف الجوانب .

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يعتبرون الدراسات التاريخية غير الدراسات الحضارية، إلا أننا لا نجد اختلافا في إتباع أسلوب ومنهج الدراستين ولذا فإننا اتبعنا المنهج الوصفي في دراستنا لهذا الموضوع، محاولين قدر الإمكان التركيز على النقاط الرئيسية المتمثلة في الدور الحضاري للبطالمة في مصر (الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) والالتزام بحدود الموضوع قدر الإمكان عند مناقشتنا لبعض المسائل التي قد تبدو غاية في التخصص، وذلك من أجل الحفاظ على الإطار العام للبحث . وقد اشتمل بحثنا هذا على أربعة فصول نتناول فيها ما يلي:

الفصل الأول: ويعتبر مدخلا تطرقنا فيه إلى أوضاع مصر قبل قيام دولة البطالمة، ونعالج في هذا الفصل العلاقات التي ربطت مصر ببلاد اليونان قبل الفتح المقدوني، وهنا سنركز على العلاقات التجارية بين البلدين ودور القمح المصري في إقامة دعائم الاقتصاد اليوناني وعلاقته بصراع مدينتي اسبرطة وأثينا ، ثم نتطرق إلى دخول الإسكندر لمصر وإنجازاته الهامة وخاصة بناء العاصمة التي حملت اسمه فيما بعد "الإسكندرية" وننهي هذا الفصل بالصراع الذي دار بين القادة المقدونيين بعد وفاة الإسكندر، وانتهى بظهور دول جديدة كان أهمها دولة البطالمة سنة 305 ق .م والتعريف بها .

الفصل الثاني: ونستعرض فيه الدور الاقتصادي الذي لعبه البطالمة خصوصا في الفترة الأولى "عصر القوة"، حيث برع الإغريق في التجارة ،وتحكموا في المبادلات التجارية خاصة تلك التي كانت على مستوى حوض المتوسط والبحر الأحمر، كما أننا سندرس سياسة البطالمة الاقتصادية ونظامهم المالي الذي ميز فترة حكمهم وكانت له انعكاسات على الحياة العامة في مصر، فسنعرج على بعض الحرف الصناعية الجديدة على المصريين منها والحرف التي كانت معهودة عندهم من قبل وكيفية تطويرها ، بالإضافة إلى النشاط التجاري الواسع الذي كانت له ميزة جديدة في المبادلات التجارية في المنطقة والمتمثلة في ظهور سوق جديدة سيطرت عل التجارة الرابطة بين الشرق والغرب وهي سوق وميناء الإسكندرية التي جذبت أنظار التجار وأبهرت أبصارهم بسيطرتها التي فاقت أسواق زمانها كسوق رودس و إيجه وصور ،غير أن الأمر الذي كانت له حصة الأسد

من دراستنا هذه بالنسبة للجانب الاقتصادي كانت الأراضي الزراعية ونظمها خصوصا وأن الإغريق أصبحوا يريدون بسط نفوذهم عن طريق امتلاكهم للحجم الأوفر من الأراضي الزراعية،وبالرغم من احتفاظ الكهنة وكبار المصريين على أراضيهم إلا أن المحاصيل الزراعية كانت تحتكرها الدولة،ولها وحدها حق التصرف فيها .

الفصل الثالث : وفيه سنبرز الدور الاجتماعي للبطالمة في مصر، حيث سنعمل على التعريف بالتركيبة البشرية للمجتمع البطلمي ومكانة المصريين .السكان الأصليين .فيه وكذا أنواع المدن ونظام الحياة فيها ،سواء المدن الخاصة بالإغريق أو التي كان يسكنها المصريون وخليط من الإغريق واليهود والمرتزقة . . .إلخ .كما أننا سنبرز دور عبادة "سرابيس" في إزالة التمييز العنصري وكذا جهود بعض الحكام البطالمة في إقامة مجتمع متوازن قائم عل أساس التعاون والمساواة بين مختلف الأجناس البشرية التي خضعت للحكم البطلمي بمصر .

الفصل الرابع : وفي هذا الأخير عالجنا جانبا مهما من الجوانب الحضارية والمتعلق بالحياة الثقافية، حيث سنعرج على أهمية مكتبة الإسكندرية،والتي كان لها الدور الكبير في تثقيف وتعليم المجتمع والإنسانية أجمعها ، فقد خلفت المكتبة زادا كبيرا لا تزال آثاره إلى يومنا هذا على الرغم من أنها تعرضت إلى الحريق في عهد الملكة كليوباترة السابعة، كما أنني أحاول إبراز الأثر الذي خلفه تواجد البطالمة بمصر في هذا الجانب،مركزا على أهم العلماء الذين حظوا بعطف الملوك البطالمة وقدمت لهم تسهيلات من أجل التقدم في مجال البحث العلمي .

إن ما يميز مصادر بحثنا هذا هو قلتها وندرتها ،حيث لم تتطرق الكتابات التاريخية السابقة للقرن التاسع عشر للفترة التي نحن بصدد دراستها عدا ما جاء في كتابات بعض المؤرخين المعاصرين لدولة البطالمة،وبرغم قلة عددهم فقد توفر لدينا من كتاباتهم ما جاد به علينا كل من" أريانوس و استرابون و ديودور الصقلي و بوليبيوس" *Arrian, Strabo ,Diodorus siclus, polybius*"، غير أن منهج هؤلاء المؤرخين اقتصر على التركيز على الأحداث السياسية التي شهدوها أو سمعوا عنها ،ولم يحظ الجانب الحضاري لهذه الفترة بدراساتهم إلا في القليل النادر ،كما أننا نجدهم بعيدين عن الموضوعية حيث تتغلب عليهم الذاتية في تأريخهم للأحداث،خاصة وأنهم إغريق فلم يكن بوسعهم الكتابة بنزاهة فيما يتعلق ببني جلدتهم،ناهيك عن النظرة الضيقة في معالجة الأحداث البارزة كمسألة السياسة القهرية التي مارسها البطالمة على المصريين أو الاعتراف بفضل الحضارة المصرية على اليونانيين أو فيما يخص بعض الحقائق كمسألة حريق مكتبة الإسكندرية وما إلى ذلك . هذا بالإضافة

إلى استعانتنا بعض وثائق البردي مثل وثائق زينون ووثائق تبتونيس "*Tebtunis Papyri,Zenon Papyri*" والتي تعتبر مصدرا أساسيا أيضا .

إلا أنه مع بداية القرن التاسع عشر للميلاد أخذت أيادي الأثريين والمهتمين بالتاريخ القديم تنقب وتكتشف مخلفات الحضارات الإنسانية القديمة،وأصبح هناك نوع من التخصص في الكتابات التاريخية، ففيما يخص الجانب الحضاري لمصر في المرحلة الهلينستية نجد أن جامعتي هارفرد وكامبريدج كانتا سباقتين نحو إيجاد حلول لألغاز لم تكن معروفة من قبل وذلك ما شجع العديد من المؤرخين والأثريين للبحث في تاريخ وآثار مصر اليونانية الرومانية،وكما هو معلوم فقد كان علماء الآثار الأوربيين أكثر من غيرهم مقدرة على البحث والتنقيب فيما يخص الحضارات القديمة وأبرز مثال على ذلك ما قدمه الباحث الروسي" ميشال إيفانوف روستوفتزف"(*Michael Ivanovich Rostovtzeff*) في كتابه الضخم"الحياة الاقتصادية والاجتماعية للعالم الهلينستي"(*TheSocial and Economic History of the Hellenistic*) والذي جاء في ثلاثة أجزاء وتزيد عدد صفحاته عن 1779 صفحة،ولما كانت مصر أحد أبرز دول العالم الهلينستي فقد حضيت بدراسة معمقة في هذا الكتاب .وقد أفدنا منه كثيرا خصوصا وأن أغلب الدراسات الحديثة أخذت عنه،ويليه في الأهمية ما كتبته الآنسة بريو (*Préaux.Claire*) عن الحياة الاقتصادية في عصر البطالمة،والذي لا يقل أهمية عما كتبه روستوفتزف، غير أن ما يلاحظ على كتابات مؤرخي الغرب هو ميلهم إلى النزعة التغريبية في دراساتهم لحضارات الشرق القديم،حيث يلاحظ في بعض المواقف إنكار لبعض الحقائق التاريخية أو رؤيتها من زاوية ضيقة، إلا أننا لا ينبغي أن ننكر فضل هؤلاء بأسبقيتهم بالخوض في مجال الدراسات الحضارية للعالم القديم، وزيادة على هذين الباحثين نجد هنالك من المؤرخين الغربيين مجموعة كانت لها أبحاث في هذه الفترة من تاريخ مصر مثل جلوتز(*Glotz.G)* الذي حذا حذو بريو في كتاباته وكذا فريزر(*Feaser, P.M*) الذي ركز بحوثه على الجانب العلمي والمعرفي الذي اهتم به البطالمة في مصر وكان له كبير الأثر في شهرة دولتهم .ناهيك عن مقالات صدرت لبعض الأثريين والمؤرخين في مجلات عالمية مشهورة مثل مجلة " *Chronique d'Égypte*. و *Cambridge Ancient History* و *Journal of Hellenic Studies*.".

أما بالنسبة للكتابات العربية فيما يتعلق بتاريخ وحضارة وادي النيل في الفترة اليونانية فإننا نلخص مجموعتين من المؤلفين،الأولى وهم الذين سايروا الباحثين الغربيين وأثروا بكتاباتهم في هذا المجال ونخص بالذكر منهم الأستاذ

إبراهيم نصحي والذي يعد أحد أعمدة كتاب التاريخ القديم من العرب،والذي تمكن بعد جهد جهيد من تقديم كتابه تاريخ مصر في عصر البطالمة في ثلاثة أجزاء حيث أحاط بالموضوع من جميع جوانبه، وهناك أيضا الدكتور مصطفى العبادي والذي تعتبر اجتهاداته بمثابة الجديد فيما يخص تاريخ البطالمة بمصر،حيث انفرد بكتابته عن الجانب الحضاري والمتعلق بمكتبة الإسكندرية،بالإضافة إلى هذين الباحثين نجد كلا من الأستاذ عبد اللطيف أحمد على و زكي على و محمد عواد حسين والذين صبوا اهتماماتهم في ترجمة الكتب المتعلقة بالفترة المدروسة مثل كتاب تارن و آدريس بل، بالإضافة إلى المؤرخين المعاصرين أمثال أبو اليسر فرح وسيد أحمد على الناصري ومحمد فهمي وغيرهم من الباحثين العرب،إلا أن الشيء الملاحظ على كتابات هؤلاء جميعا اعتمادهم على المؤلفين الأوربيين والغرب، وهذا شيء بديهي كونهم كانوا السباقين في ذلك، ومما يلاحظ على كتاباتهم أنهم يميلون إلى النزعة الذاتية بمحاولاتهم إثبات عراقة الحضارة المصرية عن اليونانية،ومبالغاتهم في وصف حالة الظلم والاضطهاد الذي مارسه الحكام البطالمة على الأهالي المصريين،وبذلك يخرج المؤرخ في كتابته من المعالجة التاريخية للأحداث إلى فرض تصوراته على أساس أنها حقائق تاريخية وليست آرائه الخاصة . وهذه نفس الملاحظة التي رأينها على علماء الغرب وكتاب التاريخ عموما .

وقد صادفنا لدى إعدادنا لهذا البحث عقبات عدة، كان أبرزها قلة المصادر والمراجع المتخصصة، وقد حاولنا جاهدين في توفير أكبر قدر من المادة التاريخية،وذلك ما كلفنا عناء السفر إلى أرض مصر حيث أن الوفرة المادية للكتب فيها أحسن حالا من الجزائر، كما أن أهم الأعمال الموجودة كتبت باللغة الأجنبية وخاصة الإنجليزية منها ، وذلك ما اضطرنا إلى القيام بعملية الترجمة ثم توظيفها في البحث،كما أنه تقل الشواهد التاريخية التي تقرب فهم الجانب الحضاري لحضارة قديمة كحضارة مصر البطلمية . غير أن ذلك لم يكن يعني انعدام وجود هذه المادة التاريخية،فقد تلقينا الدعم الكافي من بعض الأساتذة الزملاء في جمهورية مصر الشقيقة . وبقيت إمداداتهم لنا طيلة فترة تحضيرنا للرسالة . بالإضافة إلى المساعدة الطيبة التي وجدناها لدى بعض أساتذة قسم التاريخ و معهد الآثار بجامعة الجزائر ،وبالرغم من هذه العقبات فقد كان اجتهادنا كبيرا في توفير ما يلزم من مصادر ومراجع لدراسة الموضوع من جميع جوانبه .

الفصل الأول :

عوامل ظهور دولة البطالمة

1 . العلاقات بين مصر وبلاد اليونان.

2 . مصر في عهد الإسكندر.

3 . قيام دولة البطالمة.

1. العلاقات بين مصر وبلاد اليونان قبل الغزو المقدوني:

إن الحديث عن ظهور دولة البطالمة على مسرح الأحداث يسوقنا إلى التطرق إلى دراسة أوضاع مصر وعلاقاتها مع بلاد الإغريق. وذلك لأن مثل هذا الحدث لم يكن وليد الصدفة وإنما كانت له عوامل عدة أدت إلى ظهور كيانات سياسية جديدة وغياب أخرى. وقد أجمع المؤرخون على أن الإغريق لم يأتوا إلى مصر مع الإسكندر الأكبر للمرة الأولى، بل إن العلاقات بينهما ترجع إلى فترة زمنية بعيدة تعود إلى عصر ما قبل الأسرات. وذلك ما تؤكده بعض الحفريات من وجود قطع آثار مصرية في جزيرة كريت. وتؤيد هذه الآثار نقوش مصر القديمة التي تمثل وفدا من الكفتيو الذين يعتقد أنهم أهل كريت. يقدمون لتحتمس الثالث أواني فضية وسبائك من البرونز قد تكون هدايا للملك تدخل في إطار تحسين العلاقات، والسماح لهم بالتبادل التجاري مع مصر. والأمر هنا لا يقتصر على جزيرة كريت، بل إن الآثار المصرية التي وجدت وبكميات وفيرة في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة اليونانية، تثبت أن تجارة مصر قد وصلت إلى الأسواق اليونانية الهامة مثل: إسبرطة وميكيني وأرجوس، ولكن هذه الصلات تنتهي عند الألف الثاني قبل الميلاد. أي بعد سقوط الدولة المينوية في كريت، والدولة الميكينية في شبه الجزيرة اليونانية[1]. غير أن هذه الآثار أو تلك لا ينبغي أن تؤخذ كدليل على أن المصريين ذهبوا إلى كريت، أو أن أهل كريت وفدوا إلى مصر، فربما انتقلت هذه السلع عن طريق سوريا وفلسطين[2].

والواقع أنه لا توجد دلائل قوية على انتظام العلاقة بين مصر وكريت قبل عصر الدولة الحديثة، وبالتحديد عصر الأسرة الثامنة عشر. وهو ما يقابل العصر المينوي الحديث في كريت. وفي هذه المرحلة وجدت مؤثرات مصرية قوية في الفن الكريتي، كما وجدت في المقابل مؤثرات كريتية في الفن المصري. وتبدو هذه المؤثرات بشكل واضح في سلسلة المقابر التي ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشر في طيبة، والتي يرجع تاريخها إلى الفترة الواقعة ما بين عهد الملكة حتشبسوت (1503.1482 ق.م) حتى عهد الملك أمنحوتب الثالث (1397.1360 ق.م)[3].

---

1 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي (مصر)**، (بيروت: دار النهضة العربية؛ 1981)، ص 07.

2 - أبو اليسر فرح، **النيل في المصادر الإغريقية**، (القاهرة؛ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية؛ 2004)، ص 10.

3 - هـ. آدريس بل، **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي (دراسة في إنتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها)**، تر: عبد اللطيف أحمد علي، (بيروت؛ دار النهضة العربية؛ 1988)، ص 259.

وعلى أية حال فإن العلاقات بين مصر وكريت ظلت حتى نهاية العصر المينوي علاقات تجارية بشكل أساسي. وأخذت كلمة ـ كفتيو ـ تختفي من النصوص المصرية، ومنذ عهد الملك تحتمس الثالث (1490 ـ 1436 ق.م) وهي الفترة التي شهدت سقوط الحضارة المينوية، وإرتفاع نجم الحضارة الموكينية. بدأ تعبير سكان (جزر وسط البحر) يظهر في الوثائق المصرية، وهو تعبير عام إلا أنه أخذ شيئًا فشيئًا يرتبط بالموكينيين وحدهم. كما أطلقت الوثائق المصرية عليهم اسم دانونا أي الدناؤويين وهو اسم قديم للإغريق[1].

وبعد سقوط الحضارة المينوية في كريت حوالي عام 1400 ق.م انتقل مركز الثقل الحضاري إلى موكيناي التي ورثت علاقات كريت الخارجية، ومنها علاقاتها بمصر فأصبحت هناك اتصالات مباشرة بين البلدين منذ عهد أمنحوتب الثالث (1405 ـ 1367 ق.م). وقد عثر على آثار مصرية في أنحاء متفرقة من بلاد اليونان، منها على سبيل الميلاد خرطوش باسم أمنحوتب الثالث، عثر عليه في موكيناي. كما تم العثور على أواني موكينية في مدينة آخت آتون (تل العمارنة حاليا)، عاصمة أمنحوتب الرابع الذي عرف باسم أخناتون (1367 ـ 1350 ق.م) ومما يروى عن هذا الملك أنه كان يشجع التجار الأجانب على العمل في مصر، وكان يستخدم في قصره الأواني الموكينية. وفي عصر هذا الفرعون أخذ الفنان المصري يقتبس من عناصر الفن الموكيني، واستمر الأمر على هذا الحال حتى عام 1184 ق.م نهاية الأسرة التاسعة عشر[2].

ويذهب بعض الدارسين إلى القول بأن التجارة لم تكن هي المجال الوحيد للعلاقات بين مصر وبلاد الإغريق في ذلك العصر. ويرون أن الموكينيين خدموا كجنود مرتزقة في الجيوش المصرية في عصر الأسرة الثامنة عشر، وأنهم ساعدوا في طرد الهيكسوس من مصر. وقد بنى أصحاب هذا الرأي نظريتهم على بعض الحقائق، منها العثور على كميات من الذهب في بعض المقابر التي ترجع إلى هذا العصر في بلاد اليونان، وهي كميات من الواضح أنها جاءت من خارج هذه البلاد. ورجحوا أن يكون مصدرها مصر[3] المعروفة بثرائها. كما أن الكثير من هذه المشغولات الذهبية تبدو مصرية الصنع، بينما يتضح التأثير المصري في بعضها الآخر.

---

1 - عبد الطيف أحمد علي، **التاريخ اليوناني**، (بيروت: دار النهضة العربية؛ 1981)، ص 66.

2 - أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص 11.

3 - نفسه، ص 12.

إلا أن هناك رأيا مخالفا لهذا الأخير، وهو ما جاء في مقدمة دراسة الكتاب الثاني لهيرودوت للباحث لويد قائلا : **" ليس هناك ما يدل على أن مصر كانت هي مصدر هذا الذهب فقد كان بمقدور الموكنيين استيراد الذهب من أماكن أقرب إليهم من مصر مثل آسيا الصغرى** " . كما أنه عند تحليل هذه المشغولات الذهبية، ثبت أن تركيبها يختلف اختلافا كبيرا عن تلك التي تعود إلى الأسرة الثامنة عشر . ولربما كان التأثير المصري على طريقة صناعة هذه المشغولات من موروثات الحضارة المينوية . وإذا كانت هناك بعض الدلائل التي تشير إلى قيام ملوك الأسرة الثامنة عشر باستخدام جنود مرتزقة من الأجانب، فليس من الضروري أن يكون هؤلاء المرتزقة من الإغريق[1] .

ونتيجة للاضطراب الذي شهده حوض المتوسط نتيجة سقوط الحضارة الموكينية، فإنه لا توجد شواهد تبين وجود علاقات بين مصر وبلاد الإغريق إلى غاية نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، أين أخذت بلاد اليونان تحاول النهوض من كبوتها . وبدأ الرخاء يعم هذه البلاد، مما أدى إلى ازدياد الحاجة إلى مواد الترف . وكان من نتيجة هذه الحاجة إلى استئناف العلاقات مع الشرق، ومع اقتراب نهاية المرحلة الهندسية* في الفن اليوناني، فإننا نجد دلائل على استئناف العلاقات بين بلاد اليونان ومصر[2] . وتتمثل تلك الدلائل في وجود آنية مصرية أو متأثرة بالفن المصري في بعض المواقع . مثل إليوسيس ومعبد الربة أرتميس في إسبرطة، ويطلق المؤرخون على هذه الفترة الواقعة بين عامي (750 . 650 ق.م) في تاريخ الفن اليوناني، عصر المؤثرات الشرقية . حيث يبدوا بشكل جلي تأثير الفن المصري على فنون اليونان[3] .

و منذ نهاية القرن السابع قبل الميلاد تدخل مصر عصر النهضة في ظل الأسرة السادسة والعشرون . وفي نفس الوقت يبدأ العالم اليوناني في الاستقرار والنهضة . ويعود الاتصال الوثيق بينه وبين مصر على نحو لم يسبق له مثيل من قبل . إذ حضر الإغريق إلى مصر في أعداد وفيرة، كجنود مرتزقة استعان بهم ملوك العصر الصاوي (466 - 525 ق.م) ضد الليبيين والفرس على حد السواء . كما حضر بعد ذلك إغريق للتجارة[4] . وطبقا لرواية هيرودوت فإن إبسماتيك الأول (664 ـ 610 ق.م) مؤسس الأسرة السادسة والعشرون الفرعونية، هو أول ملك مصري استخدم جنودا مرتزقة من اليونانيين في الوصول إلى عرش مصر . وبمساعدتهم تمت له السيادة على كل وادي النيل، وقد أجزل لهم العطاء، وشجعهم على الاستيطان بمصر . بأن أعطى

---

1 - *Lioyed.A.B.**Herodotus Book II Introduction**. Leiden. Brill* 1975.*p*05.

2 - *Boardman. J, **Greek Art**. London* 1981,*p*22.

3 - *Ibid.p*58.

4 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 01 .

لهم أراضي ليسكنوا في الدلتا . وكان هؤلاء عنصرا هاما من عناصر توثيق الصلة بين مصر وبلاد اليونان[1] . وبلغ سخاء إبسماتيك على جنوده أن قربهم إلى شخصه ومنحهم مرتبة الشرف في جيشه . ولقد كان هؤلاء الجنود يجنون فائدة كبيرة من زراعة الأرض، ومن الأجور العالمية . ووصل هذا الملك إلى درجة كبيرة في ثقته بهم، حتى أنه جعل الأطفال المصريين يتعلمون اللغة اليونانية،بل وأنشأ أولاده تنشئة يونانية[2] . ويذكر استرابون أن بعض التجار جاؤوا من ميليتوس إلى مصر في عهد إبسماتيك، وقد أقلتهم ثلاثون سفينة، حيث أسسوا مستعمرة لهم عند مصب النيل البولبتيني[3] . ولم يلبث أن لحق بأهل ميليتوس في الإستقرار بمدينة نقراطيس إغريق من أماكن أخرى مثل جزيرتي ساموس و إيجينا حيث اشتغلوا بالتجارة[4] .

وفي عهد خليفته نكاو الثاني (609 ـ 594 ق .م)، ظهرت مملكة بابل، التي قضت على مملكة آشور، بمحالفتها مملكة ليديا ، والتي استولت على أملاك مصر . وعندما هب نكاو للدفاع عن ممتلكاته، هزمه نبوخذنصر، ثم حاول نكاو تقوية الجيش المصري لمقاومة جيش بابل، فساعده الكورنثيون في بناء أسطولين لحماية شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر . وعندما تولى ابنه إبسماتيك الثاني الحكم (594 ـ 588 ق .م) ،كانت علاقته بالإغريق ودية للغاية، وقد أنشأ هذا الأخير .والذي لم يحكم سوى ست سنوات . أسطولا في البحر المتوسط، ولعله قوى الأسطول الذي كان قد أنشأه نكاو، والذي جلب له تجارة من الإغريق من الجزر اليونانية ولا سيما جزيرة ساموس[5] .

وفي عام 588 ق .م خلفه على العرش الملك واح أب رع، الذي سماه الكتاب الإغريق أبريس (588 ـ 568 ق .م) . ولقد كان أبريس مثل من سبقوه من ملوك الأسرة الصاوية محبا للإغريق . فكون منهم فرقة كبيرة في الجيش، مما سبب غضب الوطنيين المصريين . وعندما استنجد الليبيون بهذا الملك الفرعوني لإنقاذهم من تدفق الإستيطان الإغريقي على بلادهم أرسل إليهم الفرقة المصرية . ولم يرسل الفرقة الإغريقية خوفا من أن ترفض هذه الأخيرة محاربة بني جلدتها . ولما حاصر المستوطنون الإغريق في ليبيا الفرقة المصرية، وكادوا أن يبيدوها ، قامت ثورة في مصر ضد الملك الفرعوني متهمة إياه بتعمد إرسال الفرقة المصرية، قصد التخلص منها . وبتمرد الجنود المصريين في ليبيا ، أرسل الملك أحد قواده المصريين، واسمه أحمس .

---

1 - عبد الحليم محمد حسن، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، (القاهرة: دار الثقافة العربية؛ 1998)،ص 11 .

2 - فادية محمد أبوبكر، **دراسات في تاريخ مصر (العصر البطلمي)**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية؛ 1997)، ص 09 .

3 - *Strabo.**Geography.Loeb Classical Libraryy**. Tr. By. H.L Jones*,1970.p XVII.1.18.

4 - حسن صبحي بكري، **موجز تاريخ مصر اليونانية الرومانية**،(دون سنة طبع)،ص 05 . 07 .

5 - *Lioyed.A.B. op cit. p* 26.

لكن الثوار التفوا حوله وحرضوه على الثورة ضد الملك. فقاد قواته نحو مصر، وأجبره على قبوله شريكا له في الحكم. ولما حاول أبريس التمرد على شريكه أحمس بمعاونة أنصاره من الجنود المرتزقة، دارت معركة بينهما، قتل فيها الملك أبريس وخسر عرشه. وهكذا أصبح أحمس الثاني ملكا على مصر (568-525 ق.م). وقد كان هذا الأخير يدرك جيدا أهمية بقاء الجنود المرتزقة من الإغريق معه لأنه كان بحاجة ماسة إليهم بسبب تزايد الخطر الفارسي وعمل على أن يكون وسطا في معاملته مع الجنود المصريين والإغريق وقام بجمع المرتزقة اليونانيين ليقيموا في منف كما أنه جمع التجار اليونانيين في مكان واحد وهو مدينة نقراطيس وسرعان ما أصبحت هذه المدينة مركزا رئيسيا للتجارة والثقافة اليونانية بمصر كما عمل أحمس على توطيد علاقاته مع الإغريق والليبيين وقام بتأمين حدود مصر الشرقية استعدادا لصد أي خطر فارسي يتهدده لكنه مات قبل أن يشهد وصول هذا الخطر[1].

وفي عصر إبسماتيك الثالث غزا قمبيز مصر، وتوج نفسه ملكا عليها في شهر مايو عام 525 ق.م، واتخذ لقب فرعون ليكسب نفسه مركزا شرعيا في نظر المصريين. لكنه لم يلبث أن أثار عواطفهم بانتهاكه حرمة الديانة المصرية وفي عام 522 ق.م خلفه على العرش ابنه دارا، فأظهر بعد نظر وكياسة جديرين بملك عظيم، وزار مصر وقصد معبد هيبس في الواحة الخارجية. وعمل على إتمام قناة نخاو وكانت تصل النيل بالبحر الأحمر مخترقة وادي الطميلات، واتبع سياسة التسامح، ليمحو آثار الآثام التي أساء بها سلفه إلى المصريين. ومع ذلك فإنه ما كاد المصريون يعرفون أن دارا قد توفي حتى هبوا ثائرين، ونصبوا خباش ملكا عليهم عام 485 ق.م[2]. وقد ساعد الأثينيون المصريين في ثورتهم، لأن الفرس كانوا عدوا مشتركا للفريقين، ولا يزالون يشكلون خطرا داهما على الإغريق كافة، برغم فشلهم في غزو أثينا قبل هذه الثورة بخمس سنوات.

وفي عام 484 ق.م حضر أجزركسيس بن دارا إلى مصر وأخمد الثورة وقضى على خباش، وفرض غرامة مالية كبيرة على معبد بوتو في الدلتا، لأنه كان قد نادى بالثورة وجعل حالة مصر أسوأ مما كانت عليه من قبل. ولا شك أنه قد ترتب على الحروب الطويلة التي خاضها الفرس في بداية القرن الخامس قبل الميلاد مع أثينا وحلفائها، أن انقطعت تقريبا تجارة مصر

---

1 - سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ وحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلينستي**،(القاهرة؛ دار النهضة العربية؛ 2001)، ص 19-20.

2 - إبراهيم نصحي، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**،(ط 02: القاهرة؛ مكتبة الأنجلو المصرية؛1984)، ج01،ص 05.

مع بلاد الإغريق، مما عاد بضرر بليغ على نقراطيس. لكنه لا سبيل إلى الشك في أنه كانت لمصر تجارة واسعة برا وبحرا، مع بلاد العرب وسوريا وفينيقيا وأيونيا، إلى جانب تجارتها المنكمشة مع بلاد الإغريق[1].

إلا أن الشيء الأكيد هو أن الفرس لم يعرفوا الاستقرار بسبب نشوب ثورات المصريين من وقت لآخر، فبعد موت أجزركسيس عام 465 ق.م خلفه ابنه أرتاجزركسيس على العرش، وقامت ثورة عام 460 ق.م تزعمها أميران مصريان. وقدمت أثينا المعونة لهذه الثورة، وكان أحد هذين الثائرين يدعى آمون حر، الذي يعرف في النصوص الإغريقية باسم إيناروس ووصل حد التأييد أن أرسلت أثينا أسطولا كبيرا من السفن الحربية ذات الثلاث طوابق، وصلت من البحر المتوسط ثم سارت في النيل حتى منف، ونجحت الثورة وهزم الجيش الذي أرسله أرتاجزركسيس، وفرت فلوله إلى منف وتحصنوا في قلعتها، حتى وصلت مساعدات من فارس. ولم يتمكن الثوار المصريون من صدها، ودمر جزء كبير من الأسطول الأثيني عام 454 ق.م، وعاد إلى بلاده[2]. كما تم القضاء على إناروس، وهكذا أخضع الفرس مصر ثانية فيما عدا أمورتايوس ملك الأدغال، الذي عجز الفرس عن القضاء عليه بسبب اتساع الأدغال، ولأن أهل الأدغال كانوا أكثر سكان مصر مقدرة على الحرب. وحدث أن أرسل الأثينيون خمسين مركبا لنجدة قواتهم في مصر، فدخلت هذه القوات فرع النيل المنديسي (نسبة إلى منديس)، دون علم بما كان قد حدث. فهوجمت برا وبحرا ولم يبق منها سوى عدد قليل[3].

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن هيرودوت زار مصر في عهد أرتاجزركسيس، ويرجح أن تكون هذه الزيارة قد تمت بين عام (449 - 448 ق.م)، عندما عقدت أثينا الصلح مع بلاد الفرس. ويحدثنا هيرودوت بأن البلاد كانت في رخاء. لأن التجارة والصناعة كانتا رائجتين برغم الضرائب المفروضة عليهما. ويعتقد بعض المؤرخين بأن معلومات هيرودوت عن مصر على ما بها من أخطاء، ليست عديمة الفائدة إلى الحد الذي يعتقده البعض الآخر. وبالرغم من كل ما بهذه المعلومات من أخطاء تاريخية، فإنها تعطينا صورة حية لتاريخ مصر في القرن الخامس قبل الميلاد. ولم يكن هيرودوت الإغريقي النابه الوحيد الذي زار مصر قبل الفتح المقدوني. ولذا فإن العلاقات القوية التي نشأت منذ العصر الصاوي بين مصر وبلاد الإغريق، شجعت وفود

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج01، ص07.

2 - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص24.

3 - عبد الحليم محمد حسن، المرجع السابق، ص05.

الكثيرين إلى مصر، إما لمجرد الزيارة والاستطلاع، وإما لتلقي العلوم. فيقال أن الفيلسوف طاليس، زار مصر وأخذ عنها فكرته القائلة :بأن الماء أحد العناصر الطبيعية الثلاث، كما أنه تعلم أصول الهندسة والحساب. وإذا كان هناك شك في أن فيثاغورث وفرقوديس وهيراقلتوس وأناكساجوراس قد زاروا مصر، فلا شك في أن أفلاطون زارها وتزود منها بالمعلومات، كما تزود ديموقريتوس. ويرجح بأن الفكرة الإغريقية عن الروح البشرية القائلة بأنها عبارة إنسان له رأس طائر، قد أخذت عن مصر. لكنه يظن أن الإغريق لم يأخذوا شيئا عن مصر إذ ذاك، إلى أن جاء عصر البطالمة[1].

وكما سبقت الإشارة إليه فإن الإغريق والفرس دخلوا في صلح عام (449. 448 ق.م). اعترف فيه كل طرف بمصالح الآخر. وقد استغل كل منهما الهدنة في تقوية نفسه. فقد عرف العرش الفارسي صراعا داخليا، كما شهد الإغريق حربا بين المعسكرين الأثيني والإسبرطي[2]، وعندما انتهت الحرب البولبونيزية عام 404 ق.م بهزيمة أثينا، آلت زعامة بلاد الإغريق إلى إسبرطة. وهي التي وجدت نفسها بعد بضع سنين مشتبكة في صراع مع الفرس. فكان ذلك مواتيا لمصر. وكانت قد ثارت على الفرس عام 404 ق.م عقب وفاة دارا الثاني، وقد قاد الثورة الجديدة أمورتايوس الثاني الذي حكم مصر لست سنوات إلا أن هذا الأخير حاول كسب عطف الملك الفارسي أرتاجزركسيس الثاني، فأثار بذلك غضب المصريين، مما دفعهم إلى خلعه والمناداة بنفرتيتي ملكا عليهم عام 398 ق.م. وعرفت مصر خلال فترة حكمه استقلالا تاما، وقام بعقد معاهدة مع إسبرطة تتضمن تحالف الإثنان ضد الخطر الفارسي. وقد خلف نفرتيتي ثلاثة ملوك يعنينا منهم أمر ثالثهم، وكان يدعى هافوري، حيث تحالف مع ملك قبرص أفاجوراس عام 389 ق.م. وفي الوقت نفسه عقدت إسبرطة صلحا مع الفرس. وفي عام 388 ق.م انضمت أثينا إلى محالفة مصر وقبرص، ولم تمض سنتان من ذلك حتى عقد صلح أنتالقيداس عام 386 ق.م بين الفرس وإسبرطة وأثينا، ولم يشمل هذا الصلح مصر رغم سعي إسبرطة وأثينا لمحالفتها في وقت سابق. وفي الفترة ما بين (585. 583 ق.م) وجه أرتاجزركسيس هجوما على مصر غير أنه لم يفلح في ذلك. وبعد وفاة هافوري عام 378 ق.م خلفه نفرتيتي الثاني مدة أربعة أشهر. ثم اعتلى على العرش نقتانبو الأول وتمكن في عام 364 ق.م من صد حملة كبيرة للفرس[3].

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج01، ص 08. 09.

2 - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 25.

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج01، ص 10. 12.

وقد اشترك معه في أواخر حكمه ابنه جحدر والمعروف عند الإغريق باسم تيوس، وكان ميالا للصداقة مع الإغريق ومعجبا بإسبرطة الأسطورة العسكرية، ولهذا تحالف معها في تشكيل جيش قوي يعمل على سحق الدولة الفارسية في عقر دارها . وبعد أن أعد هذا الجيش سار به إلى الشام وكادت مصر تستعيد ممتلكاتها في الشام وفلسطين، لولا خيانة أخيه الذي كان قد خلفه على مصر، وتواطئه مع ابنه نقتانبو الثاني الذي رجع إلى مصر ومعه الفيلق الإسبرطي وشطر من القوات المصرية والمرتزقة الأثينيين، وبذلك هرب تيوس إلى ملك الفرس ليعلن توبته هناك[1] .

وقد تمكن نقتانبو الثاني من التحكم في الوضع المتأزم الذي عرفته مصر، وبفضل إصلاحاته عرفت مصر فترة هدوء واطمئنان، قبل أن تتجمع السحب منذرة بعودة الفرس للاستيلاء على مصر والقضاء على الأسرة الثلاثين آخر الأسر الوطنية . وكان ذلك في عهد الملك الفارسي "أخوس" أرتاجزركسيس الثالث ،حيث واتته فرصة الزحف إلى مصر عندما ثارت فينيقيا وقبرص على الفرس بزعامة ملك صيدا ، والذي وعده نقتانبو الثاني بالمساعدة وأرسل إليه عام 343 ق .م قوة من الجنود الإغريق، يقودها إغريقي من رودس يدعى منتور . غير أن هذا القائد عندما علم باقتراب أخوس دخل معه في مفاوضات، وبعد فتح صيدا وقتل ملكها قبل أخوس بخدمات منتور ورجاله في جيشه . وفي نفس العام زحف الملك الفارسي إلى مصر، وأفلح في اقتحام تحصيناتها ، ودخلها بفضل عدد كبير من الجنود الإغريق، وتحدثنا المصادر القديمة بأن نقتانبو قد فر إلى بلاد النوبة، وأن أخوس أقام احتفالا كبيرا بانتصاره . وفاقت معاملاته السيئة للمصريين وإهانته لهم أكثر مما فعله سلفه قمبيز . واستمر حكم الفرس إلى أن فتحها الإسكندر[2] عام 332 ق .م .

وهكذا إذا يمكننا أن نتصور طبيعة العلاقة الوثيقة التي ربطت الإغريق بالمصريين، خصوصا في الفترة ما بين القرن السابع قبل الميلاد وحتى فتح الإسكندر لمصر، والتي جمعت بين العلاقات السياسية و الاقتصادية، والتي كانت تخضع دائما للمصلحة المشتركة . ونلخص كلامنا هذا في النقاط التالية :

أولا : كان الفرس قوة عظمى في العالم القديم في القرن السابع قبل الميلاد ، و عملوا على إخضاع مصر لنفوذهم بالقوة كما أنهم كانوا يهددون الإغريق مرة بعد مرة . وذلك يعني أنهم عدو مشترك لكل من بلاد اليونان ومصر .

---

1 - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 27. 29 .

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج 01، ص 13 .

ثانيا : كانت المدن اليونانية في حاجة إلى القمح، وكانت مصر إذ ذاك من أهم مراكز إنتاج القمح في العالم.

ثالثا : انتشرت في هذا الوقت عادة استخدام الجنود المرتزقة، وكان الإغريق من خيرة الجنود فاستعان بهم ملوك العصر الصاوي، في القضاء على العدو الأجنبي وفي مقدمتهم الفرس.

رابعا : شاع في هذه الفترة استخدام العملة كوسيلة للتبادل التجاري ودفع الأجور. وكان الإغريق اليونانيون قد قطعوا في ذلك شوطا كبيرا. وكان المصريون بحاجة ماسة إلى الاستفادة من مناجم الذهب والفضة اليونانية، قصد استخدامها في سك العملة من أجل تسديد رواتب الجند المرتزقة وتسليح الجيوش... إلخ[1].

2. مصر في عهد الإسكندر :

منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد، ظهرت دولة فارسية جديدة على مسرح السياسة في الشرق الأدنى. بسطت نفوذها، فشملت إمبراطوريتها معظم أجزاء الشرق، بما في ذلك آسيا الصغرى، وسواحل سوريا، وفنيقيا، وفلسطين و مصر التي فتحها قمبيز سنة 525 ق.م. ومنذ ذلك الوقت، ومصر تارة تخضع لحكم الدولة الفارسية وتثور عليها تارة أخرى. وفي ظل هذه الظروف كانت علاقة المصريين بالإغريق قوية وطيدة، طوال فترة الاستعمار الفارسي لوادي النيل، برغم كل التفكك والانحلال الذي كانت تعانيه بلاد الإغريق آنذاك. فلما استطاعت مقدونيا أن توحد الإغريق وأن تخلق، منهم قوة متماسكة، عزم ملكها فيلب المقدوني على القيام بغزوة كبرى، يحطم بها الإمبراطورية الفارسية. ولكن الأقدار لم تمهله، ورحل قبل أن ينفذ مشروعه الكبير تاركا وراءه المهمة لابنه وخليفته الإسكندر الأكبر[2]. وقاد هذا الأخير حرب الإغريق المقدسة ضد الفرس إبتداءا من سنة 334 ق.م(أنظر الملحق رقم 01).

ولما كانت الإمبراطورية الفارسية تعاني من داءين خطيرين: الأول وهو سوء الإدارة في الولايات التي كانت ساترابيات* . والآخر وهو الأسوأ، حيث تربع على عرشها ملك ضعيف متردد، وهو دارا الثالث. ولهذا سرعان ما انهارت الإمبراطورية الفارسية أمام عبقرية الإسكندر الفذة (أنظر الملحق رقم 08). ولقد سلك الإسكندر في حربه ضد فارس خطة

---

1 - فادية محمد أبوبكر، المرجع السابق ص 10.

2 - نفسه، ص 20.

* - الساترابيات : وهي الممالك، والساتراب :وهي كلمة فارسية تعني "حامي المملكة".

غريبة، إذ أنه بعد أن استولى على آسيا الصغرى، وانتصر في معركة إيسوس عام 333 ق.م، لم يتتبع الملك الفارسي المنهزم شرقا نحو عاصمته صوصه، وإنما انحدر جنوبا فاستولى على سوريا، وفينيقيا، وفلسطين، في نوفمبر عام232 ق.م بعد معارك عنيفة عند صور وغزة[1]. بعد ذلك اتجه إلى مصر التي سلمها له الوالي الفارسي دون مقاومة، واستقبله المصريون بالترحاب استقبال البطل المنقذ لهم من الحكم الفارسي. خاصة وأن المصريين قد ألفوا الإغريق كأصدقاء كثيرا ما ناصروهم في ثوراتهم ضد فارس. كما كان لوجودهم في نقراطيس* مصدر كبير للمزارعين المصريين، ومن أكبر عوامل تنشيط التجارة الخارجية لمصر[2]. ولم يفطن المصريون حينذاك إلى أن الإغريق لم يأتوا هذه المرة حلفاء، وإنما ليفرضوا سيادتهم عليهم، ويقيموا مكان الحكم الفارسي حكما أشد بأسا وأطول بقاء. بيد أن الإسكندر والبطالمة من بعده حرصوا على إظهار إجلالهم و احترامهم للديانة المصرية، واتخذوا منها وسيلة لدعم مركزهم والسيطرة على المصريين وموارد البلاد. وقد استطاعت مصر دائما عقب الغزوات الخارجية أن تقيم في كل مرة أسرة ملكية جديدة، من أهل البلاد، تحتفظ بالتقاليد القومية القديمة في نظم الحكم، والحضارة، واللغة، ولكنه منذ هذه اللحظة لم يرتق على عرش مصر ثانية فرعون مصري. إذ أنه منذ قدوم الإسكندر، خضعت مصر ما يقارب من عشرة قرون لحكام أجانب من المقدونيين، ثم الرومان، وبعد ذلك أصبحت مصر جزءا من العالم الإسلامي[3].

هكذا إذا زحف الإسكندر إلى مصر بعد حصاره لغزة، ودخل بلوزيون في خريف عام 332 ق.م، وتقدم عبر الصحراء إلى هليوبوليس، ومنها إلى منف[4]، ولما كان من بين الأسباب التي زادت في حقد المصريين على الفرس،أنهم انتهكوا حرمة الديانة المصرية، فقد كان أول هم الإسكندر عندما حط رحاله في منف هو أن يظهر احترامه للديانة المصرية. ولذلك قدم القرابين في معبد الإله بتاح، للآلهة الوطنية والعجل المقدس آبيس. ويقال أن الإسكندر رسم نفسه فرعونا في معبد بتاح

---

1 - لطفي عبد الوهاب يحيى و آخرون، **التاريخ اليوناني الروماني**،(القاهرة؛ شركة مطابع المدينة؛ 2004)، ص 62.

* - نقراطيس: مدينة إغريقية أسست في عهد فراعنة الأسرة السادسة والعشرين على الفرع الكانوبي للنيل (كوم جعيف حاليا) توفرت بها كل مظاهر الحضارة الإغريقية. زكي علي،الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان، ص03.

2- مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 18. .

3 - *Bevan.Edwyn, **A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty**,London*1927.*p* 02.

4- حسن صبحي بكري، المرجع السابق، ص 12.

طبقا للطقوس الدينية المصرية . وإذا كان الإسكندر قد أظهر احترامه للآلهة المصرية، فإنه لم ينس أنه القائد الذي أعلن نفسه رافع لواء الحضارة الإغريقية، وحامي حماها . ولكي يثبت ذلك للإغريق المستوطنين في منف و نقراطيس ، فإنه كما قدم القرابين للآلهة المصرية أقام في منف حفلا إغريقيا رياضيا ، وموسيقيا ، اشترك فيه بعض الموسيقيين والممثلين الذين ذاع صيتهم في العالم الإغريقي[1] .

كما أنه كان هناك إله آخر له شأن كبير، خاصة في جنوب الوادي، وهو الرب آمون، والذي كان معروفا لدى اليونانيين كذلك، حيث كانوا يشبهونه بكبير أربابهم زيوس . ولذلك رغب الإسكندر في تكريمه وإظهار تقديسه له . ومعقل عبادة آمون كان مدينة طيبة، والتي كانت فيما مضى عاصمة البلاد في عصور القوة . وقد أدرك الإسكندر أهمية أن يستميل هذه السلطة الروحية الهائلة إليه، ولكن الملفت للنظر أنه لم يصعد النهر إلى طيبة، وإنما اختار بدلا من ذلك الطريق الشاق إلى واحة سيوه في قلب الصحراء الغربية، حيث يقع معبد متواضع للرب آمون . وربما سبب ذلك كان له صلة بغيرة كهنة الرب بتاح في منف، الذين كان منافسوهم التقليديون هم كهنة آمون طيبة . والذين كانوا يخشون تأثيرهم، وأثر مدينتهم على الإسكندر . فحرصوا على إغرائه بتفضيل معبد الإله آمون في واحة سيوه الذي كان في منزلة أقل أهمية . ولكن من ناحية أخرى، كانت شهرة وحي آمون سيوه كبيرة في العالم اليوناني، وتلقي نبوءاته تقديرا عظيما ، وتسليما بصدقها وصحتها ، وربما يرجع ذلك إلى قرب سيوه من مدينة قوريني . "إقليم برقة" . اليونانية . وأغلب الظن أن الحجاج والتجار من أبناء تلك المدينة، كان لهم الفضل الأول في شهرة هذا المعبد في العالم اليوناني[2] .

وفي طريقه إليه سلك الإسكندر الفرع الغربي للنيل، وتوقف بالقرب من بحيرة مريوط، حيث راعته الأهمية الإستراتيجية للشريط الضيق، الممتد من الشرق إلى الغرب، والمحصور بين البحيرة والبحر المتوسط، ووجود مصب فرع النيل الكانوبي بالقرب منه . وبنظرة ثاقبة رأى أنه يستطيع أن يقيم حاضرة و ميناء . تلتقي فيه تجارة الشرق والغرب، وتتحول إليه طرق التجارة من الساحل الفينيقي . وبالقرب منه كانت قرية مصرية تدعى راقودة، قرر تأسيس مدينته التي أخذت اسمه فيما بعد "الإسكندرية" (أنظر الملحق رقم 02)، والتي ظلت تتربع على عرش التجارة بين الشرق والغرب ردحا من الزمن، ولما لم يكن هناك

---

1 - *Arrian*, III,1,4. .

2 - عبد الحليم محمد حسن، المرجع السابق، ص 19. 20 .

وقت للإقامة، حتى اكتمال بناء المدينة، فقد أوكل أحد معاونيه من المهندسين الذين كانوا برفقته واسمه دينوقراط بإكمال بنائها، وجعلها نموذجا من المدن الإغريقية. ولا نعرف بالضبط التاريخ الذي وضع فيه أساس هذه المدينة. إلا أن البطالمة احتفلوا بعيد وضع أساسها كل عام، في اليوم الخامس والعشرين من الشهر الخامس من السنة المصرية القديمة، وهو شهر طوبة الموافق للعشرين من شهر يناير عام 331 ق.م[1].

وتعتبر الإسكندرية أهم إنجاز اتخذه الإسكندر في مصر، حيث جعل منها عاصمة البلاد الجديدة، والتي عرفت فيما بعد شأنا عظيما في عصر البطالمة. وحتى في عهد الرومان وبعد اختيار المكان واصل الإسكندر مسيرته بمحاذاة الساحل الشمالي لمصر نحو معبد سيوه، وعند مدينة باريتونيوم. مدينة مرسى مطروح حاليا. التقى الإسكندر بوفد من مدينة قوريني يعلن المبايعة ويقدم الهدايا[2]، وقد اهتم المؤرخون قديما وحديثا بتفاصيل رحلة الإسكندر إلى سيوه لغرابة الفكرة ودلالتها. إذ ما الذي يحدو بقائد عسكري لم يفرغ بعد من حرب عدوه، أن يقوم برحلة خلوية لا تخلو من مخاطرة إلى قلب الصحراء الغربية بعيدا عن العمران، من أجل زيارة معبد ؟ لكن مثل هذه الرحلة تتسق وما نعرفه عن شخصية الإسكندر، التي غلب عليها التأثر الديني إلى حد التطير، إلى جانب ميل شديد للمخاطرة، والتطلع للمجهول. فليس مستغربا إذن أن تستهوي سيوه ومعبد الإله آمون* ، الذي ذاع صيته في العالم اليوناني منذ القدم، خيال الإسكندر. ليستلهم آمون الوحي عن مستقبل آماله. وقد استقبله كاهن المعبد على أنه ابن آمون. ونحن لا نعرف ما حدث بين الإسكندر ووحي الإله آمون، غير أنه لا بد أن يكون قد سأل عما يشغل باله :وهو حملته ومصير جهوده. ولا بد من أن الرد كان منبئا بتحقيق آمال الإسكندر وسيادته على العالم[3]. ولكن الإسكندر نفسه لم يفصح عن شيء، سوى أنه خرج راضيا، وكتب لأمه أولمبياس، يعدها بأنه سوف يخبرها بما دار في الوحي عندما يلتقي بها على إنفراد، عقب عودته. ولكنه لم يرجع إلى مقدونيا فقد أخذ معه سره إلى قبره[4]. (أنظر الملحق رقم 09).

1- هـ. آدريس بل، المرجع السابق، ص 39.

2- *Jouguet.p,**Alexander the Great and the Hellenstic Civilization**,Chicago*1978.*p* 29.

* - عرفت سيوة باسم واحة آمون نسبة إلى معبد هذا الإله الذي كان له شأن كبير في أنحاء العالم الهلينستي، ولا تزال بعض أطلاله موجودة إلى اليوم، هـ. آدريس بل، المرجع السابق، ص 39.

3- مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 20. 21.

4- هـ. آدريس بل، المرجع السابق، ص 39. 40.

وقبل أن يبرح الإسكندر مصر في خريف عام 331 ق.م، قام بتنظيم البلاد تنظيم دقيقا، حيث منح مصر استقلالا داخليا، ووضع وادي النيل تحت إمرة حاكمين مصريين يدعى أحدهما (بتيسيس) والآخر (دولوسبيس) لكن الأول لم يلبث أن اعتزل منصبه، فانفرد الأخير بالحكم. ووضعت الأقاليم المتاخمة للدلتا تحت إشراف رجلين من الإغريق. فقد نصب أبولونيوس حاكما على المقاطعة الليبية. وكليومنيس النقراطيسي حاكما على المقاطعة العربية. وكلف كليومنيس بأن يفرض على الحاكمين أن يراعيا في حكمهما التقاليد المصرية القديمة. وبأن يحصل منهما الضرائب بعد قيامهما بجمعها. وبذلك كانت الإدارة المالية بأجمعها في قبضته. كما أنه عهد إليه بالسهر على إنشاء مدينة الإسكندرية، وترك الإسكندر مصر في حماية جيش عهد بقيادته إلى بيوكسيتيس، وبلاكروس، وأسطول بحري، عين على رأسه القائد بوليمون، إضافة إلى حاميات عسكرية على الحدود وفي ممفيس وبلوزيوم[1].

ومن الواضح أن النظام الذي اتخذه الإسكندر بمصر تميز بظاهرتين: أولهما تقسيم السلطة بين عدد من الأفراد لتفادي خطر إنفراد واستبداد أحد بها، مما كان يتعارض مع مصالح الإمبراطورية، ولا سيما في بلد مثل مصر. إذ أنه كان من السهل على أي شخص قوي أن يحميها من الغارات الأجنبية لمنعتها. وإذا كانت السلطة قد آلت كلها إلى كليومنيس، فذلك ليس مرده إلى النظام الذي وضعه الإسكندر، وإنما لضعف الحكام الآخرين، ومهارة وذكاء كليومنيس نفسه. والظاهرة الأخرى هي روح العطف التي أبداها الإسكندر تجاه المصريين. إذ أن الإسكندر اختار من بين المصريين حاكمي الوجه البحري والوجه القبلي. وإذا كان هذا النظام يتماشى مع الطريقة التي اتبعها في حكم الولايات الأخرى، فهل عندما استبدل في نهاية حياته في أغلب الحالات مقدونيين أو إغريق بالشرقيين لأن هؤلاء خانوه. أو غدروا به فعل ذلك أيضا في مصر؟ هذا جائز، فكتاب الاقتصاد المنسوب لأرسطو يقرن اسم كليومنيس بلقب ساتراب أي وال[2]. والخطبة المنسوبة إلى ديموستنيس تصف كليومنيس بأنه حاكم مصر. ويقول باوسانياس صراحة أن الإسكندر عين كليومنيس واليا على مصر. غير أن مصدرنا الرئيسي وهو أريانوس وكذا كوينتوس قورتيوس لا يذكران أي شيء من ذلك. ولو صح أن الإسكندر عين كليومنيس واليا

1 - *Arrian*, III,5,3-6.

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق ج01، ص 35.

على مصر، لأحترم خلفاؤه إرادته. ولما عينوا بطلميوس مكانه فالمؤكد هو أنه إلى غاية وفاة الإسكندر لم تكن مصر سوى ولاية يهيمن عليها كليومنيس[1].

والمتتبع لأعمال كليومنيس منذ توليه هذا المنصب، أنه انتهج سياسة مقصودة لاحتكار تجارة القمح عن طريق السيطرة على السوق المصرية. ليصبح هو المصدر الوحيد للقمح المصري. وبهذا الأسلوب استطاع التحكم في تجارة القمح العالمية، وتحديد أسعاره في الخارج على نحو يحقق الربح الوفير. وأول ما قام به هو القضاء على منافسيه في مصر، من الكهنة وكبار المزارعين والمصدرين للقمح. حيث تذكر إحدى الروايات أنه لدى زيارته لمنطقة الفيوم وكانت تقدس التماسيح، ابتلع تمساح أحد عبيده. وانتقاما منه أمر بصيد جميع التماسيح الموجودة، فخشي الكهنة على إلههم من الإهانة فجمعوا ما استطاعوا من مال وذهب وقدموه لكليومنيس، وبذلك رضي وهدأت ثورته. وقد اتبع هذه السياسة مع سائر الكهنة في مصر، وذلك قصد إخضاعهم سياسيا واقتصاديا. بعد ذلك اتجه إلى المزارعين واتفق معهم على أن يبيعوه القمح بالسعر الذي كانوا يصدرونه به، وبذلك احتكر تجارة القمح وحده[2].

أما عن تحكمه في الأسواق الخارجية العالمية فقد عمل على استغلال مجموعات من السماسرة، قام بتوزيعهم على حوض المتوسط يرسلون إليه الأخبار عن أسعار القمح حيثما فقد، وبيعه بالسعر الذي يفرضه بنفسه، حتى يقال أنه باع الكيل الواحد من القمح في بعض الأزمات بمبلغ 32 دراخمة. بينما كان السعر العادي له كان يتراوح ما بين 05 و 10 دراخمات فقط. غير أن السؤال الذي نطرحه هنا هو: هل قام كليومنيس بهذا النشاط لحسابه الخاص أم لصالح الدولة؟ ليس لدينا رد قاطع، لكننا نستنتج من خلال لغة مصادرنا القديمة، أن كليومنيس قام بالتجارة على أساس أنه رجل دولة. وهناك دليل آخر وهو أن بطلميوس الأول تسلم منه مبلغ ثمانية آلاف تالنتوم، مما يدل على أن أرباحه كانت تذهب إلى الدولة[3]. زيادة على ذلك فقد اقترن اسمه بالإسكندرية عاصمة البطالمة فيما بعد، حيث قطع فيها شوطا كبيرا من الناحية العمرانية وخاصة في استغلال الميناء وتطويره. حيث احتلت الإسكندرية مكانة تقراطيس التجارية. وليس أدل على ذلك من وجود دار نشيطة بها لسك العملة ابتداء من عام 326 ق.م.

---

1 - نفسه، ج01، ص 36.

2 - عبد الحليم محمد حسن، المرجع السابق، ص 26. 27.

3 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 23. 24.

هكذا كان الإسكندر في مصر وحينما ذهب إلى فينيقيا عام 331 ق.م، لم يعد إليها مرة أخرى. لكن جثمانه أعيد ليدفن بها في منف، وظل بها فترة من الزمن، ويقال أن بطلميوس الثاني نقله إلى الإسكندرية بعد ذلك .

3. قيام دولة البطالمة في مصر:

إن من أعقد مواقف التاريخ ذلك الموقف الذي نتج بعد وفاة الإسكندر فجأة في جوان عام 323 ق.م. ذلك أن هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف، التي أنشأها في سرعة غريبة وشملت شعوبا وأقطارا متباينة أشد التباين، لم تكن قد خضعت لنظام سياسي وإداري محكم يكفل لها البقاء والاستمرار، كما أن مسألة وراثة العرش لم يكن الإسكندر قد تفرغ بعد لتنظيمها في الوقت الذي لم يكن له وريث شرعي[1]. وقد جاء في بعض الروايات أن الإسكندر وهو في اللحظات الأخيرة من عمره سأله أحد معاونيه عمن هو أجدر بحكم الإمبراطورية من بعده؟ فأجابه قائلا : "**للأقوى منكم . . .**"[2] وقد كان ذلك حقيقة فقد كان موت الإسكندر المفاجئ وبلا وريث مدرب على حكم الإمبراطورية الجديدة، ومدعم من الجيش المقدوني، بمثابة الزلزال الذي عصف بالإمبراطورية، واستمر ما يقارب الأربعين عاما تحطمت في نهايته أحلام الإسكندر، وتحولت إلى ممالك صغيرة، حكمها هؤلاء الورثة وأورثوها من بعدهم لأولادهم، وهو ما عرف باسم الممالك الهلينستية* . فقد كان يحيط بالإسكندر مجموعة من كبار الضباط، كل واحد منهم كان طامعا في أن يرث الإسكندر ويتخلص من رفاقه. كما كانت بلاد اليونان تتحين الفرصة للتخلص من السيادة المقدونية، التي فرضها عليهم فيليب الثاني وابنه. فعندما وصلت أنباء موت الإسكندر إلى أثينا، صاح أحد الخطباء من أصحاب الإسكندر واسمه ديماس قائلا : "**ماذا سيحدث للدنيا** ؟" . فقد اعتبر رفاق الإسكندر أنفسهم ورثة الإمبراطورية، وكل كان يرى أنه الأقوى[3] .

ولما كانت المناداة بالملك وفقا للتقاليد المقدونية، من حقوق الجيش، فإن قواد الجيش عقدوا مؤتمرا في بابل غداة موته هناك في 323 ق.م ليبحثوا مشكلة حكم الإمبراطورية المقدونية. ويرجح أن القادة برغم المطامح الشخصية التي كانت تجيش

---

1 - نفسه، ص 28 .

2 - *Diod*, XVII.117.

* - الهلينستية : مصطلح حديث أطلقه المؤرخون على الفترة الممتدة من وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 ق.م وحتى قيام الإمبراطورية الرومانية على يد الإمبراطور أغسطس عام 31 ق.م وذلك لتمييز هذا العصر عن سابقه وهو العصر الهللينى .

3 - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 95 .

في نفوسهم، قد حرصوا جميعا في مؤتمرهم هذا على الاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية المقدونية، لأنهم كانوا قبل كل شيء مقدونيين يخشون أن يدكوا دعائم ذلك الصرح الهائل الذي شيدته مقدونيا . وإذا كان قواد الإسكندر قد اتفقوا على الاحتفاظ بكيان الإمبراطورية، فإن آرائهم قد تباينت في الطريقة التي تتبع في حكمها . ففي الوقت الذي كان بعضهم يريد إقامة سلطة مركزية قوية مدفوعا إلى ذلك إما بدافع الإخلاص للأسرة المالكة، وإما بدافع الأمل في الاشتراك في السلطة المركزية، كان البعض الآخر يفضل ألا يرى في مقر الإمبراطورية سلطة موحدة مستقرة . معللا النفس بالحصول على إحدى ولايات الإمبراطورية والاستقلال بإدارتها[1] . وما من شك أن برديكاس كان أقوى شخصية في بابل في ذلك الوقت . إذ أنه كان صاحب المركز الأسمى في الحملة بعد الإسكندر، كما أنه كان بمثابة رئيس أركان حربه . لذلك لم يكن غريبا أن يشعر أنه صاحب الحق الأول في تولي مقاليد الأمور بنفسه . فقد قدم اقتراحا تمثل في تأجيل البت في ولاية العرش حتى تلد روكسانا زوجة الإسكندر . فإذا جاء مولودها ذكرا ولي العرش . لكن مليا جوس أحد القواد البارزين، اختار أرهيدايوس أخ الإسكندر غير الشرعي بأن يكون ملكا . أما بطلميوس فقد اقترح أن يبق عرش الإسكندر شاغرا، وأن يعهد إلى إدارة الإمبراطورية إلى قواد الجيش رافضا أن يحكمه رجل معتوه من نسل غير شرعي، أو سليل سيدة شرقية، لأنه كان يرى بأن المقدونيين لم يقهروا الفرس لكي يخضعوا لسلالتهم[2] .

ولا جدال في أن هذا الاقتراح يخفي وراءه تعطشا شديدا للسلطة، ورغبة قوية في الإستقلال بحكم إحدى ولايات الإمبراطورية، بل يحمل في طياته بذور تفتيتها وانحلالها . وأمام تشدد برديكاس ووقوف فرقة الفرسان إلى جانبه، وإصرار مليا جروس وفرق المشاة على رأيهم، كادت أن تنشب نيران الحرب بين الفريقين، لولا حنكة بطلميوس السياسية ومهارة يومنيس سكرتير الإسكندر، الذين تدخلا وتمكنا من حزم النزاع والوصول إلى حل وسط، يقضي بأن يرتقي أرهيدايوس العرش تحت اسم فيليب، والاعتراف بحق جنين روكسانا إذا كان ذكرا في مشاركة فيليب الملك بمثابة شريك له تحت الوصاية[3] .

هكذا إذن تجنب القادة الدخول لساحات المعارك، وحافظوا على بقاء وحدة الإمبراطورية على الرغم من أنها كانت وحدة شكلية . وتم تقسيم الإمبراطورية إلى ولايات، أسندت كل ولاية إلى قائد يحكمها باسم البيت المالك، فتم تعيين برديكاس

---

1 - *Diod*, XVIII.30. -

2 - فادية محمد أبوبكر، المرجع السابق ص 46 .

3 - *Wallbank.F.W*, ***Tle Hellenistia World.****London*1992.p 48. -

وصيا على العرش، وتولى بطلميوس بن لاجوس ولاية مصر، وعين أنتيجونوس مشرفا على آسيا الصغرى. وأسند إلى لاوميدون سوريا، وإلى أنتيبا تروس بلاد اليونان[1]، وعين لوسيماخوس على رأس ولاية تراقيا، وملياجروس على فينيقيا. أما سليوقس فقد عين قائدا على بابل. واتخذ كل قائد اسم ساتراب، بمعنى وال. وقبل أن يرحل الساترابات وضعت روكسانا مولودا ذكرا، وسمي الإسكندر الرابع، وعين ملكا شريكا لفيليب واختير أنتيجونوس وصيا عليه. وبذلك حسمت مسألة ولاية العرش مؤقتا[2]. ولقد هيمن على تركة الإسكندر أربعة من القادة، سيصبحون هم والأسر المالكة التي أنشاؤها محور التاريخ على مدى القرون الثلاثة التالية. وهم: أنتيجونوس ولوسيماخوس وسليوقوس وبطلميوس بن لاجوس، وهذا الأخير هو من يعنينا في دراستنا هذه.

وبداية من هذه اللحظة بدأت تظهر في مصر معالم دولة جديدة وأسرة جديدة. وقد كان بطلميوس مؤسسها، حيث كان على علم تام بقيمة الغنم الذي فاز به. ويقال أنه كان متفقا مع برديكاس بتعيينه ساتربا على مصر إذا ناصره في صراعه من أجل السلطة. لذا فإنه بمجرد صدور قرار توزيع المسؤولية في الإمبراطورية سارع بطلميوس إلى الالتحاق بولايته[3].

إن الحديث عن دولة البطالمة التي خلدت اسمها في التاريخ، وعمرت لفترة ليست بالقصيرة وكان لها دور كبير في تحويل المسار التاريخي لعالم حوض المتوسط، يسوقنا إلى معرفة مؤسسها الذي أرسى دعائم هذه الإمبراطورية، ونقصد بذلك بطلميوس بن لاجوس، (أنظر الملحق رقم 10) فهو ينتمي إلى عائلة مقدونية نبيلة. وكان أكبر من الإسكندر ببضعة أعوام، ويعد من أصدقائه المقربين. فقد لازمه في المنفى في أبيروس حين تعرض الإسكندر وأمه أولمبياس لغضب فيليب. وتقرر نفيهما من مقدونيا، وعاد بطلميوس إلى وطنه مع الإسكندر بعد انتهاء النفي، ولازمه حتى وفاته. ونظرا لبلائه الحسن في المعارك التي خاضها مع الإغريق، عين عضوا في مجلس الحرب الأعلى. وقد حرص بطلميوس على تسجيل مذكراته في أثناء مشاركاته في حملات صاحبه. وعلى الرغم من عدم وصول هذه المذكرات إلينا إلا أننا عرفنا محتوياتها من خلال كتابات أريانوس الذي أخذ عنه[4].

---

1 - أبو اليسر فرح، **تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان**، (القاهرة؛ عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية؛ 2004)، ص 40.

2 - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 97.

3 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 30.

4 - أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص 40.

كان بطلميوس يدرك جيدا بأن سيف القائد العسكري يمكن أن يتحول إلى صولجان ملك، ولذلك بمجرد وصوله إلى مصر عام 323 ق.م بعد خمسة أشهر من وفاة الإسكندر، رأى ضرورة التخلص من كليومنيس النقراطيسي ـ الذي كان مشرفا على أمورها المالية في عهد الإسكندر الأكبر، وكان برديكاس في مؤتمر بابل قد عينه نائبا له في حكم مصر ـ وذلك لأنه كان يدرك مدى الصداقة التي كانت تربط ما بين كليومنيس وبرديكاس الذي كان لا يطمئن لبطلميوس. وقد واتته تلك الفرصة عندما راح يتلقى شكاوى من الأهالي، جراء الإجراءات المالية التي طبقها كليومنيس فأمر بإعدامه ومصادرة أملاكه[1]. وسلك بطلميوس في حكمه سلوك الحاكم المستقل، ولم يسمح للسلطة المركزية أن تتدخل في شؤون ولايته. فعمد إلى الاحتفاظ بدخل ولايته لنفسه، ولم يفكر في إرسال نصيب منها إلى السلطة العليا في الإمبراطورية، وعمل على إنفاقها في استقدام وتجنيد المرتزقة المقدونيين وكذا المصريين. و بنى لنفسه قوة عسكرية تمكنه من مواجهة أي خطر. وكانت تصرفات بطلميوس هذه بمثابة رسالة واضحة إلى برديكاس، بأنه فيما يتعلق بولاية مصر عليه أن يتعامل معه وحده وبصفته نظيرا له وليس تابعا يتلقى أوامره[2].

لقد عمل بطلميوس على تامين حدود ولايته. وفي هذا الإطار استجاب لطلب قوريني، وهي مستوطنه إغريقية تقع على حدود مصر الغربية(ليبيا الحالية)، والتي كانت تعاني من الإضطرابات والفوضى. فأرسل قوة تمكنت من الاستيلاء على هذه الولاية وضمها لمصر عام 322 ق.م[3]. وبهذا التوسع ظهرت نوايا الاستقلال لدى بطلميوس (أنظر الملحق رقم 03). وكذلك كان الشأن بالنسبة للولاة الآخرين. ومن ناحية أخرى لم يكن الولاة أقل توجسا في نظرتهم إلى برديكاس ومحاولاته الإستحواذ على العرش المقدوني. وكان قد تقرر في مؤتمر بابل تحنيط جثمان الإسكندر على يد أطباء مصريين ودفنه في مقدونيا. وقد حاول بطلميوس جاهدا إقناع القادة بأن الإسكندر أوصى بدفنه في واحة سيوه، في رحاب معبد الإله آمون، إلا أنهم رفضوا هذه الفكرة. لكن بطلميوس بيت النية على تنفيذ فكرته، واتفق مع الضابط الذي كلف بنقل جثمان الإسكندر بتحويل مسار الجنازة عند سوريا باتجاه مصر. وتمكن بطلميوس من إحراز النصر باستحواذه على جثمان الملك ودفنه في المنفى. وكان يرمي من وراء هذه الخطوة جعل مصر عاصمة للإمبراطورية المقدونية. لأنها تحوي قبر مؤسسها، والذي كان مقدسا عند الإغريق[4].

---

1 - لطفي عبد الوهاب يحيى، **دراسات في تاريخ مصر (عصر البطالمة)**، (الإسكندرية؛ مركز التعاون الجامعي؛ 1967)، ص 116.

2 - عبد الحليم محمد حسن، المرجع السابق، ص 34.

3 - *Wallbank.F.W,op cit,p* 49.

4 - أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص 42.

وأمام طموح بطلميوس ونواياه الاستقلالية، قرر بردسكاس وضع حد لهذا الوالي. ففي ربيع عام 321 ق.م سار على رأس قواته قاصدا مصر. وعلى الرغم من أنه اختار الوقت المناسب لعبور نهر النيل، إلا أنه لم يحسن اختيار الوقت المناسب لعبور الفرع البلوزي للنهر[1]. وأصبحت قواته مهددة بالغرق مما اضطره إلى الإنسحاب. غير أن سياسته التعسفية تجاه جنوده جعل قادته برئاسة سليوقس يتآمرون عليه ويقتلونه. وبذلك فشلت الحملة واجتمع القادة الحلفاء في تريبارادیسوس(شمال سوريا) لإعادة توزيع الإمبراطورية. ونتج عنه إعلان أنتيبا تروس وصيا عاما على الإمبراطورية. وقد صحب معه الملكين إلى مقر حكمه في مقدونيا. كما تعزز مركز بطلميوس في مصر وقوريني، وبقي أنتيجونس حاكما في فريجا، وعين قائدا عاما للجيش. وكلف بإخضاع أتباع برديكاس، وثبت لوسيماخوس في طراقيا. أما سليوقس فقد منح ولاية بابل[2].

واستمر الأمر على هذا الحال حتى عام 319 ق.م، تاريخ وفاة أنتيبا تروس، والذي كان قد عين قبل وفاته بوليبرخون خليفة له. فانتهز بطلميوس فرصة الخلافات التي ظهرت بعد أنتيبا تروس بين ابنه كاساندروس والقائد بوليبرخون، واستولى على جنوب سوريا. وعرض على كاساندروس عقد حلف معه، بغية تأمين حدوده الجديدة. وبما أن عائلة الإسكندر لم تكن بمنأى عن هذه الصراعات، فقد انحاز فيليب أرهيدايوس وزوجته الطموحة يورديكى إلى كاساندروس، بسبب كراهيتهم لأولمبياس أم الإسكندر التي كانت تؤيد بوليبرخون، مما دفعها إلى التآمر عليهما وقتلهما عام 317 ق.م. أما روكسانا وابنها الإسكندر الرابع فقد أصبحا في قبضة كاساندروس، الذي نجح في السيطرة على مقدونيا بعد فرار بوليبرخون[3].

وفي خضم هذه الأحداث برز أنتيجونس كقوة عظمى. وأخذ يحلم بإحياء إمبراطورية الإسكندر، فقام بالسيطرة على آسيا الصغرى، وسار إلى بابل أين عامل واليها معاملة التابع له، وأطلق على نفسه لقب ملك آسيا. فاضطر سليوقس إلى اللجوء إلى بطلميوس علّه يجد منه المساعدة في إستعادة ملكه[4]. وبالفعل فقد عينه على رأس أسطوله في البحر المتوسط، مما أغضب أنتيجونس وجعله يهاجم إقليم سوريا عام 315 ق.م. واضطر بطلميوس إلى الإنسحاب منها، وواصل زحفه

---

1 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 34.

2 - *Errin gton.R.M, From Babylom to TriparadeiSOS* 323-320 *B.C .J.H.S.1970.pp* 49-77

3 - *Jouguet.op cit, P* 142.

4 - *Jouguet.op cit, P* 147.

حتى مدينة غزة . وفي هذه الأثناء كان بطلميوس قد استولى على جزيرة قبرص . وأدت تجاوزات أنتيجونوس إلى إقامة حلف ضده، ضم كلا من بطلميوس ولوسيماخوس وكاساندروس . وفي عام 312 ق .م تمكن بطلميوس من استعادة سوريا التي كانت تحت إمرة ديميتريوس بن أنتيجونوس . ونظير جهود سليوقس في تحقيق هذا الانتصار، فقد أمده بطلميوس بقوة عسكرية مكنته من استعادة ولاية بابل . وفي عام 311 ق .م عاد ديمتريوس وأبوه إلى سوريا ، واضطر بطلميوس إلى الانسحاب منها مرة ثانية[1] .

ونظرا لتضارب المصالح وكثرة الحروب اتفق القادة على عقد صلح عام 311 ق .م تخلى بموجبه بطلميوس على سوريا ، وتم الإعتراف بأحقية كاساندروس على مقدونيا ، حتى يبلغ الإسكندر الرابع سن الرشد ، وأبقيت تراقيا للوسيماخوس، ويحكم أنتيجونيوس آسيا . وأرخ هذا الإتفاق باسم الملك الطفل غير أن كاساندروس خشي أن يبطل حقه في الملك بعد بلوغ الإسكندر الرابع سن الرشد ، فقام بقتله هو وأمه روكسانا وذلك قبل مضي عام من توقيع الإتفاق[2] .

وبمقتل الإسكندر الرابع فقد اتفاق عام 311 ق .م قيمته الفعلية . وبدأ بطلميوس في استعادة سيادته البحرية بالسيطرة على المدن اليونانية تحت شعار: "مبدأ تحرير الإغريق" . وبسط نفوذه على بعض القواعد في بامفوليا ، ولوقيا وقاريا . كما استولى على جزيرة كوس، وجزر الكيكلاديس . وبذلك خلف مكانة أنتيجونس في عصبة الجزر التي كان قد ألفها بزعامته . ولما أحس بطلميوس بأن حليفه كاساندروس بدأ يتذمر منه نتيجة تدخله في شؤون بلاد الإغريق، فإنه ما لبث أن عقد معه اتفاقا وعاد أدراجه إلى الإسكندرية[3] . ونتيجة لنمو قوة بطلميوس البحرية، رأى أنتيجونوس أن يوجه ضربة قاضية له، فأعد في عام 306 ق .م جيشا يتألف من ثمانية وثمانين ألف جندي، وسار برا عبر سوريا ، يشد أزره ابنه ديمتريوس الذي كان يسابر والده بقيادته للأسطول البحري، غير أن العوامل الطبيعية المتمثلة في العواصف والرياح الشمالية، جعلت من الصعب عليه دخولها . ولم يتمكن أسطول ابنه من الوصول إلى ساحل مصر، ولما أحس بأنه وقع في الموقف الذي صادفه بيرديكاس من قبل، عاد أدراجه وانسحب إلى سوريا . أما ديمتريوس فقد ضرب حصارا على جزيرة رودس ما يقارب عاما ونصف . لكنها قاومته بفضل إمدادات بطلميوس لها . ولذلك اتخذه أهلها إلها منذ عام 304 ق .م . ومنحوه لقب سوتر أي المنقذ[4] .

---

1 - *Jouguet.op cit, P* 148.

2 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 37 .

3 - *Diod,* XX.21.

4 - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 172 .

ومما هو جدير بالذكر أن أنتيجونوس اتخذ لنفسه لقب ملك لكي يخلف بذلك مكانة الإسكندر، لكن بطلميوس تحداه وأعلن نفسه ملكا في ولايته عام 305 ق.م، وتبعه بذلك جميع القادة الآخرين. وهم كاساندروس في مقدونيا، وسلسوقس في سوريا و هكذا ظهرت الممالك الثلاث الكبرى التي قدر لها أن تسيطر على العالم الهيلينستي(أنظر الملحق رقم 04)، لكن لا بد من الإشارة إلى أن بطلميوس الأول لم يقصد مما خاضه من حروب خارج مصر ومن تحالفه مع هذا تارة ومع ذاك تارة أخرى سوى الوصول إلى هدفه، وهو الإنفراد بحكم مصر، وتكوين أسرة مالكة يكون هو مؤسسها وأول حكامها (أنظر الملحق رقم 11) وتأمين مركزه في مصر وحمايتها ضد أي هجمات خارجية. كما أنه لم يكن يلقي بالاً لفقدان جزء أو منطقة كان قد استولى عليها في سبيل الاحتفاظ بمصر[1].

غير أنه يجدر بنا أن نشير إلى أن دولة البطالمة مرت بمرحلتين أساسيتين خلال الفترة التي سيطرت فيها على مصر والتي دامت قرابة الثلاثة قرون. حيث تبدأ المرحلة الأولى من انفراد بطلميوس الأول بحكم البلاد. وقد عرفت هذه المرحلة بفترة الازدهار والقوة. والتي امتدت إلى غاية 217 ق.م حيث كانت موقعة رفح التي يعتبرها المؤرخون نقطة تحول تاريخية في حياة هذه الدولة. وامتدت المرحلة الثانية إلى غاية سقوط الدولة على أيدي الرومان في عهد الملكة كليوبترة السابعة سنة 31 ق.م.

1- *Wallbank.F.W,op cit,p* 55.

الفصل الثاني :

السياسة الاقتصادية والنظام المالي للبطالة

1 . الزراعة ونظام الأراضي :

1 . 1. الزراعة .

1 . 2. نظام الأراضي .

2 . الصناعة :

2 .1. سياسة البطالة الصناعية

2 .2. نظام الصناعات والحرف .

3 . التجارة :

3 .1. التجارة الداخلية .

3 .2. التجارة الخارجية .

3 . 3. نظم التجارة الخارجية .

لقد وضع أسس السياسة الاقتصادية والنظام المالي للبطالمة عموما مؤسس أسرتهم بطلميوس الأول، ووطد دعائمها فيلادلفوس، وسار على هديها باقي ملوك الأسرة بالمقدار الذي سمحت به الظروف، وإذا كان البطالمة المتأخرون قد عجزوا عن مجاراة أسلافهم في إتباع سياستهم الاقتصادية الرشيدة، فإنهم تمسكوا تمسكا شديدا بالنظام المالي، ولهذا ظلت معالمه رئيسية واحدة طوال العصر البطلمي [1] ، ولا مجال للشك في أن نفوذ البطالمة في مصر، وفي السياسة الدولية، كان يرتكز أساسا على استغلال موارد مصر الاقتصادية استغلالا منظما دقيقا . وقد كان يتعذر على البطالمة الأوائل تنفيذ سياستهم الخارجية ما لم يمتلكوا جيشا قويا وأسطولا مهيمنا . وكان إنشاء هذين السلاحين، ودفع مرتبات رجالهما، وإمدادهما بالمعدات، يتطلب أموالا طائلة . ولكي يتمكن البطالمة الأوائل من بناء قواتهم على غرار قوات منافسيهم، والاستفادة من أصحاب المواهب و أصحاب رؤوس الأموال، في إعادة تنظيم شؤون البلاد، والنهوض بمرافقها الاقتصادية، عملوا على استقطاب الإغريق وأمثالهم للقدوم إلى مصر والاستقرار فيها على الدوام . وباستقرار أعداد كبيرة من الأجانب في البلاد ازدادت المطالب الواجب مواجهتها فقد كان يتعين عليهم سد احتياجاتهم واحتياجات أهالي البلاد، بالإضافة إلى تكاليف مشاريع التجميل والتعمير لتحقق دولة البطالمة المظهر اللائق بمكانتها [2] . وبالإضافة إلى الأعباء الآنفة الذكر، فقد كان البطالمة مضطرين للإنفاق على حلفائهم لكسب ودهم، للحيلولة دون استحواذ منافسيهم عليهم، من ملوك العالم المتأغرق [3] . وفي ذلك يقول ديودور الصقلي: بأن بطلميوس الأول بادر في عام 305 ق.م إلى إمداد رودس بالقمح والمواد الغذائية الأخرى عندما كان أنتيجونوس يحاصرها [4] .

وخلاصة القول أن حاجة البطالمة الأوائل الملحة إلى المال هي التي حفزتهم للنهوض بمرافق البلاد الاقتصادية . إذ أن توفير الأموال اللازمة كان يقتضي زيادة الإنتاج ورفع مستوى المنتجات المصرية، لسد حاجة البلاد قدر الإمكان، وتصدير الفائض منه بحيث يكون الميزان التجاري في صالح مصر . لقد أدرك هؤلاء البطالمة أن مصر غنية بمواردها الاقتصادية وأن هذه

---

1 - محمد عواد حسين، "**شؤون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد إيوارجيتيس الثاني**"، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة؛ جامعة الملك فؤاد الأول؛1947)، ص 188 .

2 - *Préaux.C, **L'économie royale des Lagides**,(Bruxelles, Fondation Égyptologique Reine Élisabeth*,1939), p 42 -

3 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 151 .

4 - *Diod*, xx.98. -

الموارد كفيلة بتحقيق مآربهم إذا أحسن استغلالها . ومن ثَم فقد وجهوا عنايتهم لزيادة الرقعة المزروعة واستخدام كافة الوسائل الفنية المعروفة في استغلال جميع موارد الثروة إلى أقصى حد ممكن[1] .

وسنبرز من خلال دراستنا للسياسة الاقتصادية للبطالمة مدى عنايتهم الفائقة بتحقيق الازدهار والقوة التي تمتعت بهما مصر، خلال فترة حكمهم لها . وذلك تحت إشراف إدارة مالية يقظة استغلت فيها خبرة المصريين العريقة ووسائل الإغريق الفنية الحديثة .

1- الزراعة ونظام الأراضي:

1.1- الزراعة:

وجهت العناية الأولى للزراعة ،وذلك لأن مصر بلد زراعي قبل كل شيء، والزراعة عماد ثروتها ، حيث يشتغل بها أغلب السكان . وكان الاهتمام بالشؤون الزراعية يهدف إلى توسيع المساحات الصالحة للزراعة، باستصلاح الأراضي البور . كما كان يرمي إلى زيادة إنتاج الأراضي المزروعة، وتنويع المحاصيل التي يمكن زرعها ، وقد كان ذلك كله يتوقف على السياسة المائية . ولهذا وجهت العناية إلى شؤون الري، وما يستوجبه ذلك من شق الترع والقنوات، وإقامة الجسور، وصيانة هذه المنشآت، وقد أمكن بفضل هذا كله استغلال الأراضي الزراعية إلى أقصى حد . كما استصلحت أراض واسعة، فزادت المساحة المزروعة زيادة عظيمة[2] . بالإضافة إلى ذلك فإن أراضي مصر كانت محظوظة طبيعيا . فالمناخ مناسب، وموارد المياه متوفرة في السنين العادية . وتعزز استغلال الموارد المائية بتنظيمها وإحكام توزيعها لضمان محصول وافر . ثم إن تربة البلاد اشتهرت بخصوبتها الفائقة، وصلاحيتها للعديد من المحاصيل الزراعية[3] . وجل معلوماتنا عن الأراضي التي استصلحت، تتركز في منطقة الفيوم، حيث تحولت في ظرف قصير في عهد بطلميوس الثاني إلى مساحات واسعة، صالحة للزراعة والعمران ،بعد أن كانت صحاري قاحلة ومستنقعات . واسم الفيوم مثلا يطلق على منخفض تبلغ مساحته حوالي ثلاثين ميلا من الشمال إلى الجنوب، وأربعين ميلا من الشرق إلى الغرب، ويقع هذا المنخفض غربي وادي النيل . وتفصله عنه سلسلة من التلال تصب

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 03.

2 - *Rostovtzeff.M, **A large Estate in Egypt in the third Century b.c**.(University Press of Wisconsin, Madison.*1922),*p*137

3 - زكي علي، **مصر البطلمية**،(الأسكندرية: مكتبة الإسكندرية؛1980)، ص 52 .

فيه مياهه . وقد اهتم أحد ملوك الأسرة الثانية عشر بإقليم البحيرة، فأقام سدا عظيما له أبواب عند رأس المنخفض، لتنظيم دخول المياه إليه وخروجها منه . وقد عرفت هذه البحيرة منذ أن زارها هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد باسم بحيرة موريس، نسبة إلى فرعون منشئ هذا السد [1] .

وعندما كان بطلميوس الأول يتطلع إلى أراض لاستقرار جنوده، وتراءت للإغريق الأراضي الخصيبة في الجانب الآخر من التلال القاحلة المجاورة للنيل، بدا لهم إمكان تجفيف جانب كبير من مياه المنخفض، والفوز بمساحات واسعة من الأراضي لزراعتها . فاستخدمت مهارة الإغريق الهندسية في هذا العمل على عهد بطلميوس الأول والثاني والثالث [2] . ولا ريب في أن أراضي الفيوم استصلحت بالتدريج، إذ أنه حين كانت بعض الأراضي تستغل استغلالا حسنا، كانت أعمال الإصلاح تجري في بعضها الآخر لإعدادها للزراعة . وكانت الحكومة هي التي تتكبد نفقات إصلاح الأراضي ومشروعات الري عامة، أما الأعمال المحلية كشق القنوات والمصارف الخاصة، واقتلاع الحشائش، فكانت تقع على كاهل الأشخاص الذين منحت إليهم هذه الأراضي [3] . وقد حفظت لنا وثيقة بردية صورة تخطيط الأرض لشق القنوات والمصارف في إحدى ضياع الفيوم، ولا يستبعد أن تكون ضيعة أبولونيوس وزير مالية بطلميوس الثاني في فيلادلفيا . وترينا وثائق زينون وكيل أشغال أبولونيوس مدى عناية هذا الملك ووزيره بأعمال التعمير والإصلاح في الفيوم . ولما كان يتعين استغلالها بمجرد إصلاحها، فإنه كان طبيعيا أن لا يقوم بهذا العمل جنود ليست لديهم خبرة، ويمكن استدعاءهم في أي لحظة لميادين القتال . ولذلك فإن الوسيلة الوحيدة لاستغلالها في الحال كانت اجتذاب بعض الفلاحين المصريين من المديريات المزدحمة بأهلها، وبخاصة من الدلتا لاستغلال أراضي الفيوم اختياريا وأحيانا إجباريا [4] . ولعل أبلغ دليل على اهتمام البطالمة الأول بالزراعة هو أنه لم تكن توجد بمصر خلال القرن الثالث قبل الميلاد أراض صالحة للزراعة ولم تزرع [5] . ونشير في هذا الصدد أن عمل استصلاح الأراضي كان يقوم به عادة رجال أحرار تحت إشراف متعهدين تنقدهم أجرهم الحكومة أو أرباب الأرض . ويبدو أنه لم يكن لتسخير الأهالي شأن كبير

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 04. 05.

2 - *Rostovtzeff.M,* ***The Social and Economic History of the Hellenistic World****,(Oxford.*1941),01 *Vol, p* 360 – 361-

3 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 191 .

4 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 07.06 .

5 - *Rostovtzeff.M,* ***A large Estate in Egypt in the third Century b.c.*** *p* 137. -

في إتمام هذا العمل، وان كنا نسمع عن استخدام بعض المجرمين المسجونين لهذا الغرض في بعض الأحيان[1].

وكان طبيعيا أن يساير إصلاح أراضي الفيوم إنشاء عدد من البلديات والقرى وصلت إلينا أسماء 114 منها تحمل 66 منها أسماء إغريقية و48 أسماء مصرية. ذلك أن غالبية سكان المدن الأولى إغريقيون والثانية مصريون. فلا غرو إذن أن تكون مديرية الفيوم قد تميزت عن غيرها من سائر مديريات مصر بصبغتها الإغريقية، وأمدت الباحثين بكمية وافية من الوثائق البردية الإغريقية[2]. ويلاحظ أن أسماء كثير من قرى الفيوم تشبه أسماء قرى مصرية في مصر الوسطى والسفلى، مما يدل على أن سكان هذه القرى الجديدة في الفيوم قد نزحوا إليها من تلك القرى القديمة. ومن المرجح أن الأعمال الجليلة التي قام بها المهندسون الإغريق والتي حققت استصلاح مساحات واسعة من الأراضي، لم تكن مقتصرة على منطقة الفيوم وحدها، بل امتدت أيضا إلى مناطق أخرى تشبه الفيوم[3].

وكان من الطبيعي أن يعتني البطالمة بأهم شيء يخص الزراعة وهو تنظيم توزيع المياه. وبخاصة عقب الفيضان وانحسار المياه التي غمرت الأراضي على جانبي النيل. وقد تطلب ذلك سهرا دائبا وإشرافا دقيقا على الأيدي العاملة من أجل تشييد عدد من السدود، وحفر شبكة من القنوات لتوصيل المياه إلى المناطق البعيدة عن مجرى النيل الأصلي. ولم يكتف البطالمة بذلك فحسب، فاستخدموا الساقية والطنبور (لولب أرخميدس) في توصيل المياه إلى الأراضي المرتفعة، بعدما كانوا لا يستخدمون إلا الشادوف– وكانت هاتان الآلتان من ثمرة العلم الإغريقي–. ويلاحظ أن الساقية لم تذكر فيما وصل إلينا من وثائق عصر البطالمة، إلا وثيقة واحدة من القرن الثاني قبل الميلاد[4]. وقد ذكر لنا ديودور الصقلي بأن الطنبور كان يستخدم في ري أراضي الدلتا[5]. وكان تنظيم العمل في هذا المجال يتطلب أحيانا اللجوء إلى السخرة وإكراه الناس جسديا وماديا. وهذا ما كان يحدث فعلا في مصر الفرعونية. فطبقه البطالمة وعلى وجه الخصوص الملوك الثلاثة الأوائل وطبقوه بحذافيره، ثم زادوا عليه من حيث الرقابة واستخدام الأساليب الهندسية. فكانت التحسينات والتصويبات التي أدخلها اليونان كفيلة بتحسين

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 08.

2 - *Rostovtzeff.M*, op cit.p 09-10.

3 - *Rostovtzeff.M*, ***The Social and Economic History of the Hellenistic World***,*01vol. p* 361.

4 -*Edgar*, ***Zenon Papyri in the University of Michigan Collection*** *(Ann Arbor,Univ. of Mich. Press,* 1931*).* .p 10

5 - *Diod, I*.34.

أحوال مصر زراعيا واقتصاديا بدرجة ملحوظة . وكانوا مؤتسين بالفراعنة يمنحون بعض الإعفاءات مقابل هذا العبء لأفراد وطوائف معينة من اليونانيين أو الكهنة ورجال الدين[1] .

وتفاديا لعدم إضعاف الأرض بزرعها بمحصولات مجهدة باستمرار، وضع نظام دقيق للدورة الزراعية . ومن أجل ذلك قسمت المساحات الزراعية إلى ثلاثة أقسام يزرع قسمان منها قمحا أو شعيرا، ويزرع القسم الثالث بمحصولات لا تجهد الأرض، كالعدس والفول وغيرهما، ثم تتناوب الأقسام هذه المحاصيل[2] . ولازالت هذه الطريقة متبعة حتى يومنا هذا . وقد استخدمت أنواع من السماد الطبيعي كروث الحمام والبهائم والأتربة القديمة التي تجمع من خراب القرى القديمة[3] . وقد كان الفلاح يعد أرضه بمحراث خفيف سنه من الخشب أو الحديد، ويجره ثيران أو بغال، وفي بعض الأحيان يجره رجال . ويعزق الأرض بفأس أصبح حده يصنع في هذا العصر من الحديد . وكانت البذور تلقى خلف المحراث ثم تدوسها حيوانات مثل الحمير والأبقار والأغنام والخنازير، فتدخلها الأرض . وكان يستخدم للحصاد منجلا مقوسا له سلاح من الحديد، وأحيانا من الصوان، وله أسنان كالمنشار . وكان الحديد يستخدم أيضا في صنع مختلف الأدوات الزراعية، كالفأس والجاروف والبلطة وفي صنع العربات وخاصة عجلاتها . وأصبحت الأدوات الزراعية التي كانت تصنع من الخشب في عهد الفراعنة تصنع كلها أو بعض أجزائها من الحديد . لأن البطالمة أدخلوا هذا المعدن الهام إلى مصر، واستوردوا من الخارج كميات كبيرة منه، تكفي لاستخدامه بكثرة في البلاد[4] .

كما أدخل البطالمة الأساليب العلمية في ميدان الزراعة، مما مكنهم من تحقيق أكثر من محصول في السنة، وأحيانا ثلاث محاصيل في العام الواحد . وتعمق التوجه العلمي في الزراعة إلى درجة استحداث تخصصات عديدة في هذا المجال . ويتجلى عمق هذا الوعي في ملاحظة تضمنها تقرير لبعض الفلاحين في تلك الفترة يبدون فيه استياءهم لأساليب العمل المعتمدة في إحدى المزارع الكبيرة . ويعزون ذلك لعدم وجود أخصائيين[5] .

---

1 - زكي علي، المرجع السابق، ص 52. 53.

2 - *Glotz.G.**Le travail dans la Grèce ancienne***.1920.*P* 411. -

3 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 192.

4 - *Rostovtzeff.M*, op cit.p 362 - 363. -

5 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 157 .

وقد وجه البطالمة عنايتهم إلى ناحية أخرى تتصل بالزراعة اتصالا وثيقا، وهي تربية الحيوانات لأن أهميتها في خدمة الزراعة لا تقل أهمية عن إنشاء الترع والجسور. بالإضافة إلى أن نقل موظفي الملك ومحاصيله يعتمد أساسا على وفرة دواب الحمل[1]. وكانت الحيوانات تنقسم إلى أربعة أقسام هي[2]:

- أولا: الحيوانات التي تستخدم في الأعمال الزراعية مثل: (الثيران والأبقار).

- ثانيا: الحيوانات التي تستخدم في النقل مثل: (الحمير والبغال والجمال والخيول).

- ثالثا: الماشية والطيور التي تربى لأكل لحومها أو تقديمها قرابين مثل: (العجول والأغنام والخنازير).

- رابعا: الحيوانات التي تربى لأصوافها وجلودها وحاجتهم لألبانها أيضا مثل: (الماعز والأغنام).

أما عن المزروعات نفسها فقد حرص البطالمة على زيادة إنتاجها، و إدخال محاصيل جديدة لم تكن معروفة في مصر من قبل. بغية تحقيق اكتفاء اقتصادي يغني عن استيراد محاصيل خارجية إلا في القليل النادر. وتوفير فائض في المنتجات الزراعية عن الاستهلاك المحلي يصدر إلى الأقطار الخارجية. يرجح كفة الميزان التجاري لصالح مصر[3].

لقد كان القمح من أهم المحاصيل الزراعية في مصر، وأصبحت البلاد بعد أن أدخلت تحسينات كثيرة على إنتاجه من أكبر مصدري القمح في أنحاء العالم الهلينستي[4]. وإلى جانب إنتاج القمح وجد إنتاج الشعير والأرز والعدس، تليه في المرتبة التالية الحلبة والفول و الجلبان والثوم وأنواع مختلفة من علف الماشية. أدخل الإغريق منها إلى مصر البرسيم و البسلة والحمص والترمس و الكرسنة. بالإضافة إلى أنواع كثيرة من الحبوب الزيتية. منها السمسم والخروع و القرطم والحنظل و بذر الكتان. وقد ساعد على كثرة زراعة الحبوب الزيتية اتساع مساحة الأراضي التي تم استصلاحها، لأنها كانت أكثر ملائمة لزراعة هذه الحبوب وتغل منها محاصيل وفيرة[5].

وإذا كان الزيتون قد زرع في مصر على أيام الفراعنة كما هو الحال بالنسبة للكروم، فإن الغرض الأساسي من زراعته كان غذائيا. فلما استقر الإغريق في البلاد، وكان للزيتون عندهم أهمية حيوية عملوا على توسيع زراعته، وتنشيط صناعة

---

1 - *Rostovtzeff.M. op cit.* 01*vol. p* 292.

2 - *Ibid*,***A large Estate in Egypt in the third Century b.c.*** *p* 107.

3 - *Rostovtzeff.M,* ***The Social and Economic History of the Hellenistic World****,* 01*vol. p* 351 – 353.

4 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 192 - 193.

5 - *Rostovtzeff.M,* ***A large Estate in Egypt in the third Century b.c.*** *p* 46.

زيت الزيتون[1] . ويشير سترابون إلى أنه على عهده كانت مديرية الفيوم تنتج كميات كبيرة من زيت الزيتون . كما كانت بجوار الإسكندرية مزارع كثيرة لأشجار الزيتون لإمداد العاصمة بما تحتاج إليه من هذا المنتوج للأكل[2] وكذا الشأن بالنسبة للكروم . فقد شجعت الحكومة على غرسها لسد حاجة الإغريق المتزايدة إلى النبيذ . و نشدانها تحقيق مداخيل ضريبية وفيرة من محصولها وتثبيت مزارعيها على الأرض باستثمار رؤوس الأموال في زراعتها[3] .

2.1 – نظام الأراضي:

فيما يتعلق بنظام الأراضي، فإن الملك البطلمي اعتبر نفسه ملكا فعليا على كل أرض مصر . ويمكننا ذكر اعتبارين انبثق عنهما الحق الذي أعطاه الملوك البطالمة لأنفسهم في ملكية الأرض :

فالاعتبار الأول يدور حول ألوهية الملك، فقد أله البطالمة أنفسهم، وأصبحوا بذلك يملكون حق التصرف فيها ،وهذه الفكرة هي امتداد للنظرية الفرعونية القديمة . فقد اعتبر البطالمة أنفسهم فراعنة مصر، وخلفاء الإسكندر الذي كان بدوره خليفة للفراعنة[4] .

أما الثاني فإن بطلميوس الأول ادعى بعد وفاة برديكاس أنه حصل على مصر بحد الحسام، فهي من ثم تنتقل إلى الملك حسب العرف المقدوني المتبع . ولذا فقد ادعى أنه مالك أرض مصر كلها عدا أرض نقراطيس والإسكندرية وبطلمية . ولم يقتصر ادعاؤه على الأراضي القديمة الملكية السابقة . بل ضم إليه أيضا أرض المعابد وأرض الأسر الإقطاعية النبيلة التي ألغاها البطالمة[5] . وبما أن مختلف العناصر السكانية في مصر كانوا يعترفون بحق البطالمة في التمتع بالسلطان المطلق الشامل في الدولة فقد مارسوا حكمهم على هذا الأساس . وقد كان سلطانهم هذا سواء من وجهة نظر المصريين أو المقدونيين ينطوي على امتلاك الدولة وأرضها وتربتها . وبالتالي ملكية ما يخرج من الأرض . وإذا كانت الدولة بمثابة بيت الملك، فإن إقليمها كان ضيعته[6] . ولضبط دخل هذه الضيعة فإن البطالمة ورثوا عن أسلافهم الفراعنة فكرة مسح الأرض وتسجيلها بدقة .

---

1 - شحاتة محمد إسماعيل، **مصر في عصري البطالمة والرومان**،(القاهرة: دار الكتاب الجامعي؛ 1999)،ص 100 .

2 - *Strabo*,XVII.1.35.

3 - *Rostovtzeff.M. op cit. p* 94.

4 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق،ص 162 .

5 - و . و . تارن،**الحضارة الهلنستية**، تر:عبد العزيز توفيق جاويد ،مراجعة:زكي علي،(القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية؛ 1966)، ص 198 . 199 .

6 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 158 .

وسجلات الأراضي هذه كانت تجمع لدى كتبة القرى في العصر البطلمي، ويشرف عليهم كبار الموظفين من أمثال الكتبة الملكيين[1] . وكان الهدف من ذلك كله هو التعرف على مساحة الأرض الصالحة للزراعة، ومعرفة معدن كل قطعة منها . وهذا أمر يستوجب التدوين والتسجيل . وبهذا يتم تصنيف الأراضي بحسب حالتها ووضعها بالنسبة لمياه الفيضانات وصلاحيتها للزراعة في كل عام . وكانت هذه القوائم بما تحتوي عليه من نتائج مسح الأراضي في زمام القرى المتناثرة، تبوب من وجهة النظر المالية بواسطة حكام المراكز و الدساكر، ثم ترسل بدورها إلى موظفين في حواضر الأقسام الإدارية يعرفون بالاسم الآتي (التومارخيين) . وهم المختصون بالإشراف على زراعة الأراضي الملكية . وكان هؤلاء بدورهم يقومون بإرسال هذه التقارير المتعلقة بالأقسام برمتها إلى الإسكندرية . وبها دواوين عديدة للسجلات فتعتمد هذه القوائم أساسا قاعديا في إعداد قوائم الخراج السنوي وكشوف الضرائب المطلوبة[2] .

ولما لم يكن في استطاعة الملك أن ينهض منفردا باستغلال ضيعته، فقد تحتم عليه أن يستعين بغيره في استغلالها على أن يقوم هذا الغير في النهاية بتقديم ما يفرض عليه من التزامات تجاه الملك[3] . وبذلك يمكننا أن نجمل القول في موضوع نظام الأراضي فنقول إن سياسة البطالمة في هذا المجال كان يوجهها عاملان:

الأول :وهو العمل على بناء دولة قوية اقتصاديا تحت حكمهم الملكي المطلق .

والثاني:وهو إقامة عدد كبير من الإغريق الذين حضروا إلى مصر، وكانوا العنصر الأساسي في تكوين جيشهم وإدارتهم للبلاد . وبطبيعة الحال نفذت هذه السياسة على نحو يتلاءم وظروف مصر وتقاليدها . وعلى هذا الأساس تظهر لنا الوثائق أن هذه السياسة قد تم تطبيقها منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد[4] .

وهكذا يمكننا أن نتعرف على أنواع الملكية للأراضي الزراعية في ثلاث محاور وهي:

أولا:الأراضي الملكية (*Ge basilike*) والتي كان يستثمرها الملك مباشرة .

ثانيا : أراضي العطاء أو المنح (*Ge rn aphesei*) والتي يهبها الملك لمن أراد وتنقسم بدورها إلى: (أراضي المعابد ،أراضي

---

1 - زكي علي، المرجع السابق، ص 53 .

2 - نفسه، ص 54 .

3 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 194 .

4 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 129 .

الاقطاعات العسكرية، أراضي الهبات، أراضي الامتلاك الخاص).

ثالثا :أراضي المدن (*Ge politke*) .

1.2.1.الأراضي الملكية:

لقد أخذ البطالمة في مجال السياسة الاقتصادية عموما بمبدأ ملكية الدولة ممثلة في شخص الملك، ولهذا كانت أراضي الملك تحتل الرقعة الكبرى من الأراضي الزراعية في مصر . وقد تكونت أصلا من أراضي القصر الملكي في العصر الفرعوني التي آلت إلى الملك البطلمي، وكذلك من أراضي الأمراء المصريين السابقين . ويضاف إلى ملكية الملك جميع الأراضي التي هجرها أصحابها أو سقطت عنها الملكية لأي سبب من الأسباب مجموع هذه الأراضي كانت تتبع شخص الملك ويديرها موظفوه نيابة عنه[1] . وقد نظم استغلال هذه الأراضي تنظيما دقيقا يرتكز على قواعد ترجع إلى عهد الفراعنة . وكان المزارعون الذين يقومون بفلاحة هذه الأرض يدعون تبعا لذلك مزارعي الملك، (*Basilikoi georgoi*) ولم يكن هؤلاء المزارعون موالي ولا عبيدا، ولم يقل مركزهم عن مركز غيرهم من المصريين . ولا أدل على ذلك من أن بعض صغار الملاك ورجال الدين لم يروا غضاضة في أن يصبحوا مزارعي الملك أو بعبارة أخرى أن يستأجروا أرض الملك إلى جانب مهامهم الأصلية[2] .

وقد كانت الأراضي الملكية تؤجر بالمزاد العلني لقاء جانب كبير من المحصول، وكانت علاقة الملك بمزارعيه تقوم على أساس عقود محررة يرتبط بها هؤلاء المزارعون ارتباطا كاملا . فكانوا يسجلون في السجلات تحت اسم المستأجرين بموجب عقود الإيجار، ولم يكن معهم عقود إيجار مكتوبة، كما أن الملك لم يكن يضطلع من جانبه بواجبات المؤجر المترتبة على التأجير[3] . غير أن هذه العقود كانت تحدد فيها العقود الإيجارية عن طريق مزادات تجريها الجهات المسؤولة . ولم يكن الإيجار ثابتا وواحدا حيث كان يختلف من مكان لآخر، ومن زمن إلى زمن، والذي كان يؤثر في القيمة الإيجارية درجة خصوبة الأرض، وطريقة الري . والمهم أن العقد يضمن للملك أكبر دخل من أراضيه المنتشرة هنا وهناك[4] .

---

1 - نفسه،ص 130 .

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 162 .

3 .و . و . تارن، المرجع السابق، ص 199 .

4 - محمد فهمي عبد الباقي، **محاضرات في تاريخ مصر البطلمية**، (القاهرة: بدون تاريخ)، ص 158 .

وكان مزارعو الملك في كل قرية يؤلفون جماعة للدفاع عن مصالحهم، وتحمل المسؤولية الجماعية الملقاة على عاتقهم نحو الدولة . وكان على رأس هذه الجماعة شيوخ القرية وسكرتير يساعده شخص واحد أو أكثر[1] . ولما كانت الغالبية العظمى من هؤلاء الفلاحين الملكيين تعيش في الريف، فقد كان تسجيل أسماءهم في قراهم التي وجدوا فيها . ويعتبر ذلك موطن سكناهم الأصلي، وهو ما يكنى له عادة في الوثائق بكلمة (*idia*) . وكان المفروض على كل واحد من هؤلاء البقاء في موطنه الأصلي ومسقط رأسه، ولكنه ليس ملزما ألا يغادره بصفة مستديمة . فقد سمعنا بين الحين و الآخر أن كثيرا منهم اعتبروا غرباء لأن موطنهم كان في قرية أخرى غير التي وجدوا فيها ، وأنهم كانوا يسكنون قرية ليست لهم، وقد أدى شيوع ذلك إلى تعيين موظفين لجباية استحقاقات الملك المتأخرة عند هؤلاء الغرباء، وملاحقتهم في كل مكان، وكان هؤلاء يسمون (*pratores.xenikon*) في حين أن جباة آخرين كانوا يختصون بشؤون الذين يقيمون في مواطنهم[2] .

ولم يكن مزارعو الملك أحرارا في اختيار المحاصيل التي يزرعونها في الأرض المستأجرة، بل كانت الدولة تلزمهم بزراعة المحاصيل طبقا للائحة محددة . ولا يجوز للمزارع حصاد المحصول قبل حضور موظفي الملك من أجل تقدير قيمة المحصول، لضمان تحصيل مستحقات الدولة[3] . وقد كان يشرف على تنفيذ هذه التعليمات واللوائح شخص يحمل لقب إيكونوموس "المدير الاقتصادي" . إذ أنه بمجرد وصولها من الإسكندرية إلى عاصمة مديريته، كان يأمر كل قرية بما يجب أن تزرعه . لكن الذي نطرحه هو هل كانت هذه التعليمات تخص الأراضي الملكية فحسب، أم أنها كانت تطبق على كل من يزرع أي نوع من الأرض في مصر، مهما كان نوع حيازته ؟ إن العلماء الذين درسوا هذه المشكلة يتفقون على أن تطبيق هذه التعليمات فيما يتعلق على الأقل بزراعة الحبوب الغذائية كان مقصورا على الأراضي الملكية فقط . لأنه يتضح من عقود إيجار الاقطاعات العسكرية أن المستأجر كان حرا فيما يزرعه . ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه في أواخر عصر البطالمة لم يتقيد مزارعو الملك تقيدا تاما بهذه التعليمات . أما فيما يتعلق بالمحاصيل اللازمة للصناعات التي كانت الحكومة تحتكرها فإن التعليمات الخاصة بتحديد المزروعات كانت تطبق على كافة أنواع الأراضي[4] .

---

1 - *Préaux.C, op cit, p* 438؛ *Rostovtzeff.M. op cit. p* 278.

2 - زكي علي، المرجع السابق، ص 59 .

3 - أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص 92 .

4 - *P.Tebt,I.*52-53.

وكان الفلاح يستلم البذور اللازمة لزراعة مختلف الحبوب من الملك. ومن أولى الأغراض التي كانت تهدف إليها الحكومة من وراء هذه القروض الإجبارية، هو الضمان الأكيد بأن رقع الأراضي المؤجرة للفلاحين يتم زرعها بأفضل البذور وفي المواعيد المقررة لزراعة كل نبات. بصرف النظر عن الظروف الخاصة التي تحيط بالفلاحين. فضلا عن الضمان بأن تلك البذور المقدمة هي من نوع جيد. وكان من واجب الايكونوموس أن يحول دون استخدام تلك البذور في أغراض أخرى غير المخصصة لها ويشارك الايكونوموس في الإشراف على زراعة هذه الأرض كل من النومارك والطوبارك والقومارخ وكاتب القرية[1]. وتزداد المراقبة والملاحظة في وقت الحصاد خوفا من سرقة المحصول، أو أنه لا يمكن سداد ما على هذه الأرض من التزامات مادية. وكانت وحدة القياس المستخدمة في قياس مساحة الأرض هي الأرورا وهي تساوي 2756 مترا مربعا. بينما كان الإردب هو وحدة الكيل ويساوي 2.5 كيلوغرام بوقتنا الحالي[2]. على أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماذا كان نصيب الملك من محاصيل أرضه التي زرعت حبوبا غذائية؟ حسبما يرى إبراهيم نصحي فإن الملك كان يأخذ أولا الإيجار السنوي (*ekphorion*) وفقا للاتفاق الذي عقد بين الملك ومزارعيه أفرادا كانوا أم جماعات، وكان يتراوح بين ربع إردب وستة أرادب من القمح عن كل أرورة. وكانت قيمة الإيجار حتى بعد المزاد الذي استؤجرت الأرض بمقتضاه تتأثر بنوع تربة الأرض، أو حالة الفيضان، مثلما كانت تتأثر بإقبال الناس على المزايدة أو إحجامهم عنها. وبما أن عقود الإيجار كانت في كثير من الأحوال تمتد سنين عديدة، بل أحيانا لمدة غير محددة، وكانت أحوال الزراعة والسكان تتغير في خلال ذلك، فإن عمال الملك كانوا يعدلون قيمة الإيجار تبعا لذلك[3].

وبالإضافة إلى الإيجار المستحق كان الفلاح يدفع عددا لا يحصى من الضرائب المختلفة. وقائمة الضرائب المفروضة عليه مع أنها غير كاملة رهيبة للغاية مقارنة بعدد الأرادب من الحبوب المقرر دفعها كإيجار عيني عن كل أرورة. ثم يضاف إلى ذلك من مقادير الحبوب التي تدفع سدادا لمختلف الضرائب الأخرى، كثيرا ما وردت الإشارة إليها في وثائق البردي البطلمي[4]. منها تسديد نفقات استهلاك الأدوات الزراعية التي أقرضتها المخازن الملكية للمزارعين، وكذا أجر استخدام

---

1. - *Préaux.C, op cit, p* 118-119.

2 - محمد فهمي عبد الباقي، ص 119. 120.

3 - *Préaux.C, op cit, p* 130

4 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 87.

مواشي الملك . وذلك فضلا عن فائدة قدرها خمسون بالمائة على البذور التي قدمت لهم . وضرائب متعددة كانت تجبى كذلك عن زراعة الحبوب الغذائية في الأراضي الممنوحة . وكانت إحدى هذه الضرائب ضريبة عقارية تسمى الإردب (*artobieia*) . وأما ضريبتا نصف الإردب (*hemiartabieia*) والإردبين (*diartabieia*) ، فإنهما لم تعرفا إلا في القرن الثاني قبل الميلاد[1] .

ومما لا ريب فيه أن هذه النسبة لم تكن تقل عن النصف، بل ربما كانت تزيد عليه . والفلاح الملكي كان بمقتضى عقد الإيجار المبرم معه ملزم بالقيام بفلاحة الأرض المعطاة له . وكان عليه أن يبقى في القرية في أثناء الفصل الزراعي إلى أن يوفي ما عليه من التزامات تجاه الملك[2] .

وقد امتاز القرن الثاني قبل الميلاد بظاهرة اقتصادية خطيرة وهي زوال القيمة الاقتصادية للعقود المبرمة بين الحكومة والفلاحين ، نتيجة للشروط التعسفية التي كانت تنجم عن هذه العقود وقابل المستأجرون ذلك الضغط الشديد بوسيلة زادت من فقر الملك، ونقصان موارده، وهي الفرار من العمل . والواقع أن ظاهرة فرار المزارعين بسبب ما كانت تنطوي عليه عقود الإيجار المبرمة معهم من ظلم وإجحاف، أو لأسباب أخرى، وجدت منذ بدايات عصر البطالمة، ولكنها ازدادت زيادة واضحة في الفترات الأخيرة من حكمهم[3] . ومما زاد من حدة هذه الظاهرة هو حق المعابد في حماية اللاجئين إليها ، فنسمع مثلا أن بعض مزارعي تبتونيس قد احتموا بمعبد زيوس خوفا من جامعي الضرائب، لأنهم كانوا عاجزين عن الدفع بسبب جفاف الأرض . ومع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد ازدادت الحالة سوءا بقدر ازدياد فقر المزارعين . فكثيرا ما ورد في وثائق تبتونيس ذكر مزارعين هجروا أراضيهم بسبب ارتفاع قيمة الإيجار . وتصف شكاوي من مديرية هيراقليوبوليس قلة رجال الريف وسوء حالة الأرض المهجورة[4] .

وقد كان من مصلحة الملك إزاء هذه الظروف ضمان وجود مستأجر لأرضه على الدوام،لأن وجود المزارع كان أكبر ضمان للملك للحصول على دخله . ونجد بين وثائق تبتونيس ذكر عدد كبير من عقود إيجار لمدة خمس سنوات

---

1 -إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 166 .

2 - زكي علي، المرجع السابق، ص 63 .

3 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 203 .

4 - *Préaux.C, op cit,p p* 500 – 501.

وعشر سنوات، وعشرين سنة[1] . ولذلك فان عقود الإيجار في أواخر القرن الثاني والأول قبل الميلاد كانت في أغلب الظن إجبارية لآجال طويلة . وفي بعض الأحيان لا يرد فيها أي ذكر لفترات محددة على الإطلاق، وإنما كانت تجري زراعة الأرض في الظروف العادية بلا تأخير، إلى أن يتراءى للحكومة أن تعلن عن تأجيرها لعام جديد ثم تمضي في تنفيذه . وليس لدينا من سبيل إلى التأكيد بأن صورا معينة من التعاقد كانت مألوفة أو غير مألوفة في صدر العصر البطلمي، وإنما مجرد إشارات إلى أنواع من التعاقد وتنازلات عن مثل هذه العقود . سواء أكانت عقودا إيجارية لفلاحة الأرض أو لإصلاحها وتهيئتها للزراعة . والغالب على الظن أن هذه العقود استحدثت في عصر متأخر تحت ضغط الظروف والأحوال، ويبدو أنها كانت تمثل إجراءا قديما ربما كان مطبقا منذ أقدم العصور، ثم صاحب ذلك إجراءا لجأ إليه البطالمة الأولون، وهو ابتداع عقود لآجال قصيرة سايرت الإجراء القديم ولازمته[2] .

وقد تطورت عقود الإيجار الطويلة الأجل إلى عقود وراثية، ويبدو أن طبقة هؤلاء المستأجرين الوراثيين قد أصبحت كبيرة جدا، إلى حد أن بطلميوس الثامن ذكرها في قرار العفو الذي أصدره عام 118ق.م واستثناها من الإعفاء من الإيجار والضرائب المتأخرة للتاج. ولعل هذا الاستثناء يرجع إلى عاملين وهما: كثرة أفراد هذه الطبقة وتمتعهم بشروط أفضل من شروط غيرهم من مزارعي الملك . إلا أنه كان يحتم عليهم تقديم ضمانات، وجدير بالملاحظة أن تأجير الأراضي الملكية على هذا النحو لم يتطور إلى امتلاك هذه الأراضي امتلاكا خاصا[3] .

ومنذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد ألقيت على مزارعي القرية مسؤولية الإيجارات المطلوبة من أراضيها، وبذلك أصبح الإجبار على زراعة الأراضي الملكية وسيلة عامة . وهكذا أوجدت الإدارة إلى جانب الضمانات التي كان المستأجرون يقدمونها، وإلى جانب الموظفين عنصرا ثالثا مسؤلا هو الجماعة القروية . ولا شك في أن هذه العناية بتعدد العناصر المسؤولة دليلا على الصعوبة التي كانت الإدارة تصادفها في عقد اتفاقات سليمة[4] .

ولا شك في أن البحث عن هيئات مسؤولة والاهتمام بزراعة الأرض الملكية بأية وسيلة قضيا على نظام التعـــــاقد

---

1 - *Ibid*. P 495.

2 - زكي علي، المرجع السابق، ص 61.62.

3 - *Préaux.C, op cit, p* 496

4 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 179 .

ومهدا السبيل إلى إيجاد الجماعات القروية المسؤولة التي كانت بمثابة وسيط بين الملك وباقي رعيته. وقد كانت المسؤولية الجماعية تنطوي على إرغام مستأجري أرض الملك على البقاء في قراهم التي كانت تتحمل هذه المسؤولية. ومعنى ذلك أن المسؤولية الجماعية كانت تقوم على أساس المواطن، وهو الذي أصبح في العهد الروماني نواة الحياة الاجتماعية[1].

2.2.1. أراضي المعابد:

كان شق كبير من أرض مصر ما هو صالح للزراعة أو القابل للاستصلاح ينتمي في العصر الفرعوني إلى المعابد. وكانت هذه الأراضي تعتبر كأنها ضيعة خاصة بأحد الآلهة، مرصد دخلها وإيرادها على إله أو آلهة من الآلهات العديدة في مصر. ويبدو أن البطالمة كانوا حريصين على عدم المساس بالعبادات ونظم المعابد، فابقوا عليها كما هي من أقدم العصور إيثارا منهم لعدم إثارة الكهنة المصريين، وهم الذين كانوا يمثلون المعاقل الوطنية ومراكز المقاومة. والبطالمة كانوا بالتأكيد حريصين على عدم تحويل أملاك المعابد وإيراداتها إلى الأغراض الدنيوية[2]. غير أن البطالمة لجاءوا إلى وسيلة أخرى لوضع ثروة الآلهة في قبضتهم دون الاعتداء على حق الآلهة في ملكيتها، وذلك على أساس أن أراضي المعابد كانت ملك للآلهة، وأن الملك بوصفه إلها كان يمثل هؤلاء الآلهة على ظهر الأرض. وتبعا لذلك فإنه هو وحده الذي كان يحق له إدارة هذه الأملاك، ومن ثم فان البطالمة أسندوا إدارة المعابد إلى عمالهم. ولم يكن ما فعله البطالمة في هذا الصدد أمرا مستحدثا، إذ أنه في عهد تحتمس الثالث كان وزير الجنوب يشرف على دخل المعابد جميعها، وخاصة دخل معبد آمون في طيبة. وكذلك فعل الملك بعنخي حيث عين أخته أمناردس كبيرة كهنة أمون، وبذلك سيطر على دخل هذا المعبد[3]، والأمثلة على ذلك كثيرة. وفي نفس الوقت فقد أسبغ البطالمة على المعابد أنواعا كثيرة من المنح والعطايا والحقوق، مثل حق الجيرة والإيواء الذي توسع في منحه ملوك البطالمة الأواخر، وخصوصا من بطلميوس العاشر إلى كليوبترة السابعة[4].

ويبدو أن عمال الملك كانوا يديرون أراضي المعابد على نمط أراضي الملك، إذ أنه من المؤكد أن الإدارة المحلية كانت تحتفظ لديها بسجل لأراضي المعابد، مثلما كانت تحتفظ بسجل لأراضي التاج وخصوصا أراضي معابد الفيوم.

---

1 - *Préaux.C, op cit, p* 513.

2 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 89.

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 180.

4 - زكي علي، المرجع السابق، ص 67.

وأنها كانت تراقب زراعتها بدقة وتعتبر دخلها جزءا من دخل الملك، وتعنى بأن يسدد إيجارها كاملا وبأن لا تهمل زراعتها . ولا يمكن أن يكون البطالمة المتأخرون هم الذين استحدثوا هذا النظام، لأنهم كانوا أبعد من أن يعتدوا على هذا النحو على حقوق المعابد . ولذلك يرجح جدا أن هذا النظام يرجع إلى بداية عصر البطالمة[1] .

بيد أن مثل هذه السياسة التي انتهجها البطالمة مع الكهنة والمعابد تسوقنا إلى معرفة السبب في ذلك . فهل كان هدفهم يقتصر على سياسة تقليم أظافر الكهنة والحد من سلطتهم فقط أم أنه كانت لهم أطماع داخل هذه المعابد ؟ إن الإجابة عن تساؤلاتنا هذه ليست بالسهلة . ذلك أنه ليس في الوثائق ما يستدل منه على أن دخل أراضي المعابد كان يدفع للمعابد بأكمله أو يستقطع جزء منه . بيد أنه لا يستبعد أن البطالمة كانوا يستفيدون ماديا من وراء إسناد إدارة المعابد إلى الحكومة، لأن إدارتها على هذا النحو يضمن السيطرة عليها ، ويعفي الملك من إمدادها بهبات كثيرة لسد نفقاتها الباهظة . وعلى كل حال فإن المرجح أن الجانب الأكبر من دخل أراضي المعابد كان يذهب إلى المعابد في شكل المرتبات والهبات التي كان الملك يعطيها لها . ولا شك في أن الكهنة لم يرضوا بإسناد إدارة أراضي المعابد إلى الحكومة لأن هذا النظام حرمهم حقهم القديم في الإشراف على المعابد ، وأنقص نفوذهم في شؤون المعابد وفتح أبواب المعابد لعمال الحكومة وكان أغلبهم أجانب[2] .

وقد كان يقوم بفلاحة الأرض المقدسة عبيد الآلهة . وهؤلاء كان يطلق عليهم في الاصطلاح اليوناني العبيد المقدسون (*HEIRODOUTOI*) . على أن بعض هذه الأراضي كان في حوزة الكهنة انتقلت إليهم عن طريق الإرث . فكان من حقهم بيعها وتأجيرها أو رهنها كما لو كانت ملكا خاصا لهم . أما الأنصبة من الأراضي التي كان يفلحها عبيد الآلهة فكانت كذلك مخصصة لهم لمدة غير محدودة، ومن حق مستأجريها التصرف فيها . وهنا يجب أن نضيف أن جميع سكانها كانوا عبيدا للآلهة بصرف النظر عن مهنتهم، بل إن الكهنة الذين كانوا يشغلون مراتب دنيا مثل رعاة الإوز وحراس الحيوانات المقدسة والقائمين بإطعامها ، كان يطلق على هؤلاء العبيد المقدسون[3] .

وقد فرض البطالمة على أراضي الآلهة ضرائب عقارية كانت أهمها ضريبة الإردب على أراضي المعابد المزروعة حبوبا غذائية . وضريبة القراميون عن كل أرورة من هذه الأراضي المزروعة كروما . ولكن كيف حدث ذلك مع أنهم تظاهروا

---

1 - *Rostovtzeff.M*, ***The Social and Economic History of the Hellenistic World***, 01*vol. p* 283. -

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 181 .

3 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 89 .

باحترام التقاليد التي كانت تعفي الآلهة من الضرائب ؟ لقد كان من اليسير التظاهر باحترام مبدأ إعفاء دخل المعابد من الضرائب وذلك باعتبار هذه الضرائب مساعدة اختيارية، أو اعتبارها مفروضة على الزراع لا على الأرض، أو باعتبارها تعويضا على المصاريف التي تحملتها الدولة في جمع دخل المعابد[1] . وعلى الرغم من أن القرار الذي حفظه لنا حجر رشيد قد أعفى أراضي المعابد من ضريبة الإردب، فإنه يظن أن هذا الإعفاء لم يكن إلا مؤقتا . وإلا لما قرر بطلميوس الثامن "يورجتيس الثاني" في عام 118 ق.م إعفاء أراضي المعابد من هذه الضريبة . وكذلك أعفى بطلميوس الخامس المعابد من الضريبة المفروضة على أراضيها المزروعة كروما[2] .

وقد يجول بالخاطر أن البطالمة كانوا أول من قضى على الاستقلال الاقتصادي الذي كانت تتمتع به المعابد في العصر الفرعوني المتأخر . ولكن يحتمل كذلك أن البطالمة وجدوا المعابد قد سلبت من قبل استقلالها على يد الفرس . وكان بعض ملوك الفرس قد أظهروا عدم الاكتراث وقلة الاحترام للآلهة المصرية، واستخفوا بالكهنة المصريين، ولربما كان البطالمة الأوائل عند تنظيم علاقاتهم بالمعابد حريصين على إظهار الكثير من الاهتمام بالمعابد المصرية . ويجب أن لا ننسى تتويج الإسكندر الأكبر في منف، وزيارته لمعبد آمون، والذي ترك في نفوس المصريين أثرا كبيرا[3] . وهناك ظواهر أخرى فيها إشارة واضحة إلى وجود علاقات واضحة بين المعابد والبطالمة الملوك، فالبطالمة هم أول من ابتدع وظيفة الأبيستاتي (*EPISTATES*) وكان هذا الموظف هو مرشح الملك والمعين من قبله وممثله والمسؤول عن كل الالتزامات المالية التي للملك على المعابد . ثم ما كان من إشراف الدولة على شؤون المعابد للتصرف في وظائفها، واختيار الصالحين لها . ووظائف الكهنة على مختلف أنواعها لها أهميتها من الناحية الاقتصادية . فقد كانت مصدر إيراد وموارد رزق، ولها رواتب تدر على أصحابها دخلا كبيرا[4] .

وقد ازدادت مساحة أراضي المعابد على مر الزمن نتيجة لمنح البطالمة لهم . ويمكننا أن نكون فكرة عن مدى أملاك

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج03، ص 182 .

2 - *Bevan.E., op cit,* P 182.

3 - زكي علي، المرجع السابق، ص 68 .

4 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 91 .

المعابد من الأبحاث التي وصل إليها أحد المؤرخين، إذ أنه قدر مثلا أملاك معبد حوروس في إدفو في بداية عهد بطلميوس الثامن بـ16700أرورة، أي حوالي 30كلم مربع من الأراضي الصالحة للزراعة . وقد قدر بعض أملاك آلهة أخرى في مصر العليا بـ 59 كلم مربع . وكانت إيزيس آلهة فيلة تملك الأراضي الممتدة من أسوان إلى تاقمبسو وتقدر مساحتها بحوالي ألف أرورة[1] . بيد أنه إذا صح أن المعابد المصرية كانت تمتلك في وقت ما ثلث مساحة أرض مصر، فلا بد من أن ذلك كان في عهد الفراعنة . إذ يبعد أنها كانت تمتلك كل هذا القدر في عصر البطالمة[2] .

وأغلب الظن أن الارتباط الوثيق الذي كان بين المعابد والحكومة فيما يتعلق بالأراضي المقدسة كان وليد العصر البطلمي الأول . فالبطالمة الأولون هم الذين وضعوا هذا النظام أو أعادوه إلى ما كان عليه . وغاية ما كانت الحكومة تصر عليه هو زراعة هذه الأراضي التابعة للمعابد على أحسن وجه، والوفاء التام بالإيجار المستحق سداده في موعده لخزانة الدولة . ولربما لم تكن الحكومة تتدخل في تقاليد المعابد وطقوسها الدينية[3] .

ومما لا ريب فيه أن المعابد لم يرق في نظرها هذا النظام الجديد الذي كان فيه تدخل التاج واضحا في كل صغيرة وكبيرة . فقد حرمت المعابد من الهيمنة القديمة على مواردها ، وقل نفوذ الكهنة في شؤون المعابد ولذلك فإنهم عندما أحسوا بقوتهم إزاء الأوضاع الداخلية المضطربة على عهد البطالمة الأواخر فإنهم طلبوا صراحة من الملوك أن يعهدوا إليهم بإشرافهم على أملاكهم ووجد البطالمة أنفسهم أمام وضع محتم للرضوخ أمام طلب الكهنة[4] . وقد ساعد على قوة الكهنة ثراؤهم الذي أسهم في تكوينه الملوك والشعب . فمن المعلوم أن الملوك وفروا للمعابد دخلا وفيرا للإنفاق على شؤون العبادة . وكذا الشأن بالنسبة للأفراد الذين كانوا يقدمون هبات كثيرة للمعابد[5] .

وقد تضمن القرار الذي أصدره بطلميوس الثامن عام 118 ق.م عقب الحروب الداخلية[6] الفقرة التالية : " . . . **يجب يجب ألا يؤخذ عنوة شيء مما خصص للآلهة، وألا يعذب المشرفون على الدخل المقدس، وألا تؤخذ قرى أو أراضي أو غيرها**

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 182. 183 .

2 - *Bevan.E, op cit, p* 180.

3 - زكي علي، المرجع السابق، ص 70 .

4 - *Préaux.C, op cit, p* 485.

5 - *Diod,* I.73,2.

6 - *P.Tebt,5,II*.57-61.

من الدخل المقدس، وألا تجبى من الأراضي التي منحت للآلهة ضريبة الجمعيات، ولا ضريبة التاج، ولا ضريبة الإردب، وألا يتذرع أحد بأي حجة ليدير الأراضي المقدسة التي ستترك للكهنة ليديروها" .

1.3.2. الاقطاعات العسكرية :

إن سياسة البطالمة الأوائل الخارجية أملت عليهم إنشاء جيوش كبيرة، رأوا ألا يعتمدوا في تكوينها على المصريين . فقد اتخذوا من القوات المقدونية والإغريقية التي تركها الإسكندر في مصر نواة لجيوشهم . وفتحوا أبواب دولتهم أمام المتطوعين من مقدونيا وبلاد الإغريق وآسيا[1] . ولذلك فإنهم اتبعوا سياسة الاقطاعات في مكافأتهم للأعداد الهائلة الفقيرة من الإغريق والأجانب الذين كانوا في خدمة الجيش البطلمي . وكان يطلق على هذه الاقطاعات اسم كليروس (*kleros*) ويسمى الشخص الذي في حوزته الإقطاع كليرخوس(*klerouchos*)[2] . ولما كانت مسألة الصرف على جيش المرتزقة ودفع رواتب الجند تتطلب تكاليف باهظة للغاية، وقد لا تقوى عليها موارد مصر المالية وهي إذ ذاك لا تزال حديثة العهد بالنقد ، وتعتمد في كثير من موارد الحياة على أسلوب المقايضة . وحلا لهذا الإشكال عمد البطالمة إلى الاقتداء بالتقاليد المصرية من ناحية، وإلى تطبيق تجربة الإسكندر وخلفائه من ناحية أخرى، في الاعتماد إلى حد ما على الاقطاعات العسكرية الممنوحة للجند في الأرض . يحصلون منها على موارد رزقهم في مقابل نداء الواجب العسكري متى دعا إلى ذلك . إما في التدريب السنوي أو في الحرب[3] . والسبب الذي حدا بالبطالمة إلى إتباع هذه السياسة هو محاولتهم إدخال وسائل اقتصادية جديدة في مصر، وزيادة عدد الأيدي العاملة، وكذا لكي يتخذ الجند من مصر موطنا لهم، فتنشأ بينهم وبين الملك علاقات قوية . وبذلك يستطيع البطالمة الاعتماد عليهم دائما في تكوين جيوشهم، وتأييد ملكهم، ونشر الحضارة الإغريقية في أنحاء البلاد[4] . ولا يبعد أن يكون بطلميوس الأول هو الذي وضع أساس هذا النظام، بمنح الاقطاعات لرجال الفرق النظامية الذين كانوا في خدمته . وكذا للأسرى الذين وقعوا في قبضته في موقعة غزة عام 312 ق.م . لكننا لا نعرف إلا النزر اليسير عن بداية هذا النظام وتطبيقه في عهد بطلميوس الأول والثاني .

1- *Rostovtzeff.M,op cit, p* 262 – 263.

2- مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 133 .

3- شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 94 .

4- *Rostovtzeff.M, **A large Estate in Egypt in the third Century b.c**, p* 135.

ويحتمل أن هذا النظام لم يكتمل إلا في عهد بطلميوس الثالث[1] .

وقد أخذ البطالمة هذه الاقطاعات من الأراضي الملكية، أو من أراضي الضياع، أو الأراضي المستصلحة حديثا في الفيوم. وربما اقتصر هذا الإقليم على المقدونيين و الإغريق. وكان هذا هو السبب في صبغ الإقليم بالصبغة اليونانية. وكان إقليما فريدا في حضارته أثناء الحكم اليوناني الروماني في مصر. ولم يكن أصحاب الحيازات العسكرية من أصل وجنس واحد، بل من جنسيات مختلفة. ففيهم المقدوني والكريتي و التراقي و الإيتولي والشرقي و أسرى الحرب. ومع ذلك فإنهم من وجهة النظر العامة والرسمية إغريق بغض النظر عن جنسياتهم[2] .

ومن الواضح أن أعمال الاستصلاح التي قام بها مهندسوا فيلادلفوس في الفيوم جعلت مساحات واسعة من الأراضي قابلة للزراعة. وكان يتعين زرع هذه الأراضي مباشرة. لكن الجنود كانوا لا يستطيعون القيام بذلك لأنهم لم تتوافر لديهم الماشية والأدوات، ولا الخبرة اللازمة. ولذلك كان يتعين عليهم جلب جماعات من مزارعي الملك للقيام بهذا العمل، ولذلك أنزل في الفيوم مهاجرون طائعون أو مجبرون، من مديريات مصر المزدحمة بالسكان وبخاصة من الدلتا[3] . ولما كان الجنود المستفيدون من الاقطاعات يدعون للخدمة العسكرية في أي وقت للقيام بأعمال الحاميات في مصر أو خارجها، أو للقيام بمناورات، فإنهم كانوا يفضلون تأجير أرضهم لمستأجرين محليين. وذلك ما نلحظه عند زينون وكيل أشغال أبولونيوس في فيلادلفيا، حيث كان يستأجر أقطاعات كبيرة في فيلادلفيا والقرى المجاورة لها. غير أنه ينقصنا وثائق جديدة تيسر لنا تناول بعض التفاصيل الخاصة بالاقطاعات. مثل الحالات التي نجد فيها الإقطاع نصفين: يعامل أحدهما كسائر الاقطاعات الأخرى فيدفع عنه صاحبه ضريبة لا إيجارا. أما الجزء الآخر فيعامل كما لو كان جزءا من أرض الملك، ويدفع عنه حائزه إيجارا[4] .

وإذا كان البطالمة الأواخر قد توسعوا في منح الاقطاعات للمحاربين المصريين، فإن مساحة هذه الاقطاعات بوجه عام كانت أصغر من مساحة إقطاعات الإغريق. وأن ضريبة الأبوموريا المفروضة عليها كانت تبلغ السدس عادة، وأن أرباب

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 189 .

2 - محمد فهمي عبد الباقي،المرجع السابق، ص 163 .

3 - *Rostovtzeff.M,* ***A large Estate in Egypt in the third Century b.c.*** *p* 137-138.

4 إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 190 .

الاقطاعات كانوا لا يعفون من الأعباء العامة[1] . وقد كانت مساحة الإقطاع تتوقف على مكانة صاحبه في الجيش . إذ أنها كانت تختلف بحسب مرتبة الشخص . وهل هو من فرقة المشاة أم من فرقة الفرسان ذات الأرقام أَمْ من فرق الفرسان القومية ؟ وهل هو في الجيش النظامي أم في فرق الجنود المرتزقة أم في الفرق المصرية ؟ وكان أرباب الاقطاعات يقسمون بحسب مساحة إقطاعاتهم إلى طبقات، طرأت عليها تعديلات في خلال القرن الثاني . لكن هذه الطبقات كانت تقوم على الدوام على أساس نوع المحاربين ونوع فرقهم . ونجد أن أرباب الاقطاعات كانوا ينقسمون في القرن الثالث إلى الطبقات التالية التي انبثق اسمها من عدد الأرورات التي كانت في حيازة كل جندي . فكانت مساحة إقطاع جندي تدل على مرتبته . وهذه الطبقات هي[2] :

- أرباب المائة أرورة : وكانوا فرسان الفرق ذات الأرقام ومشاة الحرس الملكي .
- أرباب السبعين أرورة : وكانوا فرسان الفرق القومية .
- أرباب الثلاثين أرورة : وكانوا المشاة العاديين .
- أرباب الخمس أرورات : وكانوا الجنود المصريين .

إلا أنه في القرن الثاني طرأت بعض التعديلات على طبقات أصحاب الاقطاعات، فأصبحت مساحة الإقطاع الحقيقية تختلف عن مساحته الاسمية .

وكان رب الإقطاع مسؤولا أمام الحكومة عن زراعة إقطاعه، وكان خاضعا لرقابة دقيقة من رؤسائه وموظفي الحكومة، وكانت تطبق عليه قاعدة تقديم البذور إليه من لدن الحكومة بمثابة قرض، غير أن رب الإقطاع كان أكثر حرية من مزارع الملك في إدارة أرضه . لأن التعليمات الخاصة بتنظيم الزراعة كانت لا تطبق على الاقطاعات العسكرية إلا فيما يتعلق ببعض الزراعات مثل: الحبوب الزيتية وكذلك علف الماشية فيما يظن . وفيما عدا ذلك فإن رب الإقطاع كان حرا في زراعة أرضه كما يتراءى له . وكان الملك يستولي على ما يخصه من غلة الإقطاع قبل الجندي الذي منح له . إذ أن الحكومة كانت تضع يدها على المحصول كما كانت الحال مع مزارعي الملك إلى أن يدفع رب الإقطاع كل الضرائب المفروضة عليه، وبعد أن يطلق موظفو الملك سراح ما تبقى من المحصول . آنذاك يؤول باقي المحصول إلى رب الإقطاع[3] .

---

1 - *Rostovtzeff.M,* ***The Social and Economic History of the Hellenistic World****,* 02*vol. p* 728 – 729.

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 192. 193 .

3 - *Rostovtzeff.M,op cit,*02 *vol, p* 287.

كما أن الاقطاعات العسكرية لم تكن ملكا لأصحابها، وإنما مالكها هو الملك يستردها في أي وقت شاء. ولا يمكن لصاحبها بيعها أو رهنها أو توريثها، وتعود الإقطاعية إلى الملك بعد وفاته. وكان من صالح الملك أن يخلف رب الإقطاع المتوفى جندي جديد في الجيش والإقطاع لكي يضمن احتفاظ الجيش بقوته واستمرار زراعة الأرض. فتدر عليه على الأقل الضرائب المفروضة عليها. وكان في صالح أسرة رب الإقطاع أن تستمر في استغلال الإقطاع وكان طبيعيا أن يقتفي البطالمة خطوات الإسكندر، فيفضلون أبناء جنودهم السابقين. ومعنى ذلك أن مصالح الملك وأرباب الإقطاعات أدت إلى جعل حيازة الإقطاع وراثية في الواقع وإن لم تكن كذلك قانونا[1].

ويبدو أنه لم يطرأ أي تغيير على وراثة الإقطاع حتى القرن الأول عندما امتد هذا الحق إلى أقارب صاحب الإقطاع المتوفى، حتى أننا نجد إقطاعات في حيازة امرأة. ويدل هذا على أن حيازة الاقطاعات العسكرية لم تعد مقصورة على الجنود فحسب، بل امتدت إلى أشخاص مدنيين وحتى إلى نساء[2].

ومنذ بداية القرن الثاني قبل الميلاد أصبح من الممكن أن يتنازل صاحب الإقطاعية لجندي آخر لديه القدرة على تسديد الضرائب، أو يضمن تحقيق إنتاج زراعي من الأرض الممنوحة له. واعترفت الحكومة بملكية الإقطاع لأي شخص يستطيع دفع الضرائب المفروضة عليه منذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، حتى لا يتحمل الموظفون المختصون مسؤولية الضرائب المختلفة[3]. ويبدو أنه بعد الاضطرابات العنيفة التي شهدتها البلاد في خلال حكم بطلميوس الثامن اعترفت الدولة بحيازة الإقطاع لأي شخص يستطيع دفع الضرائب المفروضة عليه. ويظهر ذلك في قرار العفو الذي أصدره هذا الملك عام 118 ق.م. ومن قرار آخر أصدره في نفس العام[4].

وفضلا عن هذه الأنصبة من الأراضي المخصصة للجند، كانت الدولة تصبغ عنايتها عليهم فتخصص لهم محلات للسكنى إما في ثكنات أو قشلاقات، أو ينزلون في بيوت يحلون فيها على سكانها الأصليين. ويخصص لهم فيها إما النصف أو بعض الطوابق أو في الحوش المحيط بالمسكن، ويطلق على هذا النظام كلمة (*stathmodsia*). والمساكن

---

1 - *Bevan.E, op cit, p* 171.

2 - محمد عواد حسين، "**الإقطاعات العسكرية في مصر البطلمية**"، المجلة التاريخية المصرية، العدد الثاني من المجلد الثاني؛ أكتوبر 1949، ص 04.03.

3 - محمد فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص 165.

4 - *P.Tebt,5,II*.44-48.

هي (*stathmoi*) . والساكن أو النزيل (*epistathmos*) . أما صاحب البيت فكان يطلق عليه (*stahmouchos*) . وما أكثر الشكاوي التي كانت ترفع إما للملك أو لأحد كبار موظفيه، وتجري تسويتها السلمية . فإن تعذر ذلك تنظر القضية أمام محكمة الإغريق، أو المحكمة المختلطة للفصل فيها . أما في القرى التي أقامها البطالمة مثل قرية فيلادلفيا ، فقد كان الأمر يسيرا ، إذ كان من السهل بناء وتشييد مساكن جديدة لإيواء أولئك الجنود دون المساس بأحد[1] . أما في البلدان والقرى القديمة مثل إدفو وضاحية أرسينوى، فقد ترامى إلى سمع الملك بطلميوس فيلادلفوس أن بعض الجند يتصرفون تصرفات سيئة ويعبثون بحقوق الغير، ولا ينتظرون حتى تخصص لهم المساكن بواسطة مدير الشؤون الاقتصادية، وهو المكلف بتوزيع المساكن على الجند ثم يحلون على الأهالي . وإنما يستخدمون القوة ويقتحمون البيوت ويطردون سكانها الأصليين . ولذا فإن الملك بطلميوس الثاني أصدر أوامر ملكية لتنظيم إيواء الجنود في مساكن الأهالي . ويقضي أحد هذه الأوامر باقتسام المسكن وما يستتبعه مناصفة بين صاحب البيت ورب الإقطاع الذي يمنح مسكنا . ويحظر على أي من الطرفين طرد الآخر . ويفرض على من يرفض ذلك دفع غرامة قدرها ثلاثون دراخمة شهريا إذا كان الطرد من المنزل . وستون دراخمة إذا كان الطرد مما يتبع المنزل . ولما كان المصريون يؤلفون الغالبية العظمى، فإنهم كانوا يتحملون الجانب الأكبر من هذا العبء منذ القرن الثالث قبل الميلاد[2] .

ولم يكن قصد البطالمة أن يجعلوا من الجند ملاكا حقيقيين . فتلك الأنصبة من الأراضي التي اقطعوا إياها . وتلك المحلات السكنية التي حلوا عليها أو أنزلوا فيها كانت كلها عقارات ملكية أعطيت على سبيل المنحة القابلة للاسترداد في أي وقت حسب رغبة الملك . وكان الملك وحده هو الذي يحق له التصرف فيه . وإذا كان طبيعيا أن يخلف الابن أباه في إقطاعه، فلا بد من أنه كان طبيعيا أن يخلفه في مسكنه . ومع ذلك فإن ما أوصى به بعض أرباب الاقطاعات في النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد من توريث مساكنهم لزوجاتهم أو أولادهم يعتبر باطلا . ذلك أن ملكية مسكن الجندي لم تصبح وراثية إلا في القرن الأول قبل الميلاد[3] .

---

1 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 97 .

2 - زكي علي، المرجع السابق، ص 78. 79 .

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 202. 205 .

4.2.1. أراضي الهبات :

وهذه الأراضي نوعان: كان أحدهما وهو (*Ge en syntaxei*) وفقا للرأي السائد اليوم عبارة عن أرض يعتبر دخلها بمثابة مرتب موظف الحكومة الذي منح هذه الأرض . وأما النوع الأخر (*Ge en dorea*) فإنه كان عبارة عن الضياع الكبيرة التي منحها البطالمة لكبار موظفيهم المدنيين والعسكريين[1] . وتمدنا "وثيقة الدخل" المشهورة بمعلومات هامة عن أراضي الهبات فقد ورد في إحدى فقرات هذه الوثيقة[2] : " . . . **وكذلك أرباب الاقطاعات الذين في حيازتهم كروم أو بساتين فاكهة وبقول تقع في إقطاعاتهم التي منحهم الملك إياها . وكل الأشخاص الذين لديهم كروم أو بساتين فاكهة وبقول اشتروها أو منحوها بمثابة هبة . أو يستثمرونها وفقا لأي وضع . كان يجب على كل منهم أن يسجل مساحة أرضه ومقدار محاصيلها المختلفة، وأن يدفع سدس المحصول بأجمعه لأرسنوى فيلادلفوس من أجل تقديم القرابين لها**" . ويمكننا إذن أن نستخلص من هذه الوثيقة عدة أمور يعنينا منها هنا أولا أن أراضي الهبات بنوعيها قد تشمل أرضا فقط، أو أرضا وقرية، أو أرضا وعدة قرى . وثانيا أن أرضي الهبات بنوعيها كانت شائعة في عهد بطلميوس الثاني، ولها من الأهمية ما للأنواع الأخرى . ويتضح ذلك جليا من إقطاع أبولونيوس وزير مالية بطلميوس الثاني . فمن أهم مجموعات البردي التي عثر عليها في مصر البطلمية، المجموعة التي تتضمن أوراق زينون وكيل أشغال الوزير أبولونيوس والمشرف على إقطاعه في الفيوم . فأوراق زينون هذا توضح أن هذا الإقطاع يشمل عشرة آلاف أرورا . وأن الجزء الأكبر منه كان بورا ثم استصلحت عن طريق مد الترع والجسور[3] .

وجدير بالذكر أن أبولونيوس ظل يتمتع بهذا الإقطاع الكبير طالما كان في خدمة الملك . ثم صودر منه عندما صرف من الخدمة . وبعدها آل الإقطاع إلى موظف آخر[4] . وتشير الوثائق أن أبولونيوس لم يكن الشخص الوحيد الذي يحوز في عهد بطلميوس الثاني ضيعة بالقرب من فيلادلفيا ، إذ أن شخصيات كبيرة غيره كانت تحوز ضياعا موهوبة في مديرية الفيوم . ومثل ذلك شخص يدعى فيلينوس، كان له وكيل أشغال يدعى موسخوس . وكان من جيران أبولونيوس أيضا ضابط كبير يدعى تلستيس، وله وكيل أشغال يدعى ليبانوس . ولم يقتصر منح الضياع الموهوبة على القرن الثالث قبل الميلاد فحسب

---

1 - *Rostovtzeff.M,op cit*, 01 *vol, p* 289 -

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 205 .

3 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 132 .

4 - *Rostovtzeff.M, **A large Estate in Egypt in the third Century b.c.** p* 16 – 20 -

كما كان يظن حتى عهد قريب[1] . حيث أن نظام منح الضياع للأشخاص البارزين في الدولة كان لا يزال أو لعله أصبح كذلك شائعا في القرن الثاني . وأغلب الظن أن هذه الضياع لم تكن أراض جديدة لم تستصلح بعد كما كان الحال في ضياع القرن الثالث، وإنما كانت أراض مثمرة في الماضي ثم أهملت وتركت جرداء قاحلة بسبب اضطراب الأحوال في خلال القرن الثاني قبل الميلاد[2] .

وقد كان أصحاب الضياع لهم الكلمة المسموعة في المنطقة التي توجد فيها الضيعة، حتى وإن لم تكن القرية جزءا من الهبة . وبما أن الضيعة كانت هبة شخصية من الملك فإنه كان يستطيع استردادها في أي لحظة[3] كما كان الحال مع أبولونيوس .

وتشير الوثائق الخاصة بضيعة أبولونيوس في فيلادلفيا إلى أن الأراضي الصالحة للزراعة في هذه الضيعة كانت تعتبر مثل أراضي الملك . وتدفع كل ما هو مفروض على أراضي الملك بوجه عام من إيجار وضرائب . . .إلخ . وأن حائز الضيعة كان بمثابة وسيط بين مزارعيه والدولة . فهو الذي يؤجر الأرض للمزارعين ويمدهم بالبذور والماشية . وكان حائز الضيعة لا يأخذ نصيبه إلا بعد أن تستولي الدولة على نصيبها من الإيجار والضرائب المستحقة[4] . وكان الدافع الأساسي الذي دفع البطالمة إلى تقديم مثل هذه الهبات هو الرغبة في أن يجربوا نظام الضياع الفسيحة عند المقدونيين والفرس . وإتباع الطريقة التقليدية عند اليونان، وهي توزيع أنصبة صغيرة متواضعة كوسيلة لتحسين الإنتاج . حيث تمنح مثل هذه الضياع لأكثر أعوان الملك نشاطا وأشدهم تدبيرا . وكان الملك يتوسم فيهم القدرة على تطبيق نفس الأساليب التي يطبقها الملك في باقي الأراضي . فهم بذلك نواب الملك في ضياعهم يعملون رهن إشارته وينفذون تعليماته[5] .

5.2.1. أراضي الامتلاك الخاص :

لازالت نشأة الملكية الخاصة للأرض في العصر البطلمي موضوع خلاف بين المؤرخين . فمنهم من يرى أنها نشأت وتمت تحت حكم البطالمة . ومنهم من يرى أنها كانت موجودة من قبل منذ العصر الفرعوني . والأرجح مما يبدو الآن أن الملكية

---

1 - *Ibid, p 46.*

2 - *Ibid,* ***The Social and Economic History of the Hellenistic World****,* 02*vol. p* 731 – 732.

3 - *Ibid,* ***A large Estate in Egypt in the third Century b.c.*** *p* 46 – 48.

4 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 209 .

5 - زكي علي، المرجع السابق، ص 84 .

الشخصية كانت موجودة عندما حضر البطالمة إلى مصر، واستمرت ونمت تحت حكمهم. وقد ساعد على نموها عاملان: أولهما تحويل الاقطاعات العسكرية إلى ملكية شخصية، رغم أن سياسة الدولة لم تهدف إلى ذلك أصلا. أما العامل الثاني فكان نتيجة لبعض مشاريع إصلاح الأرض البور التي انتهجها البطالمة[1]، وهي التي تعرف بنظام (*emphteusis*). بيد أنه لا يمكن اعتبارها ملكا حرا لأربابها وذلك لثلاثة أسباب هي :

أولا : لأن أربابها كانوا يدفعون عنها إيجارا شأنهم في ذلك شأن مستأجري أرض الملك، وشأن أرباب الأراضي الذين اشتروا واكتسبوا بذلك حيازتها دوما ووراثيا .

ثانيا : عدم وجود دليل على انتقال ملكية هذه الأرض .

ثالثا : إننا نسمع أن أرباب هذا النوع من الأرض كانوا لا يمتلكون أرضهم امتلاكا حرا وإنما يمتلكون فقط حق استثمارها وحيازتها والتصرف فيها كما يشاءون، على نحو جعل هذا النوع من الأرض شديد الشبه بالأرض المملكة امتلاكا حرا[2] .

وتتألف أرض الامتلاك الخاص هذه عادة من البساتين ومزارع من الخضروات والنخيل والكروم. وكانت هذه كلها تزرع في أرض تتطلب قسطا من الإصلاح، ولكنها لا تلائم زراعة القمح. وأغلب الظن أنها منحت لأصحابها بموجب عقود إيجار طويلة الأجل أو عقود وراثية. ويبدو أن الأرض الخاصة في عهد البطالمة لم تكن ملكية حرة، وإنما كانت أرضا يتمتع حائزها بحق الانتفاع. أي أن ملكيته هذه كانت اعتبارية[3] .

ولاشك في أن أصحاب الملكيات الخاصة كان قليل العدد في أول الأمر، ثم ازداد تدريجيا . وكان ضمنهم أيضا جماعة تعرف باسم ملاك الأراضي (*geouehoi*)، ولكن لا نعرف عنهم شيئا يحدد نوع ملكيتهم وعلاقتهم بالحكومة[4] . وجل معلوماتنا عن ملاك الأراضي هؤلاء ترجع إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد . فهم يمثلون طبقة من أصحاب الأراضي تختلف اختلافا كليا عن مزارعي الملك، وتشبه تقريبا ملاك الأرض في بلاد الإغريق[5] . وبالطبع لم تكن الأرض الخاصة معفاة من الضرائب .

---

1 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 134 .

2 - *Préaux.C, op cit, p* 14 ؛ *Bevan.E, op cit, p* 146

3 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 97 .

4 - محمد فهمي عبد الباقي،المرجع السابق، ص 157 .

5 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 216. 217 .

وقد عمدت الحكومة إلى مراقبة زراعتها وإن لم يتم ذلك على الوجه الأكمل بحسب الخطة الموضوعة، ونظام الدورة الزراعية. ثم إن الحكومة كانت تصر كذلك على الوفاء بتسديد الضرائب بانتظام. وفي الحالات التي ثبت فيها العجز عن الوفاء بهذه الالتزامات، كان الملك يذهب إلى المصادرة وبيع هذه الأرض وفاءا لما استحق عليها من ديون[1].

6.2.1. أراضي المدن:

وهي التي خصصت للمدينتين الإغريقيتين الإسكندرية و بطوليس. وكذا الأرض التي كانت تمتلكها المدينة الإغريقية القديمة نقراطيس. فهذه الأرض كانت خارجة عن أملاك الملك وتعتبر ملكا خاصا للمدينة ومواطنيها[2]. وذلك تبعا لتقاليد المدن اليونانية. فكل مدينة كان ينبغي أن تتبعها مساحة من الأراضي الزراعية. ولدينا من الأدلة ما يثبت أن المدن اليونانية في مصر تمتعت بمثل هذا النظام. فكان لمدينة بطلمية التي أنشأها بطليموس الأول في صعيد مصر أرض خاصة سميت (*gepolitike*) أما في حالة الإسكندرية فسميت أرض الإسكندريين (*Alxandreon chora*). ومعلوماتنا عن أرض المدن تدل على أنها كانت ملكيات خاصة في أيدي الأفراد من مواطني المدن. وأنها في حالة الإسكندرية تتمتع بإعفاءات وامتيازات فيما يتعلق بالضرائب[3].

2. الصناعة:

1.2. سياسة البطالمة الصناعية:

لقد كانت مصر موطنا وفيرا لعدد من الصناعات التي اشتهرت بها قبل أن يؤول ملكها إلى البطالمة. وكان ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة إلى بلد عريق في الحضارة، آهل بالسكان، غني بالمحاصيل. حتى أن الطبيعة وهبتها عددا كبيرا من المواد الخام، فقد وجد في صحاريها عدد كبير من الصخور الجبلية كالجرانيت والمرمر. كما وجدت بها مقادير كثيرة من الملح والنطرون، وكميات قليلة من الذهب والنحاس[4]. وقد اشتهرت مصر منذ عصور طويلة بصناعات عديدة أصبحت من أهم

---

1 - زكي علي، المرجع السابق، ص 85. 86 .

2 - محمد عواد حسين، "**شؤون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد إيوارجتيس الثاني**"، ص 194.

3 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 135. 136 .

4 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 215. 216.

خصائصها . حتى أنه لم يكن لها منافس في بعضها . مثل ورق البردي والمنسوجات الكتانية والزجاج والخزف اللامع . كما اشتهرت أيضا بصناعة العطور وبعدد من الصناعات اليدوية، كالعاج والأبنوس وغير ذلك مما كانت تصدرها إلى العالم القديم[1] . ومنذ القرن السادس قبل الميلاد كانت بلاد الإغريق تنافس مصر القديمة منافسة ناجحة في ميدان الصناعة . لكنه عقب فتوحات الإسكندر انتقل مركز الجاذبية الاقتصادي من بلاد الإغريق . وجذبت مصر إليها أنظار الإغريق فهرعوا إليها جماعات وأفرادا . وقد تجمع أغلب هؤلاء المهاجرين في المدن، فازداد عدد سكانها باستمرار . ولا ريب في أن عدد سكان الكثير من مدن مصر القديمة ازداد زيادة كبيرة في عصر البطالمة . ناهيك عن المدن التي سيطرت عليها الجاليات الإغريقية، كنقراطيس و بطوليميس والإسكندرية[2] .

وقد واجه البطالمة مشاكل في الصناعة شبيهة بالتي واجهتهم في الزراعة، نظرا لأن الصناعة المصرية بحالتها القديمة قد عجزت عن سد حاجة هذه العناصر الإغريقية الوافدة . ومن أجل سد حاجة الإغريق المحليين، وكسب الأسواق الخارجية . كان يجب على البطالمة أيضا زيادة إنتاج صناعات عديدة، ومراعاة ذوق المستهلكين الإغريق، أو الذين كانت لهم ميول وعادات إغريقية، بصبغ جانب من المنتجات المصرية بصبغة إغريقية[3] . وقد استجابت مصر إلى كل هذه المطالب حتى أصبحت في القرن الثالث قبل الميلاد تكفي نفسها في كل نواحي الصناعة تقريبا ، وتصدر الفائض من منتجات صناعتها ولاشك في أن هذا النجاح الذي أصابه البطالمة في ميدان الصناعة كان نتيجة لمهارات أهل البلاد، ومواهب المهاجرين إليها . كما ساعد على رواج التجارة المصرية رواجا عظيما ، اهتمام الملوك باستغلال الموارد الصناعية استغلالا لم تعرفه مصر في أي عصر من عصور تاريخها . فقد كان البطالمة يعتمدون في ملء خزانتهم بالأموال من الموارد الزراعية والصناعية على حد سواء[4] . وكان للمعابد كذلك شأن في الصناعة . إذ أن المعبد المصري في العصور القديمة كان كالدير في العصور الوسطى، مركزا اقتصاديا هاما . له ضياع واسعة، وقطعان كبيرة، ومصانع مختلفة، تنتج أحسن أنواع الزيوت وأرقى المنسوجات الكتانية . وعلى الرغم من منافسة الملك والمعابد ، فإن الأفراد أنشأوا الكثير من المصانع في المدن الكبيرة . واستطاعوا أن يرتزقوا

1- *Rostovtzeff.M,* ***The Social and Economic History of the Hellenistic World****,* 02*vol. p* 381 – 382.

2- *Glotz, op cit.p 397.*

3- *Lumbroso Giacomo,* ***Recherches sur l'economie politique de l'Egypte sous les Lagides****. Turin Imprimeri Royale*1870.*p* 100.

4- *Rostovtzeff.M,op cit,* 01 *vol, p* 366.

من الصناعات المختلفة حتى في أصغر القرى[1] .

وإذا كان الملك البطلمي قد اعتبر نفسه الزارع الأول في مجال الزراعة، فقد مارس السياسة ذاتها في مجال الصناعة فكان الملك هو الصانع الأول . وانطلاقا من هذه الفكرة مارست الدولة سياسة الاحتكار الكلي في بعض الصناعات . بينما اكتفت بالتدخل المباشر في صناعات أخرى . فمن بين الصناعات التي خضعت لاحتكار الدولة الكامل صناعتا الزيت والملح . وقد أمكننا أن نلم بتفاصيل نظام الاحتكار البطلمي ممثلا في صناعة الزيت، عن طريق المعلومات الواردة في بردية هامة تعرف باسم " بردية قوانين الدخل للملك البطلمي فيلادلفوس" . وهذه الوثيقة تطلعنا على مدى تحكم الدولة الكامل في جميع مراحل إنتاج الزيت[2] .

وقد أدى ازدهار الصناعة في المدن إلى هجرة الكثير من الريف . وكانت الإسكندرية في مقدمة المدن التي اجتذبت إليها آلاف العمال والصناع . وكان أرباب كل حرفة يتجمعون سويا في الأحياء والشوارع . حتى في بلدة متواضعة مثل أرسينوى . ويؤلفون نقابات تعاونية . وتدل الوثائق الديموطيقية من القرون الأخيرة التي تسبق الفتح المقدوني، على أنه إذا كانت تربط الزراع بأراضيهم والعمال بمصانعهم روابط قوية مختلفة، فإنه لم يوجد في حياة مصر الاقتصادية عبيد قبل مجيء الإغريق[3] . وكانت حال العمال تختلف تبعا للمهن والحرف التي يزاولونها . ويعطينا ديودور نقلا عن الجغرافي أجثار خيديس صورة بشعة لحياة المجرمين وأسرى الحرب الذين كانت الحكومة تفرض عليهم العمل في مناجم الذهب التي تحت إمرتها . ذلك أن أولئك التعسين كانوا يعملون داخل دهاليز عميقة ملتوية مظلمة، وينقبون الصخر بأدوات بسيطة من المعادن . وزاد في بؤسهم أنهم عراة الأجسام مقيدين بالأغلال، وحولهم حراس غلاظ القلوب يلهبون ظهورهم بالسياط[4] .

وكان العمال الأحرار يخضعون لنظم قاسية أيضا . ففي المصانع التي يديرها الملتزمون كان عدد المشرفين على العمال كبيرا . وكان العمال لا يستريحون إلا يوما واحدا دون أجر كل عشرة أيام . وكان محظورا عليهم الانقطاع عن العمل، وإلا فرضت عليهم عقوبات صارمة[5] .

---

1 - *Glotz.G. op cit,* p 417 - 418.

2 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 138 .

3 - *Glotz.G. op cit, p* 418.

4 - *Diod,* III.12 -14.

5 - *Glotz.G. op cit, p* 426 – 427.

أما عن الأجور فإن الوثائق البردية التي ترجع إلى عهد بطلميوس الرابع والخامس، تخبرنا بأن الأجور اليومية التي كان أرباب الأعمال يدفعونها لمن في خدمتهم، كانت تدفع بالعملة البرونزية. وتتراوح بين خمس دراخمات وعشرين دراخمة. غير أن هذه الأجور بالرغم من أنها بلغت ستين ضعفا للأجور المماثلة في عهدي بطلميوس الثاني والثالث، فإنها لم تتناسب إطلاقا مع ارتفاع الحاجات اللازمة للحياة[1].

2.2.نظام الصناعات والحرف:

لما كان التصرف في المحاصيل الزراعية بيد الحكومة في مصر البطلمية، فإن جانبا كبيرا من هذه المحاصيل لم يكن يستهلك مباشرة. لأنه كان المواد الخام لعدة صناعات، ومثل ذلك الحبوب الزيتية لاستخراج الزيت، والشعير لعمل الجعة، والكتان لعمل المنسوجات، والقنب لعمل الحبال، والبردي لصنع الحصير والسلال والورق، بالإضافة إلى أن الحكومة كانت تمتلك أيضا المناجم والمحاجر وتستخرج منها خامات لابد من تصنيعها قبل استخدامها. وبذلك فقد توافرت لدى الحكومة موارد عدد كبير من الصناعات والحرف، نورد أبرزها من خلال استعراضنا للنظم التي وضعها البطالمة من أجل توفيرها، ومعرفة قيمتها، ومدى الاستفادة منها محليا ودوليا:

1.2.2.صناعة الزيت:

الزيوت هي أفضل مثل معروف لدينا عن كيفية تطبيق نظم الاحتكار في مصر البطلمية. وذلك بفضل ما وصل إلينا من معلومات في وثيقة الالتزام في جباية الضرائب. حيث جاء قانون (*nomos*) منظم لعملية الالتزام في النباتات الزيتية، وجاء فيه تنظيم لهذا النوع من الاقتصاد الملكي المطبق في عصر بطلميوس فيلادلفوس وما بعده. والموضوع الذي جاء في هذه الوثيقة أفرد لموضوع الزيوت وأطلق عليه اسم (*nomos elaikes*). ويكون كاملا بالمقارنة مع القوانين الأخرى[2]. وكانت مصر تزرع النباتات الزيتية من قديم الزمن، إلا أن أكثر النباتات الزيتية انتشارا هي: السمسم والخروع والعصفر والقرطم العسلي وبذر الكتان. وقد كانت الحكومة تحدد سنويا المساحة المزروعة حبوبا زيتية. وهذا كله بمقتضى دورة مألوفة يحدد فيها كل شيء. فكان يخصص عدد معين من الأورورات يقدر بالآلاف لزراعة نوع معين من هذه النباتات الزيتية أو صنف آخر.

---

1 - *P.Tebt,884,I.*61. -

2 - زكي علي، المرجع السابق، ص 89 .

مع مراعاة صلاحية الأرض وجودتها . لذلك فإنه قد ساير مشروع إصلاح الأراضي، مشروع جعل مصر وطنا هاما لإنتاج الزيت الذي رأت فيه الدولة موردا هاما لخزانتها ، إلى حد أنها احتكرت صناعة الزيت[1] .

أما عن الحبوب اللازمة لذلك، فكانت الدولة تقوم بتسليمها للزراع الذين كانوا يتعهدون بردها في نهاية الموسم من المحصول الجديد . وكانت الدولة تستولي على ربع المحصول مقابل الضريبة المستحقة لها . أما باقي المحصول فكانت الدولة تشتريه من المزارعين بالسعر الذي يحدده الملك[2] . وكان الملتزم بدوره ملزما بأن يسلم المقادير التي حصل عليها من الفلاحين إلى الحكومة، بنقلها إلى المخازن الحكومية، ومنها إلى معاصر الزيتون التابعة للحكومة، وكانت هذه المعاصر موجودة في المدن والقرى . وتحدثنا وثيقة الدخل بأن الإيكونوموس ومراقب الحسابات كانا يضعان خاتما على المصانع التي يصرح لها باستخراج الزيت . فكان ذلك بمثابة ترخيص لهذه المصانع بمزاولة عملها لحساب الحكومة . وكانت المديرية هي المسئولة عن نظام التزام صناعة الزيت[3] .

وكان العمل الذي يتم في هذه المعاصر يجري تنظيمه بواسطة الملتزم والموظفين الإداريين . وكان المفروض أن يقوم هؤلاء بتزويد كل معصرة بالقدر الكافي من المواد الخام بلا زيادة ولا نقصان، بالقدر الذي يكفي لتشغيل هذه المعاصر فعلا . وكانوا مسئولين كذلك عن قدرة كل معصرة ودرجة كفاءتها في أداء المهمة الموكلة إليها . أما عن مراكز العمل في هذه المعاصر، فقد كانوا أحرارا وليسوا عبيدا أو أقنانا . ولكنهم مع ذلك كانوا خاضعين لإشراف دقيق، حيث كانوا يعملون في المعاصر لفترة تمتد طوال فترة التشغيل أو العمالة . وكانوا ملزمين بأداء هذا العمل والبقاء في الأماكن التي توجد فيها هذه المعاصر . فلا يحق لهم مغادرتها والخروج عن نطاق مكانهم في المحافظة التي ينتمون إليها[4] . وكان أجر العمال يقدر بحسب عدد الأرادب التي يستخرجون الزيت منها . وتشجيعا للعمال على عدم التراخي، كانوا إذا استخرجوا زيتا من كميات من المواد الخام تزيد على القدرة اليومية يمنحون هم والملتزمون بعد بيع الزيت مكافأة معينة، تتوقف على كمية الزيت الإضافية . ولا نعرف إذا كانت مزاولة صناعة الزيت حرفة دائمة أم وراثية . ولا إلى أي حد كان يمكن إرغام العمال على مزاولة هذه الحرفة .

---

1 - *Rostovtzeff.M, op cit, 01 vol, p* 64 – 65.-

2 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 138 .

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 250 .

4 - زكي علي، المرجع السابق، ص 92 .

ويجب ألا نتخيل.على حد تعبير الأستاذ نصحي.أنه كان يوجد شيء من السخرة هنا . لأن مزاولة الحرف تتطلب شيئا من الكفاءة. وكان العمال في كل مديرية يوزعون بين مصانعها تبعا لحاجة هذه المصانع[1] .

وعلى الرغم من أنه في صدر العصر البطلمي وجدت معاصر وعدد وآلات يمتلكها أفراد، ولكنهم في استعمالهم لها مقيدون. فإنه أصبح فيما بعد محرم تماما على الأفراد إنتاج زيوت من أي نوع. كما حرم على الحرفيين من عاصري الزيوت القيام بعصرها لحساب هؤلاء الأفراد . وبذلك أصبح عصر الزيوت امتيازا خاصا انفرد به الملك وحده[2] . ولم يعد أمام الصناع المهرة والحرفيين في هذا المجال إلا الدخول في خدمة الحكومة . أما عن المعابد فقد سمح لها باستخراج الزيت في كافة أنحاء البلاد، على أن يبلغوا الملتزم ومندوبي الإيكونوموس ومراقب الحسابات عن عدد مصانع الزيت في كل معبد، وعدد المطاحن والمعاصر في كل مصنع. وعندما يريدون استخراج زيت السمسم فإنه يحتم عليهم أن يصطحبوا معهم الملتزم و مندوبي الإيكونوموس ومراقب الحسابات. وأن يستخرجوا الزيت بحضورهم. ويتعين عليهم أن يستخرجوا في شهرين المقدار الذي أعلنوا أنهم يستهلكونه في عام واحد . وأما زيت الخروع فإنه وجب عليهم أخذه من الملتزم بسعر محدد[3] .

وكان حق بيع الزيت يمنح بطريق الالتزام لتجار الجملة وتجار التجزئة على السواء . وعلى هؤلاء أن يقوموا ببيعه للمستهلكين بالسعر الذي تحدده الحكومة، وهو سعر باهظ . وكان الملك يجني من وراء ذلك ربحا طائلا، وخصوصا ما تعلق بزيت السمسم والحنظل. أما الزيتون فيبدوا أنه لم يدخل في إطار الاحتكار، وقد فرضت عليه ضريبة استيراد بلغت خمسين بالمائة[4] .

2.2.2.صناعة المنسوجات :

لقد اشتهر المصريون بصناعة المنسوجات الصوفية وأتقنوها منذ العصر الفرعوني، واستمروا عليها كذلك في العصر البطلمي . ورغم أن تفاصيل سياسة البطالمة حيال هذه الصناعة تعوزنا، فمن الواضح أنه وجدت ثلاث شعب أو قطاعات لإنتاج الكتان : فالقطاع الأول هو النسيج الذي يتم نسجه في مصانع الحكومة . والقطاع الثاني هو نسيج المعابد .

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 254. 255 .

2 - زكي علي، المرجع السابق، ص 93 .

3 - *Préaux.C, op cit, p* 75.

4 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 107 .

والقطاع الثالث هو نسيج الأفراد من أصحاب المصانع الخاصة، أو الذي كان ينسج في المنازل. وقد سمح للقطاعات الثلاث بالعمل. وكان القطاع الحكومي يعمل على أسس شبيهة بأسس العمل في احتكار الزيت[1]. فقد مر بنا أن الحكومة كانت تحتم بيع مقدار معين لها من محصول الكتان بسعر معين. لكن ليس معنى ذلك أن الحكومة نفسها هي التي كانت تشتري الكتان. بل لابد من أنه كان يقوم بذلك ملتزمون، على نحو ما لاحظناه في الحبوب الزيتية. وإذا كان الملك يستطيع تحديد إنتاج الكتان فإنه يتعذر عليه ذلك في حالة الصوف لاختلاف مصدر المادتين، لاسيما وأن تربية الأغنام كانت مباحة للجميع[2].

وقد كانت الحكومة تفرض على كل مديرية موافاتها بكمية معينة من المنسوجات التي يبدو أنها كانت موزعة على مدن المديرية وقراها. أي على مصانع النسيج وصغار النساجين الذين يشتغلون في بيوتهم. ويبدو أن الحكومة كانت تمدهم بالمواد الخام اللازمة للنسيج، وكذا الصودا وزيت الخروع لغسل المنسوجات. وحسبما جاء في وثيقة الدخل فإنه إذا عجز أحد النساجين عن تقديم كمية المنسوجات المطلوبة منه، فرض عليه دفع ثمنها بحسب ما حددته اللوائح لكل نوع[3].

وكانت لا تفرض على النساجين أن يقدموا لها كل إنتاجهم، وإنما تعتبر كل ناسج مسؤولا عن تقديم كمية معينة من المنسوجات. ويستخلص من ذلك أن كمية المنسوجات التي تفرضها الحكومة على الناسجين، كانت لا تتوقف على حاجة الحكومة إلى قدر معين من المنسوجات، وإنما كانت عبارة عن نسبة معينة تقدرها الحكومة من إنتاج الأنوال العاملة. ولذلك فإن الحكومة كانت تحرص على ألا يزاول أحد صناعة النسيج خفية. وإذا كان يفرض على ناسجي الكتان أن يقدموا للحكومة قدرا معينا من إنتاجهم، فإنه لا يوجد دليل على أن إنتاجهم كان مقصورا على ما تطلبه الحكومة، بل كانوا فيما يظن ينتجون كذلك كميات أخرى لتصريفها في الأسواق[4].

أما عن المعابد فقد اشتهرت بنوع ممتاز من النسيج يعرف باسم بوسوس. يستخدم كأكفان ولفافات المومياوات وملابس لكهنة المعبد والآلهة. وكان على مصانع النسيج التابعة للمعابد تقديم جزء معين من الإنتاج، ودفع ثمن الكميات المقررة

---

1 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 139.

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 259.

3 - *P.Tebt,703,II*.87.

4 - *Préaux.C, op cit, p* 99 - 101.

عليها إذا لم تنتجها[1] . غير أن قرار حجر رشيد المشهور، يحدثنا بأن الكهنة أعربوا عن خالص شكرهم للملك بطلميوس الخامس، وغمروه بمظاهر التشريف . لأنه أنقص كمية البوسوس المفروضة عليهم إلى الثلثين . وكذلك أعفى بطلميوس الخامس الكهنة من المبالغ المستحقة عليهم لعدم تقديمهم كمية المنسوجات المفروضة عليهم . لكنه يبدو أن هذا القرار قضى أيضا بأن البوسوس الذي لا يقدمه الكهنة للحكومة يجب ألا يستخدم إلا في الطقوس الدينية . ولا شك في أن الكهنة حتى عهد بطلميوس الثاني كانوا يتمتعون بحق صناعة كمية إضافية من البوسوس لاستخدامها في الطقوس الدينية . وخاصة لصنع الملابس لتماثيل الملوك المؤلهين والآلهة الأخرى[2] .

أما عن صناعة الصوف فقد ازدادت أهميتها في العصر البطلمي بسبب وجود الإغريق الذين اعتادوا لبس الصوف عكس المصريين الذين ألفوا لبس الكتان . ونحن لا نعرف مدى تدخل الحكومة البطلمية في صناعة الصوف، ولكن الأرجح أنها كانت أكثر حرية من صناعة الكتان ، أي أن مصانع الحكومة لم تكن واسعة الانتشار، وأن الإنتاج الخاص لم يكن خاضعا لرقابة الدولة الشديدة[3] .

ويبدو أن البطالمة لم يقلبوا هذه الصناعة رأسا على عقب، فلم يحاولوا تركيز مزاولتها على الحكومة . بل اكتفت الدولة بأن يكون لها مصانع، وسمحت بوجود مصانع خاصة تعمل تحت إشرافها فقط . ومهما كانت القيود التي فرضتها الحكومة على هذه الصناعة فإنها حرصت على عدم تدهورها .

3.2.2. صناعة الجعة :

كان استخراج الجعة من الشعير من أهم الصناعات في مصر، لأن الجعة كانت شرابا قوميا يستهلك بكثرة بسبب طقس مصر الحار . حتى أنه لا يفوق الجعة في كمية الاستهلاك إلا الزيت . ولذلك فإنه كان يوجد في مصر منذ أقدم العصور متخصصون في صنع الجعة، وقد كانوا يشكلون في عصر البطالمة نقابات محلية[4] . ولم يكن الاشتغال بصناعة الجعة وبيعها حرفة حرة يزاولها من يشاء دون قيد أو شرط، بل كان لا يقوم بذلك إلا ملتزمون ارتبطوا مع الحكومة بعقود مكتوبة .

---

1 - محمد فهمي عبد الباقي،المرجع السابق، ص 175 .

2 - *Préaux.C, op cit, p* 104.

3 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 139 .

4 - *Rostovtzeff.M,op cit,* 01 *vol,* 308.

ولذلك فإن الاشتغال بهذه الحرفة يعتبر احتكارا ملكيا يشبه إلى حد ما احتكار استخراج الزيت . ويتبين ذلك من إحدى وثائق زينون التي تطلعنا على بعض نواحي هذا الاحتكار . وفحوى هذه الوثيقة أن أحد صانعي الجعة في مديرية أرسينوى وكان شخصا يدعى بايس إتفق مع أبولونيوس على أن يصنع الجعة في فيلادلفيا ، وأن يؤدي للخزانة الملكية مبلغا يقابل كمية الشعير التي كانت تقدم إليه يوميا ، ومقدارها اثنا عشر إردبا . ولذلك فان أبولونيوس كتب إلى وزير أشغاله زينون يطلب إليه تحرير عقد مع بايس بهذه الشروط . على أن يقسم بايس على تنفيذ العقد ثم يسلم له المصنع ويعين شخصا مؤتمنا لتسلم دخل المصنع[1] . ولاشك في أن المنافسة على التعاقد بشأن الالتزامات الحكومية كانت تمنع المتعاقدين من الوفاء بتعهداتهم فيحاولون التخلص من ذلك بالكذب والتحايل والخداع . مما كان يوقعه في المشاكل مع المسؤولين . ولعل هذه المتاعب هي التي جعلت الحكومة لا تكتفي بأن يكون العقد مصحوبا بقسم لضمان تنفيذه . بل نجد في بعض الحالات أشخاصا يضمنون الملتزم[2] . ويبدو من الوثيقة الخاصة ببايس أن مقدار ما يدفعه الملتزم كان يتوقف على مقدار الشعير الذي يقدم إليه . وقد كان النظام الذي وضعته الحكومة يضمن لها بيع الشعير الذي حصلت عليه من المزارعين على اختلاف أنواعه، وكذلك المساهمة في الربح الناتج من صناعة الجعة وبيعها . بالإضافة إلى ذلك فإن الأهالي كانوا يدفعون للحكومة ضريبة لقاء تمتعهم بحق شراء الجعة[3] . كما تجدر الإشارة إلى وجود مصانع للجعة بالمعابد أيضا .

4.2.2 . صناعة الورق :

كانت صناعة الورق المعروفة لدى المصريين والعالم القديم باستخدام النبات البردي (*CYPRUS PAPYRUS*) الذي ينتمي إلى عائلة الحلفاء وينمو في مستنقعات مصر السفلى . وكان أول من استعمله في صحائف الكتب المصريون . وقد استعمل الإغريق ملفات البردي المشهورة في مصر منذ القرن السابع قبل الميلاد . وحتى في القرن الثاني قبل الميلاد عندما حل محله الملف المصنوع من الورق . و استمر استعماله إلى غاية ألف ميلادية[4] . ولما كان الورق لا يصنع إلا من سيقان البردي الطازجة وكانت وسائل النقل بطيئة، فلا بد من أن الورق كان يصنع في مصانع قريبة من مزارع البردي . ويبدو أن استخدام

---

1 - *Rostovtzeff.M, A large Estate in Egypt in the third Century b.c.* p 118.-

2 - *Préaux.C, op cit, p* 154.-

3 - *Rostovtzeff.M, op cit,p* 119.

4 - ليوناردكوتريل وآخرون، **الموسوعة الأثرية العالمية**، تر: محمد عبد القادر محمد وزكي إسكندر، مراجعة: عبد المنعم أبوبكر، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997)، ص .

الورق في مصر قد انتشر انتشارا سريعا في عصر البطالمة، ذلك أن وثائق عهد بطلميوس الأول نادرة، بيد أننا نجدها كثيرة في عهد بطلميوس الثاني وخلفائه. ولعل هذه الظاهرة لم تكن صدفة، بل ترجع إلى التحسينات التي أدخلت على صناعة الورق في عهد بطلميوس الأول والثاني، مما أدى إلى زيادة إنتاجه وهبوط ثمنه. وتشير إحدى وثائق سجلات زينون التي نشرت حديثا والتي تعود إلى عامي 258 ـ257 ق.م إلى حقيقتين هما: أن أوراق البردي كانت تصنع بكثرة في عهد بطلميوس الثاني وأن أثمانها كانت زهيدة. حتى أنها كانت لا تستعمل في الكتابة فحسب بل كذلك في حزم الأشياء[1]. ولا أدل على كثرة استخدام الورق البردي في مصر البطلمية مما عثر عليه من آلاف الوثائق الرسمية والخطابات الخاصة وبقايا الكتب.

أما عن نظام عمل مصانع الورق، فيرجح أنه في بداية عصر البطالمة لم تكن للتاج مصانع خاصة به، وأنه كان يكتفي بإشراف الحكومة إشرافا دقيقا على مصانع الورق الأهلية، والحصول على نصيب من إنتاجها. وهناك وثيقة ترجع إلى 159 ق.م تحدثنا بأنه كان يوجد في القرن الثاني قبل الميلاد نوعان من المصانع. وهما: المصانع الملكية والمصانع الأهلية. ويحتمل أن الثانية كانت تبتاع حق مزاولة نشاطها من الملك. ومعنى هذا أن الحكومة كانت تبيع حق صناعة الورق للملتزمين. وكان الإشراف على ملتزمي هذه الصناعة من اختصاص عمال المالية الموجودين في مختلف الأماكن التي توجد بها مصانع الورق[2].

وإذا كانت الحكومة قد اتخذت من الإجراءات ما يكفل إمداد البلاط والمكتبة والإدارة المركزية بما يسد حاجتها جميعا من الورق، فإننا لا نعرف ما إذا كانت المعابد تصنع الورق اللازم لها في عهد البطالمة أم لا؟ غير أن استرابون يذكر بأن أفضل أنواع الورق البردي كان يسمى الورق المقدس (*hiera tikos*)، وهو مخصص للكتب المقدسة[3]. إلا أنه يحتمل أن المعابد هي التي كانت تصنع هذا الصنف من الورق، على أن تعطي الملك نصيبا من الإنتاج على غرار ما عرفنا في البوسوس. ويلاحظ مما سبق ذكره أن الحكومة لم تكن تحتكر صناعة الورق، وإنما فرضت عليها رقابة شديدة وقيودا، سواء في صناعته أو تجارته. كما أنها فرضت ضرائب على المصانع المنتجة له. أما عن استهلاك الورق فإن الحكومة فرضت على الموزعين له الاقتصار على شرائه من مصانع الحكومة. وألا يستخدموا ما ينتجه الأفراد.

1- *Rostovtzeff.M*, ***The Social and Economic History of the Hellenistic World***, 01*vol*. 310.

2- *Ibid*, *p* 311 – 312.

3- *strabo.XVII*,800.

أما عن تصديره للعالم الخارجي فقد أخضع للسيطرة التامة للدولة[1] .

5.2.2. صناعة الفخار والزجاج:

بالرغم مما كان لهاتين الصناعتين من شأن كبير في عصور مصر القديمة، إلا أن معلوماتنا عنها في عهد البطالمة قليلة جدا . فهي لا تزيد عما نستوحيه من إحدى وثائق زينون البردية، و التي ترجع إلى بداية عهد بطلميوس الثالث . ويبدو من هذه الوثيقة أن صناعة الفخار كانت على نمط صناعة النسيج وعدة صناعات أخرى . أي أن حق مزاولتها كان يمنح لأشخاص لقاء ضريبة نوعية وجانب من إنتاجهم . ونظرا لرواج إنتاج النبيذ فقد كان لزاما زيادة إنتاج كميات كبيرة من الآنية الفخارية لتعبئته[2] . أما عن صناعة الزجاج فإننا لا نعرف عنها شيئا على الإطلاق، ومع ذلك فلا يستبعد أن تكون هي الأخرى على نمط الفخار والنسيج وغيرهما .

6.2.2. صناعة الجلود :

كانت هناك إدارة خاصة بالدخل من صناعة الجلود تسمى (*Dermat era*) والمقطع الأخير (*era*) من الكلمة و التي تعبر عن هذه الإدارة يتردد كذلك في اسم الإدارات الخاصة بالدخل من صناعات أخرى كانت الحكومة تشرف عليها أو تحتكرها . وإذا كنا نستخلص من ذلك أن الحكومة كانت تشرف على صناعة الجلود أو تحتكرها ، فإننا لا نستطيع استخلاص نوع النظام الذي كان متبعا في هذه الصناعة . نظرا لتباين النظم التي كانت تقوم عليها الصناعات المختلفة . وكان يقوم على رأس هذه الإدارة مراقب أو مشرف يتمتع باختصاص قضائي خاص على العمال المشتغلين بهذه الصناعة . وقد ورد في إحدى وثائق البردي التي تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، أنه كانت توجد مصانع ملكية لدباغة الجلود . وأن الملك كان يعنى بتدبير مساكن لعمال المصانع الملكية لدباغة الجلود . كما أنه كان يوجد ملتزمون كانوا مسؤولون أمام التاج عن دباغة الجلود والدخل الناتج عن بيع صوف الجلود الخام، وكذا الجلود المدبوغة[3] .

ويمكننا أن نستخلص من هذه الوثيقة أن صناعة الجلود ودباغتها كانت حكرا على المصانع الملكية . ويبدو أنها

---

1 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 140 .

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 281.

3 - *Préaux.C, op cit, p* 231.

كانت الممول الأساسي لصانعي الأحذية لسد احتياجاتهم من الجلود وقد كانوا يخضعون لضريبة معينة، لا ندري أكانت عبارة عن نسبة معينة من دخلهم أم أنها كانت تقدم كحقوق لمزاولة هذا النشاط ؟ ولاشك في أن جباية هذه الضريبة كانت تقتضي إحصاء العمال المشتغلين بهذه الحرفة . وقد عملت الدولة على تشجيعهم قصد المحافظة على هذه الصناعة التي أولاها البطالمة عناية كبيرة في مصر[1] .

7.2.2. قطع الأحجار :

عرفت مصر منذ القدم بأنواع مختلفة من أحجار البناء، والأحجار الكريمة وشبه الكريمة . ولا شك في أن كافة المحاجر كانت ملكا للتاج. وكانت أحجار البناء لا تستخدم عادة في المنشآت الخاصة باستثناء مدينة الإسكندرية . وبما أن اغلب المنشآت العامة كانت تقام على نفقة الملك، فإنه كان من الطبيعي أن يحتفظ الملك بحق استغلال المحاجر[2] .

أما عن استغلال المحاجر فقد كان يوكل إلى متعهدين بعد ما يعرضون خدماتهم لقاء أقل أجر . وهم من ذوي الاختصاص في فن قطع الأحجار، وكانوا يشكلون نقابات خاصة بهم، ويتعاقدون على استخراج كمية معينة من الأحجار . وعند انتهاء العمل كان يفحصه خبير حكومي ليرى مدى مطابقته لشروط العقد . وكان المتعهدون يستعينون بعمال يستخدمونهم على نفقتهم تحت إشراف مراقب من قبل كبير المهندسين . كما أن الملك كان يمدهم بالعمال والمسجونين والجنود لمساعدتهم أحيانا عند الحاجة . وذلك لا يعني أن البطالمة استخدموا السخرة لهذا الغرض[3] .

وقد كانت أجور العمال الأحرار الذين يشتغلون في المحاجر مرضية، حيث كان يصل الأجر شهريا إلى اثني عشر دراخمة بالإضافة إلى إردب من الحبوب الغذائية وكمية من الزيت السوري . و مهما يكن أجرهم فإن حياتهم كانت شاقة بسبب ما يقومون به من عمل مضن في أماكن موحشة بعيدة، تجعلهم عرضة للمجاعة إذا تأخر وصول الطعام إليهم، أو تأخر خبير الحكومة لفحص عملهم، أو تعطلت المراكب التي تنقل الأحجار أو تأخر دفع أجورهم وذلك ما نلحظه من كتاباتهم على صخور المحاجر التي يعملون بها[4] .

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03،ص 283.

2 - *Préaux.C, op cit, p* 243 – 244.-

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 271.

4 - *Rostovtzeff.M,op cit,* 01 *vol,* 290.-

8.2.2.التعدين :

إن ثروة مصر المعدنية لم تعرف كلها في العصور القديمة . وكل ما عرفه القدماء منها كانت مناجم النحاس في شبه جزيرة سيناء ، وفي فيلوتيس بالفيوم، ومناجم الذهب في الصحراء الشرقية وفي بلاد النوبة، وقليلا من الحديد والفضة . ويبدو أن مناجم سيناء استنفذت قبل عصر البطالمة . لأن حفريات "جامعة هارفارد" لم تجد أثرا لاستغلال هذه المناجم في عصري البطالمة والرومان . وقد وجدت آثار نقوش للمصريين والإغريق تشير إلى استخراج الذهب من مناجم الذهب في التلال الواقعة شرقي قفط وإدفو وفي وادي الفواجير، بالقرب من محاجر وادي الحمامات وبلاد النوبة في عصر البطالمة وقبله بقرون[1] .

أما عن استغلال المناجم في عصر البطالمة فمن الواضح أنها كانت تشبه إلى حد كبير استغلال المحاجر . غير أن اليد العاملة بها كانت مقتصرة على المجرمين وأسرى الحروب، نظرا لبعدها عن وادي النيل . في حين لم يكن استخدام المساجين شائعا في المحاجر[2] . ولا يستبعد أنه كان يوجد متعهدون لاستخراج كميات معينة من المعادن من مناجم معينة . وأنه كان يشرف على العمل خبراء أحرار، بينما يقوم المساجين بالعمل الشاق ويعاملون معاملة العبيد . أما عن تقدير إنتاج مناجم الذهب، فإن من المؤرخين المعاصرين من يرى بأن استغلالها كان شاقا عسيرا . وأن إنتاجها كان ضعيفا . إذ أنه لم يف حاجة البطالمة بما يلزمهم لسك العملة . ولعل هذا ما دفع البطالمة لزيادة إنتاج السلع التي تصدر إلى الخارج للحصول على النقود . ولربما كان الذهب الأجنبي أقل كلفة من الذهب المستخرج من المناجم المصرية . وإذا كنا نعرف الكثير عن نقود البطالمة واحتكارهم سكها ، فإننا لا نعرف شيئا عن نظام هذا الاحتكار[3] .

أما بالنسبة للمعادن التي لا تسك فقد كانت تستخدم في صناعة الحلي و الأواني الذهبية والفضية . وكان عدد المشتغلين في هذه الصناعة كبيرا ، خصوصا في الإسكندرية . وكانت تصنع كذلك الأواني و الأدوات البرونزية من النحاس و القصدير . وقد تفرض على هذه الصناعات أيضا ضرائب . ويحتمل أن حق ممارسة هذه الصناعة كان يعطى للملتزمين في كل بلد . والجدير بالذكر أن الحديد الخام لم يكن معروفا في مصر خلال العصور القديمة . وحتى عصر البطالمة كانت هذه المادة

---

1 - *Préaux.C, op cit, p* 253 – 255.-

2 - *Rostovtzeff.M,op cit,* 01 *vol,* 298.-

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 276 .

تستورد من إيطاليا . فاحتكر البطالمة تجارتها نظرا لحاجتهم إليها في تسليح جيوشهم وأساطيلهم وسد مطالب المزارع والمصانع . ونظرا للارتفاع الفاحش في سعره فلم يكن في مقدور الناس شراءه واستغلاله[1] .

بالإضافة إلى ما سبق ذكره عرف البطالمة حرفا وصناعات أخرى، من بينها صناعة الملح والعطور والتوابل . وساعدت سياسة الاحتكار التي فرضها البطالمة على الصناعة المصرية على ملء خزانة الملك . وبرغم صدور قوانين صارمة وضرائب باهظة على الأهالي، إلا أنهم سطروا نظما تراعي السير الحسن لكل صناعة، وذلك بغية تحقيق أمرين أساسيين هما : تحقيق الاكتفاء الذاتي . وتصدير الفائض وإيجاد توازن في السوق الداخلية . خصوصا وأن البطالمة كانوا حديثي عهد باستخدام النقود .

3.التجارة :

1.3.التجارة الداخلية :

يبدو أن النظام المالي الذي وضعه البطالمة للزراعة والصناعة كان عاملا هاما في الحد من نشاط حركة التجارة الداخلية . إذ لم يهيمنوا على المنتجات الزراعية والصناعية فحسب بل حرصوا وعمدوا إلى إضعاف مستوى الزراع والصناع تفاديا لرفع تكاليف الإنتاج لتحقيق أكبر قدر من الأرباح . وإزاء ضعف قدرة الأهالي الشرائية فقد ساد أسواق التجارة الداخلية ركود ملحوظ، وفضلا عن ذلك فإن نظام الاحتكار الذي طبقه البطالمة في الزراعة والصناعة شمل مجال التجارة أيضا[2] . وهو ما تتضمنه الوثيقة البردية . وثيقة تبتونيس المشهورة، والتي تحتوي على تعليمات أحد وزراء المالية في القرن الثالث قبل الميلاد إلى الإيكونوموس حيث جاء فيها يلي[3] : " . . . **وجه عنايتك كذلك إلى أن السلع المعروضة للبيع لا يجب أن تباع بأسعار أعلى مما حدد الملك . وأبحث بعناية أيضا السلع التي لم يحدد سعرها ، وقد يبيعها التجار بما يشاءون من الأسعار . وأضف إلى تكاليفها قدرا معقولا وأحمل (التجار ؟) على بيعها** " . ومعنى هذا أن وزير المالية كان يصنف السلع التي كانت الحكومة تحدد أسعارها . وهي السلع التي كانت تحتكر إنتاجها كليا أو جزئيا . وأما الصنف الثاني فهو يشمل السلع

---

1 - نفسه،ص 276 .

2 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 227 .

3 - *P.Tebt,703,II*.174 - 182.

التي كانت الحكومة لا تحدد أسعارها . مثل السلع التي كان يبيعها من اشتروا من الحكومة حق إنتاجها . وللحيلولة دون مغالاة التجار في أرباحهم، طلب وزير المالية من وكلائه أن يحددوا لهم أرباحا معقولة[1] . أي أنها لم تكن حرة بمعنى الكلمة .

ويذهب روستوفتزف[2] إلى حد القول بأن مصر البطلمية لم تعرف حرية التجارة الداخلية باستثناء الإسكندرية . بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك . فيقول: بأن الحكومة اعتبرت تجار التجزئة عملاءها الذين يساعدونها على بيع سلعها للأهالي . و لهذا كانت تحدد أسعار البيع بالتجزئة . وتمنح أصحاب الحوانيت تراخيص لمزاولة عملية البيع، وترغمهم على إعطائها جانبا كبيرا من أرباحهم . أما الأستاذ نصحي[3] فلا يتفق كلية مع روستوفتزف في ذلك . إذ أنه يعتبر تجار التجزئة عملاء للحكومة بالنسبة للسلع التي تحتكرها الحكومة صناعة وتجارة . ولم تكن جميع السلع كذلك . و لا ريب في أن البطالمة لم يعنوا برواج التجارة الداخلية . لأنه كان من بين الأهداف الرئيسية المتوخاة من خلال سياستهم الاقتصادية هو جمع أكبر قدر ممكن من الثروة . ولم يفكروا في زيادة أجور ومرتبات الأهالي، أو رفع قدرتهم الشرائية من أجل تحسين مستواهم المعيشي[4] .

ويمكننا هنا أن نتعرف على سياسة البطالمة الاقتصادية من خلال النشاط التجاري، باستعراض حالة بعض السلع والمنتجات الصناعية والزراعية كالتالي :

1.1.3. سلع محتكرة :

ويأتي في مقدمتها الحبوب الزيتية، فقد كانت الحكومة تحتكر شراءها لاستخراج الزيت منها . وقد عرفنا من وثيقة الدخل المشهورة كيف أن القانون كان يحتم بيع المحصول كله بسعر محدد للملتزمي صناعة الزيت . وكيف أنه كان يحتم عليهم استخدام جميع المحصول في استخراج الزيت[5] . أما عن تجارة الزيت فإنه حسب وثيقة الدخل دائما . فإن حق بيع الزيت يعطى للملتزمين نتيجة مزاد علني . غير أن المزايدة لم تكن على سعر الزيت، لأن الملك كان يحدد سعر البيع بالتجزئة . وحددت الوثيقة سعر الزيت أول الأمر بمبلغ 48 دراخمة للمتريتيس من زيت السمسم و القرطم، و 30 دراخمة لزيت الخروع والحنظل وزيت

---

1 - عاصم أحمد حسين، **دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة**،(ط03؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية؛ 1991)، ص112 .

2 - *Rostovtzeff.M, **A large Estate in Egypt in the third Century b.c**. p* 117 - 188

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 327 .

4 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص306 .

5 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 306 .

الإضاءة. لكن الأسعار لم تلبث أن عدلت بحيث أصبحت الزيوت الجيدة والرديئة تباع بسعر واحد، وهو 48 دراخمة للمتريتيس الواحد. وذلك من أجل إرغام الأهالي على شراء النوع الجيد من الزيوت. وهذا كاف للتدليل على ما كان للملك من سيطرة على تجارة هذه السلعة[1].

وكذلك كان الشأن بالنسبة للملح، فلم تكتف الحكومة باستخراجه فقط، بل كانت تشهر في الزاد العلني حق بيع الملح للأهالي في كل مديرية، ويستدل على ذلك من الوثيقة التالية[2]: **"إلى سرابيون وزير المالية. في الرابع من الشهر الجاري شهر أبولونيوس الإبيمليتيس في المزاد العلني حق بيع الملح بالتجزئة في المديرية وذلك وفقا للأوامر المرسلة منك. . ."** ومعنى ذلك أن الحكومة كانت بمثابة الصانع وتاجر الجملة الذي لا يبيع ما لديه من السلع إلا بأعلى سعر ممكن. بالإضافة إلى ذلك فإنها كانت تبيع الملح مباشرة لبعض الهيئات الممتازة مثل الجيش. بسعر أقل مما كان يبيع به التجار لسكان البلاد. ولم تكتف الدولة باحتكار استخراج الملح وبيعه، بل فرضت على الأهالي ضريبة باهظة كانت تحصلها بدقة لقاء حق شراء الملح. وإذا كانت قد وصلت إلينا من القرن الثالث قبل الميلاد إيصالات كثيرة خاصة بضريبة الملح، فإنه لم يصل إلينا إيصالات من عهد بطلميوس الخامس. وليس معنى ذلك أن هذا الملك ألغى هذه الضريبة نهائيا ولم تستمر بعده[3].

2.1.3. سلع غير محتكرة:

ومن بينها المنسوجات الكتانية والصوفية والمواد المصنعة من القنب. فقد جاء في وثيقة الدخل ما يؤكد وجود أسعار محددة لبيع كافة أنواع المنسوجات والملابس. وإن كان من الباحثين من يرى بأن نصيب الملك من المنسوجات هو الذي كان يبيعه ملتزمون فقط. فإن البعض الآخر يرجح اقتصار الحكومة على تصريف هذه المنتجات في الأسواق على فئة معينة من التجار غم احتكارها كل إنتاج المصانع. ويؤكد ما نذهب إليه من أن الحكومة لم تحتكر الاتجار في المنسوجات، أنها لم تحتكر الاتجار لمواد الخام اللازمة لصناعة المنسوجات، كما أنها لم تحتكر كل إنتاج المصانع[4]. وذلك حال تجارة النبيذ أيضا. حيث كانت تجارته حرة. وسعره يتوقف على جودة الصنف، وقانون العرض والطلب. إلا أنه يخضع لإشراف الإيكونوموس.

1- Préaux.C, *op cit*, *p* 82.

2- *P.Tebt,732.*

3- *Préaux.C, op cit, p* 252.

4- إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 309.308.

وكان تاجر النبيذ يأخذ فوائده بعد تسديد كافة الضرائب عليه[1] . وبالنسبة لتجارة الورق، فقد كانت حرة بالنسبة للمصانع الأهلية . ولم يحضر على المشتغلين بهذه التجارة إلا البيع لكتبة العقود . ولعل أصحاب المصانع الأهلية للورق كانوا بمثابة تجار الجملة . وكان يوجد أيضا تجار تجزئة يدفعون ضريبة لقاء تمتعهم بحق مزاولة هذا النشاط . وكلاهما كان يخضع لإشراف "إدارة الورق"[2] .

ومن الواضح من خلال عرضنا هذا المتعلق بالتجارة الداخلية، أن حكومة البطالمة كانت لها خمس موارد من خلال سياستها هذه وهي : الأرباح التجارية التي كانت تجنيها عن طريق المواد المحتكرة صناعة وتجارة . والأجر الذي كانت تقبضه مقابل السماح بالتزام صنع أو بيع السلع . والضرائب المفروضة على تجار التجزئة والضرائب المفروضة على الأهالي لقاء شراء سلعة تحتكر الحكومة صناعتها ، كالملح مثلا . والمكوس المفروضة على حق تنقل السلع من مكان لآخر[3] .

وكان يتعلق بالتجارة الداخلية أمر في غاية الأهمية وهو النقل . فقد عنى البطالمة بمسألة النقل، فعمدوا إلى تعبيد الطرق . لتسهيل تنقل الجيش والملك وحاشيته في رحلاته المختلفة،التي يقومون بها ونقل بريد الحكومة والمحاصيل الزراعية، وخاصة الحبوب الغذائية من مكان إنتاجها إلى المخازن الملكية في الإسكندرية . وكان ذلك كله يتطلب الآلاف من دواب النقل وسائقيها . ومئات السفن الصغيرة وما يلزمها من الملاحين . وإن كان مجال النقل لم يقيد تقيدا كاملا شأن الحرف والمهن الأخرى فقد كانت تفرض ضرائب على دواب النقل، وبخاصة الحمير وكذا محترفي مهنة النقل[4] .

2.3.التجارة الخارجية :

لقد كان مركز مصر الجغرافي بين الشرق والغرب أكبر عون لها على التوسع التجاري . وقد أدرك الإسكندر ذلك منذ أن وطئت قدماه أرض مصر، فاهتم بالأمر اهتماما كبيرا . وكذلك فعل البطالمة من بعده . ولاشك في أنهم بلغوا في ذلك شأنا عظيما ، فقد كان هدفهم الرئيسي من سياستهم هو توطيد دعائم ملكهم، ونشر نفوذهم في العالم المتحضر[5] .

---

1 - *Préaux.C, op cit, p* 185 – 186.-

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 320.

3 - نفسه،ص 328.

4 - *P.Tebt,867.I,214.* -

5 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 220.

ولا جدال في أن دعائم قوة البطالمة ونفوذهم هو رخاؤهم الاقتصادي. فهو الذي ساعدهم على الاحتفاظ بجيش وأسطول قويين. وإتباع سياسة خارجية كان من أهم أسباب نجاحها ما يقدمه البطالمة لأعوانهم في البحر المتوسط من المال والحبوب الغذائية[1]. ولم تقتصر علاقات مصر الخارجية مع ممتلكاتها فحسب، بل كانت لمصر علاقات تجارية كذلك مع بلاد أجنبية أخرى في ثلاث نواح وهي: بحر إيجه والبحر الأسود، ومع الغرب والشمال الغربي، وكذا مع الجنوب والشرق، وسنعرض لطبيعة هذه العلاقات بالتفصيل:

1.2.3. بحر إيجه والبحر الأسود:

لقد أملت سياسة البطالمة من هذه الناحية اعتبارات سياسية وتجارية. وتمخض عن هذه السياسة تمتع البطالمة حقبة من الزمن بسيادة سياسية وتجارية في بحر إيجه. وإن كانت هذه السيادة متقطعة إلا أنها ساعدتهم على تحقيق نتائج دائمة. إذ أن الإسكندرية أصبحت أهم المدن التجارية في العالم، وفاقت شهرتها جزيرة رودس. وأصبحت أسواقها تستقطب تجار العالم، وبخاصة في عهد فيلادلفوس ويورجتيس الأول[2].

ولما كان رواج تجارة مصر في البحر الأسود يتطلب كسب صداقة مدينة بيزنطة التي كانت تسيطر على مضيق البوسفور، فإن فيلادلفوس لم يدخر جهدا لذلك. ويتجلى ذلك من مبادرته بإمدادها بالحبوب والمال والرجال، عندما اعتدى عليها أنطيوخوس الثاني عام 207 ق.م وأن بيزنطة أقامت معبدا على شرف فيلادلفوس ورفعته إلى مصاف آلهتها. وقد كانت الحبوب الغذائية السلعة الرئيسية التي تتطلبها هذه الأسواق. وقد شهدت أسعارها استقرارا بعد عام 270 ق.م مما يشير إلى وفرة العرض واستتباب حال السوق. وظلت على هذه الحال طيلة سيادة البطالمة، فلم تعرف المنطقة قحطا أو نقصا في الغذاء. وإلى جانب الحبوب الغذائية كانت مصر تسوق إلى بحر إيجه والبحر الأسود منتجاتها الأخرى. وكذا المواد التي تأتيها من تجارتها مع الجنوب والشرق[3].

ومما لا ريب فيه أن بلاد الإغريق وآسيا الصغرى كانت تصدر إلى مصر بعض منتجاتها الزراعية والصناعية. وشملت هذه المنتجات النبيذ وزيت الزيتون والصوف والعسل واللحوم والبندق والفاكهة والبقول والرخام والحديد . . . إلخ

1- *Rostovtzeff.M*, ***The Social and Economic History of the Hellenistic World***, 01*vol*. p 381.
2- *I*bid , 392.
3- إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج03، ص44.

غير أن كمية البضائع المستوردة من الخارج لم تكن كثيرة لأن المكوس التي فرضها البطالمة على هذه السلع والتي أدت إلى ارتفاع أسعارها إلى حد كبير حيث كانت في متناول الأغنياء فقط، وكانوا قلة من سكان مصر الإغريقية[1].

2.2.3. الغرب والشمال الغربي:

لقد كانت مصر في عهد فيلادلفوس أول دولة هلينستية أنشأت علاقات مع روما. إذ أنه في عام 273 ق.م تبادل فيلادلفوس وروما تأكيدات الصداقة والمودة بين الدولتين. كما لوحظ أن أقدم مجموعة من النقود الفضية الرومانية وكانت من فئة الدراخمتين والتي سكت عام 268 ق.م تشبه إلى حد كبير النقود البطلمية من فئة العشر دراخمات والمسكوكة عام270 ق.م بمناسبة وفاة أرسينوى فيلادلفوس. وهذا ما يؤكد بأن العلاقات التي ربطت مصر بروما كانت مصالح اقتصادية[2].

ويبدو أن نفس السياسة اتبعها فيلادلفوس مع دول أخرى مثل سيراقوسة، والتي سكت نقودا على قاعدة النظام البطلمي. بالإضافة إلى التشابه الواضح في قانون الضرائب بين الذي أصدره هيرا الثاني ملك سيراقوسة، وقانون الدخل الذي أصدره فيلادلفوس في مصر. كما كانت العلاقة بين فيلادلفوس و قرطاجنة قوية جدا. بدليل أن هذه الدولة طلبت منه أن يقرضها مبلغا كبيرا قدره 2000 تالنت خلال الحرب البونية الأولى. بالإضافة إلى ذلك فقد عثر على نقود بطلمية في تونس. واختيار قرطاجنة قاعدة النقد البطلمي قاعدة لنقدها عندما استقر رأيها على استخدام نظام النقد بانتظام. وتوجد أدلة غير مباشرة على وجود علاقات تجارية نشيطة بين مصر وإيطاليا. مثل وجود أوان فخارية إيطالية بالإسكندرية ووجود أوان فخارية ومعدنية وزجاجية من صنع الإسكندرية في جنوب إيطاليا[3].

3.2.3. الجنوب والشرق:

لقد كان النيل أيسر سبل الوصول إلى أواسط إفريقيا. وإذا كان سلطان البطالمة لم يمتد بعيدا في هذه الناحية بسبب ما صادفوه من مقاومة قبائل البرابرة، فإن بلاد النوبة كانت مصطبغة بصبغة مصرية. بسبب تغلغل نفوذ مصر إليها منذ الأسرة الثانية عشر. وفي عهد البطالمة أصبح الملوك النوبيون يحكمون تحت حماية البطالمة. وبذلك كان تأثير الإغريق واضحا

---

1 - -إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03،ص 44. 45.

2 - عبد اللطيف أحمد علي، **مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية**،(القاهرة: 1960)، ص 02.

3 - -*strabo.II*,1.39 .

وظلت علاقتها بالبطالمة ودية حتى عهد بطلميوس الخامس . وذلك ما سمح بوجود علاقات تجارية بين الدولتين طوال فترة الصداقة بينهما[1] .

وكانت منتجات الجنوب تصل إلى البحر الأحمر عن طريق النيل أو عن طريق القوافل في الصحراء الغربية التي تنتهي عند أسيوط . وقد اقتفى البطالمة أثر الفراعنة في الاهتمام بالتجارة الشرقية . خصوصا مع بلاد العرب الجنوبية وبلاد نبت على شاطئ الصومال . ليستوردوا منها العطور والبخور والعاج . ويصدروا إليها المنتجات المصرية مثل: المنسوجات والآنية والحلي والأسلحة والنبيذ المستورد من بلاد البحر المتوسط[2] . وقد كانت في قبضة العرب غالبية البضائع القادمة من الأقاليم القاصية وبخاصة من الهند . وكانت تصدر الأرز والعاج والأصداف واللآلئ والأصباغ، وأنواع البهار المختلفة، وأنواع نادرة من الأخشاب والنباتات الطبية، وكذلك القطن والحرير[3] . وتروي المصادر القديمة أن تجارة الشرق كانت تسلك ثلاثة طرق رئيسية في سبلها نحو البحر المتوسط . وهي: طريق الشمال وطريق الوسط وطريق الجنوب . أما طريق الشمال فكان يمتد من أواسط آسيا نحو بحر قزوين والبحر الأسود والبسفور والدردنيل . وأما طريق الوسط وكانت أهم هذه الطرق فكان من الهند إلى سلوقية على الدجلة إما بحرا، وإما بطريق القوافل، ثم تأخذ اتجاه دمشق وصور وأنطاكية وإفسوس . وأما طريق الجنوب فكان بحريا من الهند إلى موانئ جنوب بلاد العرب[4] .

ولما كان البطالمة حريصين على السيطرة على التجارة القادمة من بلاد العرب، فإنهم عملوا على الاستيلاء على جوف سوريا وشواطئ آسيا الصغرى، ليسيطروا على أهم منافذ التجارة الشرقية في هذه الناحية . وعندما فقد البطالمة سلطانهم على سوريا وبحر إيجه ووجهوا اهتمامهم إلى البحر الأحمر للسيطرة على تجارة طريق الجنوب[5] . ولا أدل على اهتمام البطالمة بتجارة البحر الأحمر من أنهم قاموا بسلسلة من البحوث الكشفية لمعرفة الشواطئ والشعوب وموارد الثروة في البحر الأحمر وفي منطقة المحيط الهندي . وقد بدأ بطلميوس الأول حركة الكشف في البحر الأحمر، حيث أوفد قائد أسطوله فيلون

---

1 -إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03،ص 47.48.

2 - *Rostovtzeff.M,op cit*, 01 *vol*, p 386.-

3 - *Ibid*, *p* 386 – 387 -

4 - *Strabo*, *II*, 71;73.-

5 - و. و. تارن، ص 259.

في رحلة إلى هذا البحر أثمرت باكتشافه لجزيرة الزرمد[1] . غير أن اهتمام بطلميوس الأول كان عسكريا في المقام الأول . بينما كان خليفته فيلادلفوس رجل سياسة وفكر اقتصادي فريد . فقد كانت أول بعثة في عهده تلك التي قادها مستكشف يدعى ساتوروس عام 278 ق.م . وكانت مهمته استكشاف الساحل النوبي الصومالي لاختيار مناطق إقامة الموانئ ومحطات صيد الأفيال . غير أن أهم المستكشفين أثرا في حركة الكشوف الجغرافية في البحر الأحمر هو أرسطون الذي كلف عام 280 ق.م باستكشاف ساحل شبه الجزيرة العربية من خليج العقبة شمالا حتى باب المندب جنوبا . وقد كان هدف فيلادلفوس في ذلك هو فتح الطريق التجاري بين سبأ جنوب شبه الجزيرة العربية و خليج السويس في الشمال[2] . وقد تعرف أرسطون في رحلته هذه إلى النبطيين ومناطق نفوذهم التي لم تتعد خليج أيلة . وكان أول إغريقي عرف شيئا عن القبيلة الكبيرة "ثمود" . وكانت تقطن جزءا من الحجاز . وإلى جنوب ثمود على ضفاف نهر "دباي" إقليم أطلق عليه أرض الذهب . وزار مملكة معين وسبأ وكاتابانيا . وانتهت مهمته عند وصوله إلى مضيق باب المندب[3] . ومن المحتمل أن يكون فيلادلفوس قد أرسل عقب رحلة أرسطون حملة ضد النبطيين، وهم الذين اشتهروا في عصر البطالمة بالسطو والقرصنة . وكان هدفه في ذلك حماية تجارته التي عرفت نشاطا عقب زيارة أرسطون ومن المحتمل أيضا أن يكون قد استولى إذ ذاك على الشاطئ الشرقي للبحر الميت وكان في قبضة النبطيين أيضا[4] .

والجدير بالملاحظة أن الطريق البحري لم يستهو كثيرا تجار الإغريق والعرب في بداية عصر البطالمة، بسبب خطورة الملاحة في البحر الأحمر . ولذا فقد كانوا يفضلون الطريق البري رغم تكاليفه الفادحة . وعلى هذا الأساس رأى فيلادلفوس استبدال سياسته العدائية نحو النبطيين بسياسة سلمية . واتفق مع المدن الفينيقية على نظام مرض فيما يتعلق بالتجارة الشرقية . غير أنه إذا كانت التجارة الشرقية قد استعادت سيرتها الأولى عن طريقها القديم، فإن فيلادلفوس قد أفلح في تحويل جانب منها إلى مصر بفضل علاقاته مع المعينيين . كما أفلح في تحويل كل تجارة إفريقيا إلى المراكز الجديدة التي أنشأها على ساحل إفريقيا للتجارة والصيد[5] .

---

1 - إبراهيم نصحي، **دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة**،(القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية؛1959)،ص 121 .

2 - سيد أحمد علي الناصري، "**الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة**"مجلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية ،(الكتاب الثاني؛أفريل؛1979)، ص 408.

4 - *Diod, III*.42,1.-

4 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 42 .

1 - *Rostovtzeff.M,op cit*, 01 *vol*, *p* 388 – 389.-

وللإشارة فإن حركة الكشوف الجغرافية في عصر البطالمة وصلت في عهد بطلميوس الرابع إلى أقصى نقطة وصل إليها الملاحون في العصور القديمة وهي رأس نوتوس أي غاردافوى. وكما سبق ذكره فإن مجهودات البطالمة التي وجهوها إلى سوريا وآسيا الصغرى، قد تحولت في عهد بطلميوس السادس إلى الطريق الجنوبي. فأخذت المراكب المصرية تجوب البحر الأحمر. وبعد أن كانت لا تتجاوز باب المندب فقد أقدمت على عبوره ووصلت إلى الإقليمين الذين كانا ينتجان العطور. وهما: حضرموت في جنوب بلاد العرب، وبلاد نبت على شاطئ الصومال. حيث أن المستكشفين أخذوا يوجهون نشاطهم نحو الجهات التي يهتم بها التجار[1]. وفي ذلك كله دلالة على اهتمام البطالمة الأواخر بتأمين التجارة الشرقية وخاصة بعد إنشاء أسطول لحمايتها في البحار الشرقية، وإلى وجود علاقات منتظمة بين مصر والهند، أكسبت البحرين الأحمر والهندي أهمية لم تكن لهما من قبل، ويدل على ذلك الاهتمام أيضا إنشاء منصب جديد في بداية القرن الأول قبل الميلاد وهو منصب قائد البحر الأحمر والبحر الهندي[2].

وهناك دليل آخر على اهتمام البطالمة بتجارة البحر الأحمر متمثل في المدن والمستودعات التي أسسوها على سواحله. ومن أهم هذه المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية والواقعة شمال باب المندب، جزيرة ستراتون ونقطة حراسة ديميتريوس ومذبح كانون ونقطة حراسة كورهاجوس وميناء أنتيفيلوس ومضيق يومديس. كما أسسوا ميناء أرسينوى على خليج هرؤنوبوليس، ومدينة ميوس هرموس عند رأس أبي شعير، وفيلوتيرا عند سفاجة وليوكوس ليمن عند القصير. وبرنيكي مقابل أسوان تقريبا. بالإضافة إلى مراكز لصيد الفيلة في بلاد النوبة والسودان. مثل بطوليميس ثيرون وسوتيراس ليمن وغيرها. كما أنهم أسسوا ثغورا أهمها: ثغر أدوليس جنوبي مصر، وثغر أرسينوى بجوار باب المندب[3]. غير أن هذه الموانئ لم تكن طبيعية، ولذلك فان الوصول إليها كان عسيرا، ونفقات إعدادها وصيانتها باهظة. ناهيك عن أن الملاحة في البحر الأحمر شاقة محفوفة بالمخاطر. حتى أن البعض يرى أن هذه الصعاب كانت سببا في عدم رواج تجارة مصر الشرقية في البحر الأحمر خلال القرن الثالث قبل الميلاد. وتستدل الآنسة بريو من ذلك أن وكلاء أبولونيوس التجاريين في هذه الفترة كانوا يشترون

---

1 - إبراهيم نصحي، **دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة**، ص 123.

3- *Rostovtzeff.M,op cit,* 02 vol, *p* 928.

3 - سيد أحمد علي الناصري، "**الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة**"، ص 409.

منتجات الشرق من جوف سوريا . وهذا يعني كذلك أن بطلميوس الثاني لم يكن قد أفلح بعد في تحويل التجارة الشرقية التي كانت في قبضة الأعراب إلى الموانئ المصرية عبر البحر الأحمر[1] .

ولما أيقن البطالمة أنه لا سبيل للسيطرة على تجارة البحر الأحمر إلا بتوفير شبكة من الطرق تسهل عليهم مهمة نقل السلع وبيعها فقد أولو عناية كبيرة للطرق التي تربط وادي النيل بالبحر الأحمر (أنظر الملحق رقم 05) . ولذا فإن بطلميوس الثاني أعاد بناء حفر القناة القديمة التي تبدأ من بوباسطس ثم تخترق وادي الطميلات، وتلتقي عند البحر الأحمر عند الميناء الذي كان يسمى أرسينوى، ويعرف اليوم باسم السويس[2] . بالإضافة إلى طرق القوافل والتي كان جلها يبدأ من قفط . وأهمها الطريق الذي ينتهي عند ليوقس ليمن، بعد أن يمر بوادي الحمامات ومناجم الذهب في تل الفواجير، وهناك طريق آخر بين قاينوبوليس و فيلوتيرا، وهما أقرب نقطتين بين النيل والبحر الأحمر . وكان هناك طريق آخر بين قفط و برنيقي، والذي يمر بمناجم الزمرد . ومما شجع القوافل على استخدام هذه الطرق إقامة حاميات وحفر العديد من الآبار على امتدادها . ولا شك في أن كثرة استخدام هذه الطرق الصحراوية يعتمد فيه أساسا على الجمال ولذلك ازداد الاهتمام بتربيتها في مصر البطلمية وحتى العهد الروماني[3] .

3.3.نظم التجارة الخارجية :

1.3.3.الواردات :

فيما يتعلق بواردات مصر من ولاياتها فإننا لا نعلم الكثير عنها . ولكن يبدو من وثائق زينون أن تجارة مصر مع سوريا وفلسطين في بعض المواد كانت في يد التجار . أي أن الملك لم يكن يحتكرها . والغالب أن الحبوب الغذائية التي كانت ترد إلى مصر من ولاياتها تتمثل في محصول الأراضي الملكية هناك . أما عن المناجم والغابات فقد كانت ملكا للملك يشغلها مباشرة . كما كان الحال في مصر ذاتها . وقد منح تجار الولايات حق التعامل الحر مع التجار الأجانب . في السلع التي كانت مصر غير محتاجة إليها . أما عن تصدير هذه السلع إلى مصر من الولايات، فقد كان خاضعا لقيود شتى، ضمانا لحماية المنتجات المصرية نفسها[4] .

---

2 - *Préaux.C, op cit, p* 361 – 362.

2 - إبراهيم نصحي، **دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة**، ص 124 .

3 - *Bevan.E., op cit,* P 154 – 155.

4 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 223 .

وبخصوص واردات مصر من دول حوض المتوسط والبحر الأسود والبلاد الشمالية، فيمكن أن نقسمها إلى قسمين : القسم الأول يتمثل في المواد التي تفتقر إليها مصر مثل الأخشاب والمعادن والخيول . ويرجح أن استيراد هذه المواد أو جلها كان وقفا على الملك . وأنه كان لا يدفع عنها إلا مكوسا طفيفة . وأما القسم الثاني فيشمل سلعا تنتجها مصر . ولذلك فإن الملك كان يفرض عليها مكوسا مرتفعة[1] . وكان التجار هم الذين يجلبون هذه السلع .

وقد كان في مقدمة السلع المستوردة من الجنوب والشرق: الفيلة والعاج و الأبينوس والحرير والقطن والبخور والعطور والبهار . وكان البطالمة يرسلون البعثات الخاصة لصيد الفيلة لاستخدامها في الجيش . وكلما تقدم صيد الفيلة الإفريقية وتناقصت علاقات السلوقيين مع الهند ازداد ظهور العاج المصري في الأسواق الدولية . سيما أن المصريين أتقنوا صناعة منتجاتهم من العاج والمتمثلة في التماثيل الصغيرة، بالإضافة إلى الأثاث والصناديق الصغيرة والأبواب الخشبية المطعمة بالذهب أو الأبينوس أو العاج[2] . وإذا كانت معلوماتنا عن واردات مصر من الجنوب والشرق قليلة، فإننا نعرف على الأقل أن العطور والبخور والبهار كانت أكثر أهمية . وأنها عند وصولها إلى مصر تحتفظ باسم الشعوب التي أتت عن طريقها . كقولهم مثلا بخور معيني أو بخور جرهي . أي القادم عن طريق المعينيين أو الجرهيين[3] .

2.3.3. الصادرات :

لم تقتصر صادرات مصر إلى العالم الغربي على وارداتها من الجنوب والشرق فحسب . بل كانت تشمل أيضا سلعا مصرية . أهمها الحبوب الغذائية والورق والمنسوجات الكتانية . وفي مقابل ما كان يرد إلى مصر من الجنوب والشرق، كانت مصر تصدر إليها منتجات كثيرة . مثل: المنسوجات والزيوت والأسلحة ومعدات الحرب والنبيذ المستورد من دول حوض المتوسط[4] . ولنأخذ تجارة القمح والبردي كمثال لتجارة الصادرات، والدور الذي لعبته كأساس اقتصادي لسياسة البطالمة والذي كان يتمركز أساسا في ميناء الإسكندرية . فقد كان ملوك البطالمة يعتمدون اعتمادا كبيرا على تجارة القمح في تدعيم نفوذهم السياسي في البحر المتوسط . فنجد مثلا بطلميوس سوتير ينقذ رودس بتموينها بالقمح أثناء حصارها

---

1 - نفسه، ص 223 .

3 - *Préaux.C, op cit, p* 370 – 371

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج03، ص 304 .

1 - *Bevan.E, op cit, p* 154.

عام 304 ق.م. بينما كان بطلميوس إيفانيس يعمل عل توثيق صلته بروما، عن طريق تصدير القمح إليها . وهكذا كان ميناء الإسكندرية أكبر مصدر للقمح في المنطقة على عهد البطالمة[1] .

أما عن ورق البردي فقد كانت مصر هي الدولة الوحيدة المصدرة له. وكانت صادراتها منه بكميات وفيرة جعلت منها المهيمن على السوق بلا منازع. ويدل على ذلك أنه حين فرض عليه بطلميوس فيلادلفوس احتكارا ملكيا جزئيا ارتفعت أسعاره في سوق ديلوس[2] . والتي كانت أكبر مركز للتبادل التجاري في حوض المتوسط آنذاك .

1 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق،ص 307. 308.

2 - *Rostovtzeff.M,op cit*, 01 *vol*, p 312.

الفصل الثالث :

الأوضاع الاجتماعية في مصر البطلمية

1 . الإغريق.

2 . المصريون :

2 .1. حالهم وحضارتهم.

2 .2. ثوراتهم.

3 . اليهود .

4 . عناصر أخرى.

5 . محاولة التقريب بين الإغريق والمصريين(عبادة الثالوث المقدس) .

من النادر وربما من المستحيل أن نجد مجتمعا متحضرا خاليا من الأجانب في أي فترة من فترات تاريخه. فمصر الفرعونية عرفت الأجانب من شتى الجنسيات[1]. والعصر البطلمي في مصر يختلف في هذا الشأن عن غيره من العصور. لأن الحكام في هذا العصر كانوا من العنصر المقدوني اليوناني، واعتمدوا في بناء دولتهم على جلب أعداد كبيرة من بني جلدتهم. فكان المقدونيون والإغريق العنصر الغالب. ومن أهم الجنسيات التي نجدها في مصر البطلمية كذلك، اليهود والسوريون والفينيقيون والليبيون وجماعات من شعوب أسيا الصغرى. هذا الخليط العجيب من الأجانب الذين حضروا إلى مصر عاشوا جنبا إلى جنب مع الأغلبية الساحقة من المصريين[2].

ولسوء الحظ ليس لدينا إحصائيات نوعية عن كل عنصر من هذه العناصر، وكل ما لدينا هو رقم إجمالي عن عدد سكان مصر. عدا أهل الإسكندرية الذين لهم سجل خاص بهم، وهو سبعة ملايين ونصف مليون. ونحن يمكن أن نثق في صحة هذا الرقم نظرا لأن الإدارة اليونانية والرومانية كانت تحتفظ بإحصاءات دقيقة عن عدد السكان. كما أنها كانت تسجل المواليد والوفيات بانتظام نظرا لارتباط ذلك بالضرائب التي كانت تجبى عن عدد الأفراد. ويذكر ديودور الصقلي بأن عدد سكان الإسكندرية من الأحرار في العصر الأخير من الحكم البطلمي، هو ثلاثمائة ألف شخص. ونحن لا نعرف على وجه التحديد ماذا يعني ديودور بلفظ أحرار. ولكن إذا افترضنا أنه وجد بالإسكندرية مائتا ألف آخرون ممن لم يسجلوا ضمن أحرار ديودور، مثل العبيد وبعض الأهالي، يُتوقع أن متوسط عدد سكان مصر في العصرين اليوناني والروماني. حسب اعتبار العبادي. هو ثمانية ملايين شخص[3].

ونظرا لتعدد الفئات الموجودة في مصر البطلمية، فإن ما يعنينا منها في دراستنا هذه ثلاث فئات، بحكم أغلبيتها. ونبدأ بالإغريق على اعتبار أنهم أصحاب السلطة والنفوذ، وساسة أرض مصر لأكثر من ثلاثة قرون من الزمن. ثم المصريين لكونهم أصحاب البلاد والسكان الأصليين، ثم اليهود لأنهم كانوا يشكلون فئة معتبرة لها وزنها وتأثيرها في حياة مصر السياسية والاجتماعية.

---

1 - فادية محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 175.

2 - شريف الصبان و سعيد عبد الحفيظ، **المجتمع المصري عبر العصور**، (القاهرة؛ الزعيم للطباعة؛ 1999)، ص 82.

3 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 110.109.

1. الإغريق :

لقد كان هدف البطالمة هو إقامة دولة تستند على أسس شرقية، مع إضفاء الصبغة الإغريقية عليها . وإن كان البطالمة قد حرصوا على الظهور أمام رعياهم من المصريين بمظهر الحكام الوطنيين، فإنهم في نفس الوقت كانوا حريصين على الاعتزاز بأصلهم الإغريقي، والاحتفاظ بعلاقات قوية مع بلاد اليونان . لأنهم كانوا بحاجة للاستعانة بالإغريق في إقامة دولتهم في المجالين الفكري والسياسي[1] .

ونحن لا نعرف تفاصيل سياسة البطالمة لإستقطاب مهاجرين من اليونان . للعمل في بناء الدولة الجديدة في مجالات الجيش و الإدارة والاقتصاد . ومن المحتمل أن بطلميوس الأول لجأ إلى إتباع سياسة مخططة لإستقطاب مواطنين من المدن اليونانية . مثلما فعل أنتيجونوس في جلب أعداد من الأثينيين والمقدونيين للإقامة في مدينته الجديدة أنتيجونيا بسوريا . وليس لدينا ما يفيد أن أحد البطالمة فعل ذلك . غير أنه يبدو أن البطالمة لم يضطروا إلى أن يجهدوا أنفسهم كثيرا لإستقطاب أعداد كبيرة من الإغريق وغيرهم إلى مملكتهم فبالإضافة إلى الحامية والجالية التي كان قد تركها الإسكندر من قبل، والإغريق المستقرين في مصر قبل مجيئه، فلا بد من أن يكون بطلميوس الأول قد أحضر معه قوة عسكرية عندما عين حاكما على مصر أيضا . ولكن رغم ذلك، فإن هذه الأعداد لم تكن كافية لسد حاجات إنشاء الدولة الجديدة[2] . ومن أجل تشجيع وتنظيم مزيد من الهجرة إلى مصر . اتبع بطلميوس الأول سياسة كانت معروفة من قبل . وهي منح الجنود قطعا من الأرض تسمى (Clero) . يمكنهم الإقامة عليها واستثمارها بدلا من نظام دفع الرواتب . وهو ما لم يكن معمولا به في ذلك الوقت . ومن دلائل تطبيق ونجاح هذه السياسة ما يرويه ديودور الصقلي، من أن بطلميوس الأول حين انتصر على ديمتريوس في معركة غزة عام 312 ق . م أسر من الجيش 8000 جندي وأرسلهم إلى مصر، وأمر بأن يوزعوا بين النومات . ولهذا كانت انتصارات بطلميوس الحربية تجلب له عددا من الجنود الإغريق، في حين أن هزائمه لم تكن تفقده الكثير . لأن جنوده كانوا يرفضون الانضواء تحت لواء خصمه . وكانوا يحاولون الفرار إلى مصر حيث امتيازات الأرض والأهل[3] .

---

1 - أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ص 97 .

2 - فادية محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 178 . 179 .

3 - مصطفى العبادي، **مجتمع الإسكندرية في العصر البطلمي** "مصريون و إغريق" ، 03 جانفي 2001، (*http.//www.al-mostafa.com*)، (22 . أوت 2007)، 959 ك ب.ص 31.

ولا جدال في أن الكثيرين من النازحين الإغريق اضطروا إلى هجر بلادهم طلبا للرزق، بسبب ما كانوا يعانونه من الضنك و الاضطرابات في بلادهم . غير أنه لا يمكن أن نتصور أن كل الذين هاجروا إلى مصر، كانوا ضحايا اضطرابات اجتماعية . فقد كان بينهم الكثيرون ممن بهر أبصارهم الرخاء في عهد البطالمة نتيجة الجهود المبذولة في مختلف المجالات وكذا الشأن بالنسبة للسلوقيين الذين استهووا بدورهم الإغريق وبذلك تدفق سيل جارف من مهاجري الإغريق إلى دولتي البطالمة و السلوقيين مما أفضى تدريجيا إلى انخفاض عدد الإغريق في بلادهم انخفاضا بينا في حين كانت هاتان الدولتان تعجان بهم[1] .

وللإشارة فإن المصادر القديمة تشير إلى تميز عنصر من العناصر الأجنبية بمنزلة ومكانة خاصة، وهم المقدونيون . فمن وجهة النظر الإغريقية، لم يكن المقدونيون إغريقا . رغم أنهم كانوا آيلين إلى الاصطباغ بالصبغة الإغريقية بخطوات حثيثة، ولكن نظرا لأنهم كانوا ينتمون إلى عنصر الإسكندر الأكبر والملك بطلميوس من بعده، ونظرا لأنهم كانوا يعتبرون أرقى وحدات الجيش وأهم عناصره، فلم يكن غريبا أن يشعروا بشيء من الاعتزاز والفخر بمكانتهم . ويبدو أن بطلميوس أولاهم مكانة خاصة . فأجزل لهم العطاء . ومنحهم الضياع والأراضي الكبيرة . وقد تبعه في سياسته هذه كل من بطلميوس الثاني والثالث . وقد أكسبهم ذلك أهمية سياسية كبيرة . وصلت إلى حد مشاركتهم في تقرير مصير خلافة العرش ومبايعة الملك الجديد[2] .

ولما كان العالم إغريقي الصبغة في ذلك الوقت، فإن بطلميوس سوتير الذي كان يريد أن يكسب المكانة الأولى في هذا العالم، و أنه لا يستطيع أن يبني لنفسه مجدا شامخا في نظر ذلك العالم بوصفه فرعون مصر، مهما أنفق في بلاد الإغريق من أموال . ولذلك كان لزاما عليه أن يكون مظهر مصر إغريقيا ، وأن تبرز للعالم بوصفها دولة إغريقية لا دولة شرقية[3] . ولذلك فإن كورنمان يرى بأن مؤسس دولة البطالمة اتبع سياستين متناقضتين في مصر :

الأولى: منذ توليه على مصر عام 323 ق.م ، حيث كان مشبعا بأفكار الإسكندر المتمثلة في المساواة في المعاملة بين المصريين والإغريق تمهيدا للمزج بينهما وبين حضارتيهما ، ولذلك فإنه سكن منف واتخذها عاصمة له وأقام فيها قبر الإسكندر وأظهر احترامه للديانة المصرية . والثانية : من حوالي عام 311 ق.م وإلى غاية وفاته، حيث هجر بطلميوس منف إلى الإسكندرية،

1- *Jouget , P,* ***Les destinées de l'hellénisme dans l'Égypte gréco-romaine****, CdE*19*, janvier* 1935*, p.* 95 – 96.

2 - **مصطفى العبادي**، المرجع السابق . ص 38 .

3- *Rostovtzeff.M,* ***The Social and Economic History of the Hellenistic World***,01*vol. p* 264 - 265.

ونقل رفات الإسكندر معه. ويتخذ كورنمان من ذلك دليلا على أن بطلميوس الأول طرح أفكاره الكريمة جانبا. فوضع أساس سياسة التعسف في معاملة المصريين، واحتضان الإغريق وإشراكهم في السيطرة على المصريين. وقد تبعه ابنه وحفيده في ذلك. وشتان ما بينها وبين سياسة الإسكندر، التي قامت على أساس المساواة ومزج العناصر المختلفة[1].

ومهما يقال بصدد سياسة بطلميوس الأول نحو المصريين في بداية حكمه، فإنه لا يمكن اتهامه بإهمال العنصر الإغريقي في مصر أو خارجها. وخير دليل على شدة اهتمامه بالإغريق، ما قام به ليبرر في نظرهم سلطانه المطلق عليهم من خلال توظيفه الأفكار الفلسفية بجعل عبادة الإسكندر دينا رسميا إغريقيا في مصر. وبوصفه خليفة الإسكندر، أصبحت سلطته بعد تأليه الإسكندر مستمدة من مصدر إلهي، وبذلك حاز شرعية التمتع بالسلطة الشاملة والمطلقة على الإغريق في مملكته[2]. ويجمع المؤرخون على أن بطلميوس الثاني كان نصيرا قويا للإغريق. وخير دليل على ذلك سياسته العامة المتركزة على أساس مما لأة الإغريق على حساب المصريين، وعلى نشر الحضارة الإغريقية في طول البلاد وعرضها. وعلى الرغم من أنه نصب نفسه حاميا للحضارة الإغريقية متمتعا بالسلطة المطلقة التي يستمدها من حق الملوك الإلهي، فلم يكن له أي ميل إلى الروح الجمهوري الذي كان شعار الإغريق في مدنهم الحرة. وتشير جميع الدلائل إلى أن بطلميوس الثالث قد سار على نهج سياسة أبيه وجده. ومن ثم فإن البطالمة الثلاث الأوائل يعتبرون أقوى عضد للإغريق[3].

وإذا أردنا إثبات صحة ما أشرنا إليه من اهتمام البطالمة ببني جلدتهم، فإن المؤرخ بوليبيوس الذي عاصر بعض بطالمة القرن الثاني قبل الميلاد، وزار مصر والذي كان ملما بأحوال السياسة الدولية في عصره، يؤكد لنا أن البطالمة كانوا يوجهون إلى شؤون العالم الإغريقي من العناية ما يفوق عنايتهم بشؤون مصر[4]. وإذا كان هذا هو رأي مؤرخ إغريقي معاصر للبطالمة المتأخرين الذين يجمع المؤرخون على أنهم كانوا أقل تعاطفا مع الإغريق، فبم كان يحدثنا هذا المؤرخ لو أنه عاش في عهود البطالمة الأوائل.

وقد كان من مظاهر عطف البطالمة الأوائل على الإغريق هو سعيهم لتهيئة البيئة المناسبة لمعيشتهم. ولذلك فإنهم عملوا على استكمال بناء الإسكندرية وتجميلها بمظاهر الحياة الشبيهة بالمدن الإغريقية. حتى غدت أعظم مدن العالم

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 108. 109.

2 - *Jouget* , op cit ,p 97.

3 - *Ibid, p 98 – 99.*

4 - *polyb*, IV, 34-35.

الهلينستي في حوض المتوسط[1]. وقد حملت الجاليات الإغريقية التي كانت تتشكل غالبية سكان مدينة الإسكندرية صفة السكندريين. بمعنى أن أفرادها كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة في كافة المجالات، سواء منها السياسية كالاشتراك في المجالس التشريعية، أو الاجتماعية مثل حق امتلاك أراضي في المدينة. وقد كانوا يتكونون من قبائل موزعة بدورها إلى أحياء حملت كل منها اسم إله أو بطل إغريقي أو لقب ملك من ملوك البطالمة. أما ما عداهم فلم يكن له حق التمتع بحقوق المواطنة السكندرية[2]. ونجد كذلك مدينة بطوليميس التي أسسها بطلميوس الأول بالقرب من مدينة طيبة، ووفر لها سبل الحياة الإغريقية هذا إلى جانب نقراطيس، تلك المدينة الإغريقية التي استمرت بما ألفته من نظم الحياة الإغريقية وأساليبها . ولعل اكتفاء البطالمة بهذا العدد القليل من المدن الإغريقية يعود لسببين :

الأول يهدف إلى تفادي خروج هذه المدن عن سيطرتهم والثاني رغبتهم في نشر الحضارة الإغريقية عن طريق تواجد الإغريق في جميع أنحاء مصر[3].

وإذا كنا نجد بين الإغريق الذين استقروا خارج مدن مصر الإغريقية عددا من مواطني هذه المدن، فإن أكثرهم لم يكونوا كذلك. وإنما كانوا أصلا من مواطني مدن أخرى في العالم الإغريقي. وعند استقرارهم في وطنهم الجديد حرصوا على الاحتفاظ بلقبهم السياسي القديم. وبناءا على ذلك فإنهم عند ذكر أسمائهم في الوثائق الرسمية يتبعونها بألقابهم السياسية المستمدة من أسماء مدنهم الأصلية. وقد ترتب على ذلك كله أن الإغريق الذين انتشروا على ضفاف وادي النيل لم يكونوا جميعا وحدة سياسية واحدة، بل كانت تربطهم وحدة سياسية من نوع آخر، وهي أن كل إغريق مصر كانوا رعايا ملك واحد . وكانت أقوى رابطة بينهم هي رابطة الحضارة فقد كانوا يشتركون في اللغة والتعليم والتفكر وسبل الحياة، فضلا عن الديانة[4]. وهكذا إذا يتضح لنا أن الإغريق لم يكن وجودهم مقتصرا على المدن الإغريقية فحسب، بل انتشروا

1- عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 270.

2 - لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص 125.

3- عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 270.

4 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 113.

في كافة أرجاء مصر حيث أقاموا قرى جديدة في إقليم الفيوم. كما أنهم سكنوا المدن والقرى القديمة جنبا إلى جنب مع المصريين[1].

وقد كانت العضوية في المدن اليونانية في مصر مقتصرة على الطبقات الممتازة من الإغريق. وذلك لأن البطالمة لم يقبلوا على إنشاء المدن المستقلة على النمط اليوناني في مصر. لأن ذلك يتعارض مع نظامهم في الحكم الملكي المطلق. محاولين بذلك الحفاظ على العنصر الإغريقي نقيا، دون أن يختلط بالأهالي المصريين. الأمر الذي دفعهم إلى سن قوانين تمنعهم من التزاوج مع المصريين[2]. و مراعاة لشعور الإغريق، فقد سمحوا للذين كانوا يعيشون منهم خارج المدن الإغريقية بأن يؤلفوا جماعات كانت أهمها على الرغم من ندرة معلوماتنا عنها. تلك الجماعات القومية "البوليتيوما". والتي لم تكن مقتصرة على الإغريق وحدهم. فنحن نعرف جماعات شبيهة بهم من اليهود والفرس والتراقيين وغيرهم[3].

و البوليتيوما هيئة مستقلة ذات تنظيم خاص يغلب عليه الطابع العسكري. و كان لها أيضا أوجه أنشطة أخرى، اجتماعية ودينية. ولاشك أنها كانت خاضعة للملك مباشرة. والمرجح أن سبب إنشائها هو أن تضم كل بوليتيوما مجموعة الجنود المرتزقة المنحدرين من موطن واحد أصلا. بحيث يمكن تنظيمهم وقت السلم حين ينتشرون في الريف ويستقرون في مزارعهم، ليسهل حصرهم واستدعاؤهم بسرعة عند الحاجة. وإذا كانت كل بوليتيوما في أول الأمر مقتصرة على أبناء موطن واحد، فقد فقدت هذه الصفة بمرور الزمن، وأصبحت بوليتيومات الإغريق منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، تضم أفرادا من مواطن مختلفة[4]. وقد أشار المؤرخ تارن إلى هذه الجماعات والنقابات بقوله[5]: **". . . فقد أسس المرتزقة أندية عديدة منها ما هو محلي، كنوادي المرتزقة في قبرص. وهناك أخرى تقوم على أساس سلالي تسمي نفسها جاليات، كأنما هم جزء من الدولة. نعرف منها جاليات الكريتيين و الأدوماتيين و القليقيين وغيرهم. و من البديهي أن قوميتهم سرعان ما أصبحت مجرد اسم. بيد أن الإغريق أنفسهم بعد أن انتشروا في كل أرجاء مصر، ولم يستطيعوا أن يكونوا مدنا، ما لبثوا أن كونوا**

---

1 - *Bowman, a.k.* ***Egypt after the pharaohs****.London*.1983. p 122. -

2- مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 110 - 111.

3 - *Rostovtzeff.M. op cit.* 01*vol. p* 324. -

4 - مصطفى العبادي، **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي**، (القاهرة: 1985)، ص 111.

5 - و. و. تارن، المرجع السابق، ص 213. 214.

من أنفسهم جاليات حقه. وربما احتلت الواحدة منها حيا ضخما بأكمله. فنجد الإغريق في الدلتا وفي طيبة، وكذا في أرسينوى".

وقد كانت تلي جماعات الإغريق القومية هذه في الأهمية، جماعات رجال الجومنازيوم، وهو معهد إغريقي يوجد حيث يوجد الإغريق في المدن أو في القرى، وهو في الأصل معاهد أهلية إلا في مصر حيث كانت معاهد شبه رسمية، تحكمها وتنظمها قوانين ملكية، وكان لكل جماعة جمنازيارخ. ونظرا لاعتماد الجمعيات القومية على الإغريق في المدن وفي الجيش والجنود المستقرين في أنحاء البلاد. فإن هذه الجمعيات الجمنازيارخية كانت ذات علاقة وطيدة بالجمعيات القومية. وربما كانت تعويضا لما افتقدوه من نظام وترابط اجتماعي وسياسي. وهذا لا يعني أنها تشكلت أثناء الحكم البطلمي في مصر، بل كانت سابقة عليه[1]. ولتقدير أهمية هذه المعاهد في مصر البطلمية حق قدرها، يجب أن ندرك أنها كانت في المراكز الرئيسية لنشر الحضارة الإغريقية. ومن أجل الوصول إلى أعلى المناصب السياسية الهامة أو الانخراط في سلك الفرق الممتازة بالجيش. وما يستتبع ذلك من الفوز بإقطاع كبير. كان يتوجب على الراغبين في تحقيقه تحصيل تعليم إغريقي، ولم تكن هذه المعاهد منشآت حكومية أسسها الملوك لتنفيذ سياستهم، وإنما كانت منشآت خاصة أو محلية، أسستها الجماعات أو الأفراد الذين وفدوا من بلاد الإغريق ولم يكن في وسعهم الاستغناء عنها، لأنها كانت قوام الحياة الاجتماعية والعقلية في بلاد الإغريق منذ أقدم العصور. وإذا لم يكن البطالمة هم الذين أنشأوا هذه المعاهد فقد أحاطوها و أمدوها برعايتهم وأمدوها بعنايتهم[2].

وقد كان دخول الجمنازيا وعضوية جماعاتها منظمين تنظيما دقيقا بمقتضى قوانين الهيئات المختلفة التي كانت هذه المعاهد والجامعات تتصل بها، وذلك ضمانا لعدم تسرب المصريين إليها. فقد كانت الجومنازيا معاقل حصينة للحضارة الإغريقية، يستطيع الإغريق في رحابها أن يتلقوا ثقافتهم، ويمارسوا تدريباتهم، ويقيموا شعائر عبادتهم، وينعموا بأسلوب حياتهم دون التعرض لأية تأثيرات مصرية. ويبدو أن العطف الذي أسبغه البطالمة على الجومنازيا وجماعاتها، كان رغبة منهم في مساعدة نزلاء مصر من الإغريق على استمرار حياتهم المعتادة، و الاحتفاظ بطابعهم الإغريقي[3].

1- محمد فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص 209. 210.

2- إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 115.

3- *Rostovtzeff.M, **The Social and Economic History of the Hellenistic World**, 02vol. p* 1059-1060.

ونجد أخيرا جمعيات إغريقية ذات طابع ديني واجتماعي، يرجع وجودها إلى ما قبل الفتح المقدوني، لكنها لم تكتسب أهميتها البارزة إلا في عصر البطالمة. ومعلوماتنا عن هذا النوع من الجمعيات مقتصرة على أواخر عصر البطالمة،إبان خضوعها للتأثيرات المحلية. ومع ذلك فإنها لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها في المدن الإغريقية في بلاد اليونان. ومرد هذه التأثيرات إلى أنه في الشطر الثاني من عصر البطالمة، ازداد اختلاط الإغريق بالمصريين، و ازدادت أهمية المذاهب المصرية في حياة إغريق مصر الدينية. ونستبعد ما يراه البعض من أن هذه الجمعيات الإغريقية ومثيلاتها المصرية أصبحت تتألف من أعضاء مصريين و إغريق على سواء. لكننا لا نستبعد تأثر جمعيات المصريين والإغريق بعضهم البعض، وبخاصة خارج الإسكندرية، حيث كان يعيش أغلب الإغريق في المدن والقرى المصرية. ومن ثم نشأ شغف بتلك الجمعيات الخاصة الدينية والاجتماعية كونها توفر لهم الاجتماع والمناقشة و الانتخاب. وقد سمحت لهم الحكومة بممارسة هذا النشاط مادام لا يتسبب في حدوث اضطرابات سياسية. وذهبت الحكومة إلى حد الاعتراف بها ومنحها امتيازات كامتلاك العقار وغيرها[1].

ومهما كان مدى ارتباط الإغريق بالعرش، وطبيعة المهام المنوطة بهم فقد خضعوا كالمصريين وبقية الأجانب المستقرين للنظام المالي البطلمي. وكان عليهم دفع الضرائب وتحمل الأعباء المالية المختلفة، وتحمل الاحتكارات الحكومية وعليهم القيام بأي واجب حكومي. ومع ذلك فإنهم تمتعوا دون غيرهم بامتيازات لم يحظ بها حتى المصريون أصحاب البلاد[2].

وقد جاء في تعليق روستوفتزف على مكانة الأجانب في مصر البطلمية بقوله أن الكثير من الأجانب شاركوا البطالمة ثراءهم. ولم ينعم بهذا الثراء رجال يشغلون مناصب رفيعة فحسب، مثل أبولونيوس وغيره ممن منحوا ضياعا واسعة، وكانوا سواعد الملك في الإدارة المدنية أو في الجيش، بل حظي به أيضا أشخاص يشغلون مناصب متواضعة مثل زينون وغيره[3]. ونفس الرأي نجده عند نصحي حين يجزم بأن كل كبار الموظفين المدنيين وضباط الجيش كانوا من الأجانب. كما أن بعضا من فئات الأجانب كانت معفاة من السخرة المفروضة على الغالبية العظمى من المصريين. وقد تمتع بعضهم بامتيازات خاصة فيما يتعلق بالضرائب. وكان أمامهم فرصة لإنماء ثرواتهم في مجال الزراعة. وقد مر بنا أن البطالمة كانوا يمنحون الإقطاعات الكبيرة للضباط الأجانب. وفي الصناعة لم يكن العمال عادة من الأجانب، وإنما كان منهم الملتزمون

1 - *Ibid, p* 1061 - 1064.

2 - محمد فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص 210.

3 - *Rostovtzeff.M,op cit*, 01 *vol, p* 411.

وجباة الضرائب والضامنون ومديرو المصارف الملكية. وجملة القول حسبما يرى نصحي دائما، أن الأجانب على الرغم من كونهم بحكم القانون رعايا الملك مثل المصريين، إلا أنهم كانوا في الواقع شركاؤه ومساعدوه الذين أسهموا في حكم المصريين وفي استغلالهم والاستمتاع بخيرات بلادهم [1].

وإذا ما أردنا أن نلقي نظرة على التركيبة الاجتماعية للإغريق في مصر البطلمية، فإننا نجدها تنقسم إلى ثلاث طبقات وهي:

.أولا: طبقة الموظفين: وتشمل الموظفين المدنيين والعسكريين. والتي يمكن تقسيمها هي الأخرى إلى ثلاث فئات، كان أعلاها قدرا فئة الوزراء والقواد وكبار الحاشية المدنية والعسكرية. ثم تليها فئة حكام الأقاليم والضباط. ونجد في آخر الترتيب فئة المشرفين على صغار الموظفين، مثل مساعدي حكام الأقاليم، وكبار رجال الإدارة المالية المحلية في الأقاليم، وكذا الجنود.

ـ ثانيا: طبقة أرباب المهن الفنية: وقد كان أفرادها كثيري العدد، ويتفاوتون في المكانة الاجتماعية والحالة المادية. ويبدو أن أسماهم قدرا وأيسرهم حالا كانوا يقيمون في الإسكندرية. بينما كانت تتفرق جموعهم في مختلف أنحاء البلاد، خصوصا في الأماكن الآهلة بالجماعات الإغريقية.

.ثالثا: طبقة رجال الأعمال: وهم فئة كبيرة من الملتزمين والضامنين، وكانوا يمتلكون أراض وعقارات يقدمونها للحكومة ضمانا للقيام بتبعاتهم التي كانوا يكسبونها من خلال مشاركتهم في المزادات [2].

وقد كان إغريق مصر يعتزون أيما اعتزاز بجنسيتهم وحضارتهم. فقد بوأهم البطالمة مكانة سامية لم يحظ بها غيرهم في البلاد فلم يكن يقبل في خدمة الحكومة إلا الذين اصطبغوا بصبغة إغريقية. ويبدو أن الإغريق كانوا يسيؤن معاملة كل من لم يكونوا إغريقا أو مصطبغين بصبغة إغريقية من سكان مصر. إذ أننا نجد رجلا في خدمة زينون بفيلادلفيا يشكو من سوء المعاملة لأنه ليس إغريقيا، وليس في وسعه التحدث بالإغريقية [3]. والأمثلة على نظرة الاحتقار التي ميزت الإغريق تجاه المصريين كثيرة. فقد جاء في وثيقة بردية ترجع إلى حكم "إيوارجتيس الأول" بطلميوس الثالث، وهي عبارة عن شكوى مقدمة

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص119.

2 - نفسه، ص123، 124، 128.

3 - *Rostovtzeff.M,op cit,* 03 *vol, p* 1644.

من طرف كاهن مصري ضد إغريقي، أرغمه على إسكانه في بيته جاء فيها ما يلي :" . . .**إنه يحتقرني لأنني مصري**. . ." وإذا كانت هذه المعاملة مع فرد من أفراد الطبقة الممتازة من المصريين فكيف تُتصور معاملتهم لعامة أفراد الشعب[1] .

وقد كانت هذه هي السمة الغالبة في العلاقات الاجتماعية بين المصريين والإغريق في القرن الثالث قبل الميلاد . وكان من الطبيعي ألا يحدث امتزاج اجتماعي بين عنصرين مختلفين كل الاختلاف . وبالتالي من البديهي أن لا تتصور إغريقيا أو مقدونيا متزوجا من مصرية، وهو هو ينظر إليها ولأهلها نظرة دونية . متعاليا بحضارته عن حضارة المصريين . غير أن بعض المؤرخين من يعتقد أن التزاوج قد تم بين الإغريق والمصريات لأن أغلب الإغريق قدموا إلى مصر للعمل في الجيش وكان عددهم يتجاوز كثيرا عدد النساء الإغريقيات اللائي وجدن بمصر . ومن ثم فقد اضطروا إلى البحث عن المرأة المصرية[2] . بيد أن نصحي يرفض هذا الرأي معللا ذلك بأنه ليس لدينا ما يثبت صحته . كما أنه لا يمكن الجزم بأن أغلب الأجانب الوافدين على مصر كانوا جنودا . فعلى الرغم من أن الجنود كان أغلبهم إغريقا إلا أنه ليس هنالك ما يؤكد بأن عدد الرجال كانوا أكثر من عدد النساء في صفوف الإغريق والمقدونيين . وإذا كنا نعرف أن المصريين القدماء كانوا لا يسمحون بالتزاوج إلا في نطاق أسرهم ،فإننا نستبعد قبولهم تزويج بناتهم لأزواج لم يكونوا غرباء عن أسرهم فحسب بل عن جنسيتهم وعاداتهم وتقاليدهم . وبالإضافة إلى ذلك كله لا يوجد في عقود الزواج التي تعود إلى عصري البطالمة والرومان عقد واحد مختلط كان حد طرفيه مصريا والآخر إغريقيا . ولذا فإننا نرجح بأن التزاوج بين المصريين والإغريق كان أمرا نادرا في الشطر الأول من عصر البطالمة[3] .

ويبدو أنه في الشطر الثاني من عهد البطالمة، انقطع وفود أفواج جديدة من الإغريق، و تأغرق كثير من المصريين، وتأقلم كثير من الإغريق وحدث قدر من التقارب بين العنصرين، فنجم عن ذلك تكوين أسر مختلطة مصرية وإغريقية . وذلك ما نلحظه في وثائق البردي التي تتحدث عن كثير ممن يحملون أسماء مصرية وإغريقية . غير أن الجمع بين الأسماء المصرية والإغريقية ليس دلالة قاطعة في كل حالة على تزاوج بين العنصرين . فقد يكون نتيجة لاصطباغ بعض المصريين بالصبغة الإغريقية، أو تأقلم بعض الإغريق .مما حدا بالفريق الأول إلى إضافة أسماء إغريقية إلى أسمائهم المصرية . وبالفريق الثاني إلى إضافة أسماء مصرية

---

1 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 224 .

2 - *Bevan.E, op cit, p* 86.

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 129.

لأسمائهم الإغريقية . ويؤيد ما نذهب إليه في هذا الصدد ، ما نعرفه من خلال عينة ترجع إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد . فقد تزوج رجل كريتي بسيدة قورينية وأنجب معها خمس بنات نراهن يحملن في إحدى البرديات أسماء إغريقية، وفي بردية ثانية أسماءهن الإغريقية مقرونة بأسماء مصرية، وفي بردية ثالثة أسماء مصرية دون غيرها[1] .

ويمكننا في هذا الصدد أن نخلص إلى أن التسمية منذ القرن الثاني قبل الميلاد لم يعد لها دلالة على جنسية المسمى . كما أنه لم يحدث تزاوج بين المصريين والإغريق بالقدر الذي يتوهمه البعض . إذ أن هذه الكثرة نسبية فقط، بالمقارنة مع ما كانت عليه الحال في الشطر الأول من عصر البطالمة، والتي كان التزاوج فيها نادرا . ولعل هذا التزاوج في الشطر الثاني لم يحدث إلا بين الإغريق المتمصرين، والمصريين المتأغرقين، ولا شك أن هاتين الفئتين كانتا تمثلين أقلية بالنسبة إلى الغالبية العظمى من الإغريق والمصريين الأقحاح . ولو صح أن التزاوج بين الإغريق والمصريين قد شاع في الشطر الثاني من عصر البطالمة، لما بقي تمايز بين سكان البلاد . حيث يتبوأ الإغريق أعلى المراتب في مختلف المجالات، في حين يعامل المصريون الأقحاح معاملة فيها ازدراء وغمط لحقوقهم[2] .

أما عن حال الحضارة الإغريقية في مصر البطلمية دائما ، فمما لا شك فيه أن أهم دعامة لها ، كانت المدارس والمعاهد الإغريقية . فهي التي كانت تفتح لهم آفاق الفكر الإغريقي . وفي القول المأثور الشائع بين إغريق مصر ،أن التعليم هو المصدر الرئيسي للتفكير . ويكفينا للتدليل على الدور الذي لعبه التعليم في حياة الحضارة الإغريقية، تلك النتائج الباهرة التي تمخضت عنه . وإذا كانت الحضارة الإغريقية في مصر قد استمرت حتى العهد الروماني، فإنها بلغت أوج مجدها في عصر البطالمة ولا سيما في عهد أوائلهم . وقد احتل التعليم مكان الصدارة بين كل ما يعني إغريق مصر ،وكان همهم الأول أن يمكنوا أبناءهم من الحفاظ على السيمات المميزة للطابع الإغريقي،وقد كان التعليم الكلاسيكي أساسا وسيلة للإطلاع على أسرار أسلوب الحياة الإغريقية وبذلك صقل عقول أبناءهم بتراث الحضارة الإغريقية[3] .

رغم محدودية معلوماتنا عن التعليم في مصر البطلمية، فإننا نستطيع أن نستخلص منها على الأقل أن التعليم

---

1 - نفسه، ص 132. 133 .

2 - نفسه، ص 134 .

3 - سعيد إسماعيل على، **التربية في الحضارة المصرية القديمة**،(القاهرة؛ عالم الكتب؛ 1996) ص 325 .

كان على ثلاث مراحل. وأنه لم يكن إجباريا ولا مجانيا. ويبدو أن الفقراء لم تكن تسمح لهم ظروفهم بتعليم أبنائهم أو أنهم لم يكونوا مهتمين بذلك. وأما الأسر المتوسطة الحال فكانت ترسل أبناءها لتلقي مبادئ العلم مدة تطول أو تقصر تبعا لحالتها الاجتماعية في المدارس الخاصة، التي أنشأها المعلمون في كل مكان. وأما الأغنياء فكانوا عادة يعلمون أبناءهم هذه المبادئ في بيوتهم على أيدي مدرسين يتكفلون بتسديد أجورهم [1]. وبعد تلقي المبادئ الأولية للعلم، يواصل التلاميذ الذين تسمح لهم حالتهم الاجتماعية بمتابعة تحصيل العلوم في الجومنازيا. وكانوا يتلقون في هذه المعاهد الثقافة العلمية والتربية البدنية الإغريقية، شأن نظرائهم في معاهد العالم الهيلينستي. ولم ينحصر دور الجومنازيا على تعليم الشبان بل كان أيضا منتدى للإغريق المتواجدين في محيطه. وعلى الأخص أولئك الذين تلقوا تعليمهم فيها. وكانت تتألف منهم جماعات رجال الجومنازيوم. فلا غرو إذن أن تكون الجومنازيا أهم مراكز الحياة الإجتماعية عند الإغريق. ويبرز انتشار الجومنازيا في مصر، إيلاؤها العناية الفائقة، مدى تمسك الإغريق بتقاليدهم، وحرصهم الشديد على منح أبنائهم ثقافة إغريقية صحيحة. وبعد انتهاء هذه المرحلة كان عدد قليل من الشبان المحظوظين هم الذين يتمكنون من متابعة دراستهم على أيدي كبار الأساتذة إما في الإسكندرية وإما في إحدى المدن الكبيرة مثل أوكسورونخوس [2].

وكل ما لدينا من المعلومات الخاصة بالمرحلة الأولى للتعليم. حسب قول تارن. أنه لم يكن من الشؤون التي تقوم بها الدولة. وهو أحد المجالات القليلة التي لم تكن الدولة تقوم بها في مصر. ولدينا اليوم من ذلك العصر عدد وافر من الكتب والكراسات المدرسية تتناول مواضيعها القراءة والكتابة وقواعد اللغة والحساب. فضلا عن الشعر وبخاصة شعر هوميروس. وليس معنى ذلك أن الأمية لم تنتشر بين إغريق مصر [3].

ويبدو أن الوضع الاجتماعي للمعلمين كان متواضعا، إذ كانوا يعتمدون في معيشتهم على ما يتلقونه من التلاميذ كل شهر، ومن الهدايا التي كان يجود بها عليهم أصحاب المروءة تشجيعا لهم. ولم يكن هؤلاء المدرسون مختصين في مهنتهم. حيث توجد معاهد خاصة لتخريجهم في كل أنحاء العالم الهيلينستي. ولم تشترط فيهم مؤهلات خاصة عدا تمتعهم بمستوى عال من الأخلاق الحميدة. وقد كان أهم ما يُعنى به المدرسون هو تنمية ذاكرة التلاميذ. فكانوا يهدفون قبل كل شيء

---

1 - *Rostovtzeff.M,op cit*,02vol , *p* 1058 – 1060.

2 - *Collart .p* , ***À l'école avec les petits Grecs d'Égypte***, *dans CE* 22 *(*1936*), p.* 494.

3 - و. و. تارن، المرجع السابق، ص 213. 214.

إلى ترسيخ أسماء حروف الهجاء وشكلها وترتيبها ونطقها في ذاكرة التلاميذ . وتمرينهم على الإملاء وقراءة الآداب الإغريقية مع الشرح والتفسير والتعليق . ولم يكن التعليم محصورا في الآداب فحسب، بل شمل التاريخ والجغرافيا أيضا . لكن تدريسهما كان شفويا . أما الحساب فلم يحظ إلا بعناية محدودة في مرحلة التعليم الابتدائية[1] .

أما التعليم الثانوي فقد كان يتناول دراسة انتاج كثير من المؤلفين بالمطالعة والتحليل . فيما كان علم البيان مادة رئيسية . لكونه مطية لتمكين الفرد من الوصول إلى الوظائف العليا . كما أقبل الإغريق في هذه المرحلة على دراسة الرياضيات للاستفادة منها في عملية مسح الأراضي، والقيام بانجاز المعادلات والموازنات المعقدة بين التقويمين المصري والإغريقي . وقد كانت النتيجة الطبيعية من احتلال دراسة الآداب مكان الصدارة هي إكتساب التعليم الكلاسيكي . في أواخر العصر الهيلينستي . سمة رئيسية، وهي اتخاذ الآداب أساسا للثقافة العامة[2] .

أما عن المرحلة الثالثة من مراحل التعليم لدى الإغريق في مصر البطلمية وهي مرحلة التعليم العالي الإغريقي فإننا سنتناولها في سياق كلامنا عن دار العلم والمكتبة .

ولا جدال في أن المدارس الإغريقية على اختلاف أنواعها ساعدت أيضا على بقاء جذور الحضارة الإغريقية منتشرة في كل أنحاء مصر . فكانت ثقافة إغريق مصر سواء أكانوا يعيشون في المدن الإغريقية أو في القرى المصرية ثقافة إغريقية . لكون إغريق مصر يعيشون حقا في أوساط إغريقية . لكن لا يجب أن ننسى أن هذه الأوساط كانت تقوم في بيئة غريبة عن الحياة الإغريقية إلى أقصى الحدود . ولذلك فإن المحافظة على الروح الإغريقية كانت لا تتوقف على تمسكهم بثقافتهم فحسب، بل كذلك على تطعيم هؤلاء الإغريق باستمرار بدماء إغريقية جديدة من بلاد الإغريق[3] . وفي هذا الإطار يعطينا تارن صورة حية عن وضع الإغريق واليونانيين بصفة عامة في مصر البطلمية، وبخاصة في الفترة الأولى من عصر حكامها فيقول[4] : " . . . **وإلى جانب الثروات التي كان اليونانيون يعملون على جمعها في أرض مصر، فإنهم كانوا ينقلون إليها أسلوب حياتهم بقدر ما يستطيعون . وظلوا قرنا كاملا يتحفظون في اختلاطهم بالمصريين . فكانوا يجلبون معهم آلهتهم، ويقرؤن هوميروس**

---

1 ـ *Collart .op cit ,p* 497 – 506 -

2- و . و . تارن، المرجع السابق، ص 214 .

3- إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 146. 147 .

4- و . و . تارن، المرجع السابق، ص 213 .

ويوربيديس، وينشئون ما لا حصر لعدده من الأندية . . . " .

غير أنه نتيجة انقطاع مجيء أفواج جديدة من الإغريق، بسبب نقص عددهم في بلادهم جراء الهجرة والحروب الأهلية، ضعفت الروح الإغريقية تدريجيا بين إغريق مصر الموجودين في الأقاليم والمدن والقرى المصرية . بحكم اختلاطهم بالمصريين لدرجة تكوينهم أسرا مختلطة بين العنصرين . لكن لا يجب أن نبالغ في مستوى هذا التقارب . لأن بعض الوثائق تحدثنا أنه في النصف الثاني من عصر البطالمة، عند نشوب الثورات القومية أسيئت معاملة بعض الأشخاص لمجرد أنهم إغريق . أما عن مدن مصر الإغريقية فقد بقوا إغريقا خالصين . وذلك نتيجة لعدم الاعتراف بالزواج بينهم وبين المصريين، ونتيجة لاستمرار المعاهد والمدارس الإغريقية في متابعة نشاطها . ولا سيما أن الإسكندرية كانت لا تزال منارة الحضارة الإغريقية، وتتمتع بشهرتها العظيمة[1] .

2. المصريون :

1.2. حالهم وحضارتهم :

لقد كان المصريون بطبيعة الحال يشكلون أغلبية المجتمع وعماده . وكما كانوا رعايا فرعون من قبل، أصبحوا فيما بعد رعايا الملك البطلمي . وكان تنظيمهم الأساسي حسب حرفهم وأعمالهم كما كانوا في العصر الفرعوني . إذ يحدثنا هيرودوت أن المصريين كانوا ينقسمون إلى سبع طبقات حسب أعمالهم وهم : "الكهنة، الجند، رعاة البقر، رعاة الخنازير، التجار، المفسرون ورجال القوارب" ونحن نسمع عن معظم هذه الفئات في العصر البطلمي . ومما لا شك فيه أن هناك فئات أخرى من المجتمع لم يذكرها هيرودوت وجدت في مصر البطلمية أيضا ونقصد بذلك طبقة الفلاحين، وطبقة الصناع وطبقة الموظفين الإداريين[2] .

وكانت تأتي في مقدمة هذه الطبقات الأرستقراطية بشقيها الديني والدنيوي . وكانت هذه الأرستقراطية تتمتع بنفوذ كبير جدا في البلاد، وتمتلك مساحات واسعة من الأراضي، وينتمي إليها الفراعنة الوطنيون . وكان يحسب لها ألف حساب . ولا بد من أن الإسكندر الأكبر و بطلميوس الأول قد وجدا أسرا قوية تنتمي إلى هذه الأرستقراطية، اختار منها الإسكندر

---

1 - سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 301 .

2 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 114.

اثنين أو واحدا على الأقل من حكام البلاد . وقد حرص بطلميوس على عدم المساس بها ، حرصا منه على استتاب أحوال البلاد في شطر حكمه الأول . وأما بعد عهد بطلميوس الأول فإننا لا نسمع شيئا عن هذه الأرستقراطية المصرية الدنيوية خلال القرن الثالث قبل الميلاد . ويرى بعض المؤرخين أن بطلميوس الثاني والثالث قد قضيا عليها[1] .

غير أن البطالمة الأواخر انتهجوا سياسة اتسمت بالعطف إلى حد ما نحو المصريين فضموا بعضهم إلى حاشيتهم، وسمحوا للبعض الآخر بتولي مناصب كبيرة في الإدارة المحلية . فإننا لا نجزم بأن هؤلاء كانوا ينتمون إلى الأرستقراطية المصرية . وإن كان ذلك غير مستبعد . وتعطينا زخارف مقبرة بتوسيريس فكرة عن حال الأرستقراطية الدينية في بداية عصر البطالمة . فقد كان رجال الدين يؤلفون جماعات دينية منظمة تنظيما دقيقا . وتتمتع بنفوذ كبير . وبسبب ذلك رأى البطالمة فيهم خطرا يتهدد كيانهم . ومن ثم فإنهم عملوا على تقليم أظافرهم بإسناد إدارة المعبد إلى الحكومة، والحد من امتيازات المعابد . فجردوا الكهنة والمعابد من ممتلكاتهم . وخصصوا لهم رواتب حتى يتمكنوا من إخضاعهم وحبسهم داخل معابدهم . و منعوا من التجارة والصناعة إلا في حدود مقيدة . وحولوا المعبد من مركز إنتاج إلى وضع منعزل عن الحياة[2] .

ولا ريب في أنه إزاء انقراض الأرستقراطية الدينية تقريبا ، وإزاء المنح التي اضطر البطالمة الأواخر إلى إعطاءها للكهنة المصريين، أصبحت طبقة الكهنة المصريين أهم الطبقات المصرية . حتى أن أحد المؤرخين يذهب إلى حد القول بأن الأرستقراطية المصرية في عهد البطالمة لم تتألف إلا من الكهنة[3] . وعلى العموم فقد ظل الكهنة في مصر البطلمية يشكلون طبقة متميزة . فكانوا يشكلون أهم العناصر الوطنية . وكانت معابدهم معاقل للوطنية المتأججة ضد الحكم الأجنبي[4] .

وقبل عصر البطالمة كانت تلي الأرستقراطية بشقيها الديني والدنيوي طبقة المحاربين المصريين . غير أنها فقدت مكانتها الممتازة في حياة البلاد في عصر البطالمة الأوائل . فرجال الجيش والحرب القدامى بما عرفوا به من شجاعة وكفاءة استُبدلوا بالعناصر الأجنبية من الإغريق وغيرهم . وتحولوا إلى جند من الدرجة الثانية تعمل في الجيش البطلمي في مهام ثانوية . فلم يكن منهم القادة السامون بابعادهم عن المراكز المهمة في الجيش . وكانت ضياعهم أقل مساحة وأدنى جودة

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 149. 151 .

2 - محمد فهمي عبد الباقي، ص 213 .

3 - *Bevan.E, op cit, p* 80. -

4 - زكي علي، المرجع السابق، ص 19 .

من أراضي الجنود المرتزقة[1] . ولا شك في أن حال هذه الطبقة قد تحسن في الشطر الثاني من عصر البطالمة، بالنظر إلى ما كانت عليه قبل ذلك . حيث أنهم لم يعودوا يعتبرون وطنيين فحسب بل أرباب إقطاعات، ويعاملون معاملة أرباب الإقطاع الإغريق في الماضي بوجه عام . وبذلك أصبحوا يتمتعون بقدر كبير من الحرية في نشاطهم الاقتصادي، زيادة على ذلك فإن البطالمة أصبحوا أكثر استعدادا لرفع مظالمهم خوفا من قوتهم، واستمالة لجانبهم . لذلك حاول بعض المصريين الاندماج خفية في طبقتهم، فرارا من حالتهم السيئة . كما أصبح المرتزقة الأجانب في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد يقبلون العمل في خدمة البطالمة بالشروط نفسها التي وضعت للمحاربين المصريين . غير أنه مهما يكن مدى التحسن الذي طرأ على حال الجنود المصريين في الشطر الثاني من عصر البطالمة مقارنة بحالهم في الشطر الأول فإنهم لم يرتقوا إلى مصاف غالبية الجنود الأجانب[2] .

وكانت تلي هذه الطبقة قبل عصر البطالمة طبقة موظفي الحكومة،التي تتألف من موظفين متفاوتي الدرجات . ويبدو أن فئتهم العليا قد اختفت تدريجيا ، ولم يبق في خدمة الحكومة سوى الموظفين الصغار . وقد اضطروا إلى تعلم اللغة الإغريقية، ونظم العمل الجديدة، و الانصياع لرؤسائهم الجدد . وأجل خدمة قامت بها الحكومة الجديدة هو نجاحها في تعليم هذه الفئة من الموظفين . وكانوا عماد النظم الإدارية المالية والاقتصادية في البلاد . هو اللغة الإغريقية ونظام المحاسبة الإغريقي[3] . ولم تكن المناصب الحكومية التي يسمح للمصريين توليها خلال القرن الثالث قبل الميلاد . مثل مناصب عمدة القرى وكتابها ، مصدر خير عميم . إذ لم تكن في مستوى المهام الجسام الملقاة على عاتقهم رغم ما كان يتمتع به أصحابها من مكانة ممتازة في قراهم . فقد كانت تنطوي على مخاطر جسيمة، وخاصة ما تعلق منها بدخل الدولة من موارد البلاد الاقتصادية[4] . غير أن حال الموظفين المصريين بوجه عام كانت أفضل من غالبية مواطنيهم . ولا سيما في الشطر الثاني من عصر البطالمة عندما تدهورت مرافق البلاد الاقتصادية،وضعفت السلطة المركزية، وانتشرت الرشوة في الإدارات الحكومية . وإذا كان قد سمح لمصريين بتولي مناصب رئيسية في الإدارة المحلية، فإن عددهم كان محدودا بالمقارنة مع الأجانب الذين كانوا يشغلون جل هذه المناصب[5] .

---

1 - محمد فهمي عبد الباقي، ص 213 .

2- إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 154. 155 .

3 - *Rostovtzeff.M,op cit*, 01*vol, p* 266.

4 - *Ibid, p* 320.

5 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 155. 156 .

ونجد أدنى الطبقات التي ذكرنا الفئة المنتجة من زراع وصناع وتجار . وكانوا يعدون بالملايين، ويعيشون في آلاف القرى والمدن المصرية . حيث تقع على عاتقهم أشق الأعمال وأصعبها وأحقرها أحيانا . وعليهم أكثر الضرائب، والتزامات السخرة . وتبعا لذلك فهم أكثر من غيرهم تأثرا بذلك النظام المالي والاقتصادي الذي وضعه البطالمة للبلاد[1] .

ومن الواضح أن أفراد كل مهنة أو نشاط كانوا منظمين تنظيما دقيقا . حيث كان من اليسير تحديد إمكانيات الدولة في مجالات النشاط المختلفة . فالغالبية من الفلاحين والصناع كانوا يعملون في أرض الملك ومصانعه . ولذلك كانوا يحصون باستمرار قصد تسخيرهم في خدمات جبرية مثل العمل في إنشاء الجسور وفي القنوات والخدمة في المناجم والمحاجر من وقت لآخر . وبالرغم من أن هذه الأعمال الجبرية لم تكن دون أجر ، إلا أنه كان أجرا زهيدا . ومع ذلك كله فإن الطبقات العاملة المصرية لم تكن عبيدا يمكن مقارنتها بعبيد الممالك الشرقية، أو عبيد العالم الإغريقي . إلا أنهم لم يكونوا أحرارا بمعنى الكلمة . فقد كان محظورا عليهم مغادرة عملهم خلال موسم العمل . وكان يربطهم بالحكومة قيود لم يكن يتيسر الإفلات منها[2] . وقد كان موظفوا الحكومة وجباة الضرائب يتدخلون حتى في شؤون الحياة الخاصة للعاملين في موارد الحكومة . لأن كل أعمالهم مرتبطة ارتباطا وثيقا بموارد الملك . وهي مهام مقدسة في نظر الموظفين . فهي هدفهم الأسمى الذي ينبغي أن تكرس كل الجهود لتحقيقه، والذود عنه،و قد كان العمال يدركون أن عملهم كان يعني سلامة موارد الحكومة . ولذا فإنهم كانوا يؤكدون من خلال رفع تظلماتهم أن سوء معاملتهم تنعكس سلبا على أداء عملهم، وهو أمر له تأثيره العميق على موارد الملك . ولا عجب أنه إزاء هذه الظروف، لم يبد المصريون أي حماس أو ابتكار في عملهم[3] .

ويرى بعض الباحثين أن البطالمة لم يتعمدوا إرهاق المصريين، وأن التفرقة في المعاملة لم تقم على أساس الفارق بين جنسيات سكان البلاد . وذلك لأن سياسة البطالمة ملكية لا توجهها إلا مصلحة الملك دون غيرها . ويستدلون على ذلك بأن تاريخ ملكية الأرض في عصر البطالمة عبارة عن حركة تطور، أسهمت فيها كل طبقات السكان، دون تمييز في الجنس . وأفضت هذه الحركة إلى إيجاد أنواع من الملكية شبيهة بالملكية الخاصة . كما أن المعابد المصرية منحت حق حماية اللاجئين إليها . و أن البطالمة لم ينشئوا للمصريين نظما قضائية مهنية تلحق بهم الضرر . وبأنه لا يوجد دليل على عدم احترام

---

1 - محمد فهمي عبد الباقي، ص 213 .

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 156. 157 .

3 - *Rostovtzeff.M,op cit*, 01*vol*, *p* 316 - 323.

البطالمة للديانة المصرية . وبأنه لم تكن للإغريق قانون امتيازات خاصة بهم . فالتفاوت الطبقي الاجتماعي لم يبن إلا على أساس خدمة أغراض الملك وعطفه[1] .

إلا أن هناك من المؤرخين من ينظر من زاوية أخرى . مثل الأستاذ عواد حسين الذي يعبر عن حال مختلف طبقات المصريين في عصر البطالمة بقوله[2] : **"إنه ليس من العسير أن تتصور مبلغ شقاء المصريين في ظل حكم البطالمة الأول . فقد كانوا لا يخضعون لأسرة حاكمة أجنبية فحسب، بل لجنس غريب بأسره . تغلغل في حياة البلاد ، فلم تنج طبقة واحدة من طبقات هذا الشعب من استبداد هؤلاء الملوك، وأعوانهم الإغريق . ولقد قضي على الأرستقراطية الدنيوية، وأذل أفراد الأرستقراطية الدينية، وأوذي المحاربون المصريون في كرامتهم . وقصرت المناصب الإدارية على الأجانب . هذا إلى أن جموع الأهالي قد أثقل كاهلهم بالضرائب الفادحة، والتكاليف المرهقة، وصادفوا ضغطا اقتصاديا لم يروا له مثيلا حتى خلال عهود النوبيين والآشوريين . بل الفرس أنفسهم . . .** "وكذلك يذهب نصحي في نفس المنحى . فيقول بأن البطالمة كانوا ملوكا قبل كل شيء . لكنهم كانوا ملوكا إغريقا روحا وعاطفة . خاصة وأن سياسة أوائلهم بوجه خاص، كانت مشربة بروح العطف على الإغريق . لأن هذه السياسة اقتضت بأن يكون طابع دولتهم طابعا إغريقيا . وأن يمنح الإغريق مركزا ممتازا في حياة البلاد . وأن يقصى المصريون عن المناصب الرفيعة، و القوات العاملة . وأن يحرموا الضياع الكبيرة، وأن يستغلوا إلى أقصى حد في ملء خزائن الملك . ويضيف نصحي قائلا بأنه عندما اضطر البطالمة الأواخر إلى تغيير سياستهم تجاه المصريين . فإن ما أصاب المصريين من خير كان مقصورا على المتأغرقين منهم . وإذا كان البطالمة قد فرضوا التزامات على الإغريق، فإنها كانت أخف وطأة من التزاماتهم على المصريين . وإذا كان الجنود المصريون قد منحوا إقطاعات مثلما صنع مع الجنود الإغريق، فإننا نلاحظ الفارق الشاسع في مساحة ونوع الإقطاع بين الفريقين[3] .

وإذا ما أردنا تتبع سياسة البطالمة الاقتصادية والمالية وحاولنا تبيين الأسس الفكرية التي استمدوا منها أسلوب حكمهم لأرض مصر وشعبها ، فإننا نميل إلى الرأي القائل بأن حظ المصريين من حكم البطالمة لم يكن أحسن حالا من حظهم في عهود الفراعنة المؤلهين . وأنهم كانوا مجرد أداة طيعة تعمل كالآلة . عليهم واجبات وليس لهم حقوق .

1- *Préaux .C,* ***Les Égyptiens dans la civilisation hellénistique d'Égypte****, dans CE .18 (1943) No. 35.pp 113-118.*

2 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 234 .

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 159 .

وعلى الرغم مما سبقت الإشارة إليه عن أوضاع المصريين، فإن هناك دلائل تشير إلى أن المصريين استمروا في عيشهم خلال فترة حكم البطالمة محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم حيث ظلوا يلتقون في أندية جمعياتهم، أو في بيوت الأعيان، أو في المعابد، ليستمعوا إلى قادتهم الروحيين، ويعبروا لهم عن مظالمهم. ونلاحظ وجود ثلاثة أنواع من الجمعيات المصرية وهي: الجمعيات الدينية والتي تنقسم بدورها إلى نوعين وهما "جمعيات دينية مهتمة بحياة البلاد. وجمعيات دينية تهتم بشؤون المعابد" وهناك أيضا "جمعيات أرباب الحرف والمهن المختلفة". وكانت بعض هذه الجمعيات تتصل اتصالا وثيقا بالدولة. مثل الجمعيات أو النقابات المحلية لزراع الملك، والأشخاص المشتغلين في الصناعة أو النقل، أو التعدين، أو البناء، أو الصيد. ويحتمل أن بعض هذه الجمعيات كانت مفككة الأواصر. لكنه لاشك في أن بعضها كانت قوية ودائمة[1].

وقد كان نشاط هذه الجمعيات المصرية على اختلاف ألوانها طيلة فترة حكم البطالمة. ويبدو أن بعضها. على الأقل. اتخذت بالتدريج بعض مظاهر الجمعيات الإغريقية نتيجة اختلاط المصريين بالإغريق. ويظهر ذلك جليا في الجمعيات المصرية الدينية و الاجتماعية. وهي التي لم تختلف اختلافا بينا في هدفها ونظمها عن الجمعيات الإغريقية المماثلة لها. وكذلك ازدادت عندئذ أهمية المذاهب المصرية في حياة الإغريق. وتبعا لذلك فإنه كان طبيعيا أن تتأثر جمعيات المصريين وجمعيات الإغريق ببعضها البعض. ويبدو أن الجمعيات المصرية قد اكتسبت أيضا بعض مظاهر الحياة النقابية الإغريقية[2].

ولكي نقدر حجم الثقافة والوعي والحضارة لمجتمع ما من المجتمعات، أو لأمة من الأمم، و لمعرفة مدى تقبله لثقافة أجنبية عنه، فإن الصورة تبرز بوضوح إذا ما ركزنا على حال التعليم فيه، وإذا كان معلوما أن الأمية كانت منتشرة في أوساط المصريين في أزهى عصور الفراعنة، فإنه لا يمكن أن نتصور أن البطالمة عملوا على محو الأمية بين المصريين، مع أنهم لم يحاولوا ذلك بين الإغريق أنفسهم، وإذا كانت الغالبية العظمى من المصريين لم تقبل على التعليم في أزهى عصور حكامها الوطنيين فإنه من المستبعد أنها وجهت أية عناية تذكر إلى التعليم عندما كانت فريسة للفاقة والبؤس في عصر حكم الأجانب، أمثال البطالمة وأعوانهم الإغريق[3]. غير أن حاجة البطالمة المستمرة إلى عناصر جديدة من الكهنة ومحرري العقود

---

1 - نفسه، ص 163. 164.

2 - *Rostovtzeff.M,op cit,* 02*vol, p* 1062 – 1063.

3 - عبد العزيز صالح، التربية والتعليم في مصر القديمة، (القاهرة؛ 1999)، ص ص 223 – 224.

ومن محترفي الاشتغال برسم أو حفر المناظر والنقوش الدينية، سواء على جدران المعابد أو المقابر أو على التوابيت ومن ناحية أخرى كان البطالمة أنفسهم يدركون ضرورة وجود عدد كاف من رجال الدين لإقامة الشعائر الدينية في وطن شديد الاعتزاز بدياناته، ويزخر بالآلهة والمعابد في كل أرجائه. ولذا فإنهم أولوا اهتمامهم بتعليم الأقلية في مرحلتي التعليم الأولى و الوسطى. بينما أوصدت مدارس المعابد أبوابها دون لغة الإغريق وثقافتهم، لأنها كانت تعتبر المعاقل الحصينة للثقافة المصرية[1].

ومن المعلوم والبديهي أن اللغة الإغريقية أصبحت في عهد البطالمة اللغة الرسمية في البلاد. ومع ذلك فإن الكتابتين الهيروغليفية و الديموطيقية بقيتا مستعملتين عندئذ. لا على جدران المعابد والمقابر وأنصاب الموتى والتوابيت فحسب، بل كذلك في اللوائح والقوانين، وبخاصة ما كان منها متعلقا بالضرائب. وفي هذا أبلغ دلالة على أمرين هما: أنه كانت توجد طوال عصر البطالمة مدارس أولية مصرية لسد حاجة الراغبين في العلم، أو لمزاولة المهن الحرة، أو لتولي الوظائف الحكومية الصغرى. والأمر الثاني هو أن الغالبية العظمى من المصريين كانوا لا يعرفون اللغة الإغريقية[2].

ولما كانت الغالبية العظمى من المصريين أميين، وكانت طبقة المتأغرقين قليلة العدد، وكان حظ صغار الموظفين من الثقافة الإغريقية قليلا فإننا نستطيع أن ندرك أن تغلغل الثقافة الإغريقية بين المصريين كان محدودا. وقد عرفنا أن التزاوج بين المصريين والإغريق في الشطر الأول من حكم البطالمة كان أمرا نادرا. وأن التقارب بين العنصرين في الشطر الثاني ساعد على انتشار التعليم الإغريقي بين قلة من المصريين، قاربوا مركز الإغريق. وكان من اليسير حدوث تزاوج بينهم، وأدى ذلك إلى انتشار الأسماء المختلطة بين المصريين المتأغرقين، والإغريق المتمصرين[3]. ولعل ألمع شخصية في هذه الطبقة المصرية المتأغرقة هو ديونيسيوس بيتوسرابيس. الذي ظهر في عالم السياسة في الإسكندرية حوالي عام (165 ـ 164 ق.م) أي في جيل ما بعد موقعة رفح. ويبدو من اسمه الثاني أنه من أصل مصري. في حين يدل اسمه الأول على أنه تأغرق فاتخذ اسما يونانيا. ويبدو أنه قد تمكن من الوصول إلى مركز كبير في القصر البطلمي. وكان يتمتع بشعبية كبيرة في أوساط المصريين

---

1 - شريف الصبان، المرجع السابق، ص 79.

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 171. 172.

3 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 116.

وحاول أن يستغل صراع الملك بطلميوس السادس مع أخيه بضرب أحدهما بالآخر، ثم يطيح بهما معا . غير أن الأخوين تفطنا إلى ما بيته وتمكنا من القضاء على ثورته في الإسكندرية[1] .

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن المصريين بوجه عام كانت لهم عادات ثابتة تقوم على أسس حضارة وديانة ترجعان إلى أقدم العصور، بقوا مخلصين لها في غالبيتهم عدا نفر منهم اصطبغوا في تعليمهم وملبسهم بصبغة إغريقية . لم تكن أكثر من طلاء خارجي لم يمس جوهرهم . وأما الأغلبية الساحقة فإنها بعيدة حتى عن مظاهر الحضارة الإغريقية[2] .

2.2. ثوراتهم :

إن المصريين الذين رحبوا بقدوم الإسكندر، لم يكونوا يتوقعون في عهد خلفائه البطالمة أن يعاملوا على أساس أنهم شعب ذليل مقهور . وكان شعورهم بتلك المذلة والمنزلة الدنيا قد تأكد لديهم بما كانوا عليه من عدم المساواة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية . فقد كانوا هم الأداة المنفذة، والطبقة الكادحة، واليد العاملة . ويقابلها من الناحية الأخرى طبقة بيدها السلطة الإدارية، ولها هيمنة ونفوذ . فلا عجب في أن يقابل المصريون الذين تملكهم هذا الشعور ما يعدونه من قبيل احتقار اليونانيين لشأنهم بالعدوان والنفور . ولكن لم يحدث في وقت ما أن كان هناك عصيان بين الوطنيين المصريين ضد حكامهم المقدونيين[3] . ووسط هذه الظروف كان من اليسير أن يندلع لهيب الثورة لأي سبب من الأسباب . فقد امتلأت النفوس غضبا وحقدا . وتوفر جيش الثورة من ملايين الزراع والصناع والعمال، الذين لم ينقصهم إلا القادة . ولذلك فإن حركة الاحتجاجات والاضطرابات التي شهدتها مصر البطلمية بدأت في عهد بطلميوس فيلادلفوس . وعلى الرغم من أنها لم تتخذ طابع الثورة في عهده، فإنها لم تنقطع في عهد خلفائه بل ازدادت عنفا وشدة[4] .

ويذكر المؤرخون أنه في السنة الأولى من حكم الملك بطلميوس الثالث، نشبت أول ثورة قومية عارمة في معظم أرجاء البلاد . وذلك بسبب الأضرار التي لحقت بمعظم طوائف الشعب، من زراع وصناع وتجار، من جراء صرامة النظام المالي

---

1 - مصطفى العبادي، مجتمع الإسكندرية في عصر البطالمة، ص 48.

2 - *Bowman, a.k. op cit, p*122.

3 - هـ . آدريس بل، **الهلينية في مصر (بحث في وسائل انتشارها وعوامل اضمحلالها من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي)** تر: زكي علي، (القاهرة : دار المعارف؛1959)، ص 55 . 56 .

4 - *Rostovtzeff.M,op cit,* 01 *vol, p* 411 - 414.

و الاقتصادي ومن ناحية أخرى بسبب تعسف الموظفين والجباة في تطبيق هذا النظام . باستغلال سلطتهم المطلقة من أجل تحقيق مطامعهم الشخصية . ولسوء الحظ فإننا لا نعرف عن هذه الثورة إلا القدر القليل من مؤرخين متأخري العهد . فلسنا نعرف مدى انتشارها في البلاد ، ولا مدى استعارها . ويبدو أنه ساعد على قيام هذه الثورة أمران : أولهما غياب قوات الملك في سوريا . عندما كان يقدم المساعدة لأخته أوديسيا وابنها ملك سوريا والثاني وهو تلك المجاعة التي يذكر أنها ترتبت عن نقص الفيضان عن منسوبه . فسارع الملك إلى العودة إلى البلاد دون إتمام فتوحاته للعمل على تحسين أوضاع الشعب[1] .

ومما يجمع عليه المؤرخون أن سياسة البطالمة اتخذت منحى آخر منذ عهد بطلميوس الرابع . و اتبع ملوك العهد المتأخر سياسة جديدة في معاملة المصريين . ويذكر روستوفتزف في ذلك بأن البطالمة استبدلوا سياسة السيطرة على أهالي البلاد بسياسة إشراكهم في الحكم[2] .

غير أننا نجد اختلافا بين المؤرخين في تحديد بعض المصطلحات . فهم يتفقون في استبدال البطالمة لسياستهم منذ رابعهم، لكنهم يختلفون في تفسيرهم للسياسة الجديدة . ومن ذلك مثلا نجد كلا من عواد حسين ونصحي يذهبان إلى القول بأن هناك شيئا من الإسراف في هذا الرأي . فلم يحدث أن اشترك المصريون مع البطالمة الأواخر اشتراكا فعليا في الحكم، وتعاونوا معهم في إدارة البلاد كما إشترك وتعاون معهم الإغريق والمقدونيون . ويذهبان إلى القول بأنه لم يرتق من المصريين إلى المناصب الرفيعة، إلا عدد ضئيل جدا لا يمكن أن نتخذه أساسا نبني عليه حكما كهذا[3] . وكل ما يمكن أن توصف به سياسة البطالمة نحو المصريين بعد هذه الفترة على حد قول نصحي هو أنها كانت سياسة مشربة بروح العطف لا أكثر . والدليل على صحة هذا الرأي أن أغلب المناصب الكبرى . والضياع و الإقطاعات الواسعة، بقيت من نصيب الإغريق . وأن النظام المالي والاقتصادي بقي في جوهره كما هو، بما ينطوي عليه من إرهاق المصريين[4] . فقد عمل الملك بطلميوس الرابع بإشارة من وزيره سوسيبيوس على تجنيد عدد هائل من المصريين لأول مرة في الجيش البطلمي، وذلك قصد مواجهة خطر السلوقيين المحدق

---

1 - سليم حسن، **موسوعة مصر القديمة**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة؛ 2000)، ج16، ص 630. 634 .

2 - *Rostovtzeff.M,op cit, 02 vol, p* 706 - 707.

3 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 228 .

4 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 184 .

بهم . وتم لهما النصر في موقعة رفح في 22 جوان 217 ق . م بفضل شجاعة الفيلق المصري وقوته . ولذا فإن المؤرخين يعتقدون أن معركة رفح كانت نقطة تحول في تاريخ دولة البطالمة[1] .

والملاحظ أنه عندما عاد الجنود المصريون من سوريا فرحين بنصرهم الذي أحرزوه في رفح، وأخذوا يباشرون حياتهم العادية، ازداد إحساسهم بالألم من مركزهم الوضيع بالنسبة للأجانب . وأحسوا بالظلم من الأعباء التي كان البطالمة يفرضونها عليهم من خلال فرض النظام المالي والاقتصادي المجحف . فلا عجب إذن أن رجال الدين المخلصين انتهزوا كل هذه الظروف واستنفروا وطنية المصريين ومشاعرهم الدينية، فهبوا ثائرين على الطغاة ومن سايرهم من المصريين أنفسهم[2] .

وبدأت النبوءات الدينية المصرية تبشر بقرب ظهور البطل الذي سوف يعيد لطيبة مجدها من سيطرة الإسكندرية . وذلك ما تؤكده وثيقة بردية اشتهرت باسم "نبوءة صانع الفخار" . وتتضمن الوثيقة نبوءة أوحي بها إلى فخراني، ونطق بها أمام الملك أمينوفيس من ملوك الأسرة الثامنة عشر . وما وصلنا من هذه النبوءة هي تراجم يونانية متأخرة . ورغم تهلهل هذه البرديات، فقد أمكن تتبع معاني بعض فقراتها . فهناك نبوءة بأنه ستحل بمصر أيام عصيبة، تقع فيها تحت حكم الأجانب . ثم يظهر من بين المصريين من يخلص البلاد . وهناك إشارة طريفة تتحدث عن مدينة الإسكندرية على هذا النحو : " . . . **وسوف تصبح المدينة التي بجوار البحر مكانا يجفف فيه الصيادون شباكهم . لأن الآلهة سوف تغادرها إلى منف . بحيث يقول عنها من يمر بها : كانت هذه المدينة الأم الرؤوم للعالم، فكل شعوب الأرض وجدت مستقرا فيها** " .

وهناك وثيقة أخرى تحوي نبوءة يدعي كاتبها أنها ترجع إلى عصر الملك تاخوس (366 . 360 ق . م)من ملوك الأسرة الثلاثين . وتتحدث الوثيقة بأسلوب التنبوء عن تاريخ مصر منذ تاخوس ، وما تعرضت له من غزو وحكم أجنبي على يد الفرس أولا والإغريق بعد ذلك . ثم تنتهي النبوءة ببشرى للمصريين، بأن يوم الخلاص قريب، وأنه سيظهر واحد من أبناء مدينة أهناسية سيحرر مصر، ويطرد الأجانب والأيونيين أي الإغريق . وما من شك أن فكرة النبوءة وقدمها التاريخي تلفيق قام به الدعاة للثورة، حتى يضفوا على دعواهم صفة العراقة والصدق الديني . وإنما هي في واقع الأمر حديثة التأليف من زمن الثورة نفسها[3] .

1- سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 173. 174.

2 - *Rostovtzeff.M,op cit, 02 vol, p* 709 - 710.

3 - مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، ص 75 - 76.

و مهما يكن من أمر فإن هذين النصين يعبران أحسن تعبير عن الحالة النفسية التي كان يعيشها المصريون في عهد البطالمة. وتبرز مقدار الكراهية تجاه الأسرة الحاكمة.

وقد اندلعت الثورة في مصر الوسطى والدلتا في العام السادس عشر من حكم فيلوباتور (207 . 206 ق.م). وذلك ما أكدته لنا نقوش معبد إدفو التي أشارت إلى أن أعمال البناء في هذا المعبد قد توقفت في ذلك العام، عندما إندلع لهب الثورة هنا وهناك. وكان الثوار يختبؤون في المعبد. وقد كان أهم عامل ساعد على قيام هذه الثورة هو بقاء التقاليد الفرعونية في وادي النيل جنوبي مصر. لأن الإغريق لم يخضعوا كل دولة الفراعنة القدماء لحكمهم، وبخاصة مصر العليا[1]. ولم يستطع البطالمة القضاء على هذه الثورة إلا عام(184 . 183 ق.م) عندما وقعت سايس في قبضة بطلميوس الخامس "إيبفانس". وعندما يئس زعماء الثورة من نجاح محاولتهم سلموا أنفسهم بعد أن أمنهم الملك على حياتهم. لكنه كان ملكا محتالا لا عهد له. حيث نكث عهوده ومواثيقه فور استلام أولئك الزعماء المصريين فشد وثاقهم إلى عجلته الحربية وجرهم عراة وقام بتشوههم ثم إعدامهم[2]. و من هذه الحقائق ما جاء في بعض كتابات البردي وقرار حجر رشيد الذي صدر عام 196 ق.م (أنظر الملحق رقم 12) عن الكهنة المصريين المجتمعين في منف. على الرغم من أن الثورة استمرت حتى العام التاسع من عهد بطلميوس الخامس. وفي هذا القرار هنأ الكهنة الملك الشاب على معاقبته الثوار الذين هاجموا المعابد وخربوها. وهذا يدل على أن بعض رجال الدين لم يسهموا في الثورة بل أظهروا ولاءهم للنظام القائم. فاعتدى الثوار عليهم وعلى معابدهم.

ومن الواضح أن سبب عدم مشاركة بعض رجال الدين كما يشير إلى ذلك بعض المؤرخين، يرجع إلى المنح التي جاد بها بطلميوس الرابع عليهم. وخاصة كهنة الوجه البحري الذين يبدو أنهم لم يكونوا على توافق مع كهنة طيبة. الذين احتضنوا الثورة والثوار. بالإضافة إلى ذلك فإن بطلميوس الرابع توج نفسه على الطريقة الفرعونية، واستخدم الألقاب الفرعونية حتى في النصوص الإغريقية. واهتم بشؤون الديانة المصرية، وعمل على دمج المصريين في الجيش البطلمي. وهذا كله من أجل إرضاء المصريين وتهدئة ثورتهم[3].

ويذهب المؤرخ بوليبيوس المعاصر لهذه الثورات إلى القول بأن حركة عدائية قامت ضد الإغريق المستعمرين. ترتبت

1- *Bevan.E, op cit, p* 239 – 240.

2- *polyb*, XXII, 17,1-5.

3- *Bevan.E, op cit, p* 391.

على التغيير الذي طرأ على توازن القوى بين الإغريق والمصريين عقب انتصارهم في موقعة رفح . والواقع أن ما عبر عنه بوليبيوس بقوله "المستعمرين" يقابله طموح المصريين في الحرية والاستقلال[1] . وفي المقابل نجد الآنسة بريو تخالف بوليبيوس رأيه هذا بقولها أن الثورة لم تكن قومية وإلا لو كان الأمر كذلك لأسهم فيها رجال الدين جميعا ، وترجع أسباب الثورة إلى المشاكل الإقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها المواطن المصري آنذاك ، ففي عهد بطلميوس السادس "فيلومتور" عرفت مصر حالة من الاضطراب، بسبب الصراع الذي عرفه القصر الملكي . بينه وبين أخيه الأصغر بطلميوس الثامن "يورجتيس الثاني" . وهنا ظهر زعيم مصري يدعى "ديونوسيوس بتوسرابيس" حيث استغل النزاع لتحقيق آمال المصريين . وكان هذا الأخير يتمتع بنفوذ كبير في أوساط شعبه، ويتولى منصبا كبيرا في القصر . فعمل على استغلال فترة الصراع بين الأخوين، والتف حوله الجنود المصريون . غير أنه انهزم أمام قوات فيلومتور، وتمكن من الهرب وإشعال فتيل الثورة في البلاد . ويحدثنا ديودور بأن فيلومتور تولى بنفسه إخماد الثورة بتجييش قوات كبيرة . وبأنه استطاع القضاء عليها بسهولة[2] . غير أن ذلك لم يجتث جذور الثورة، ولم يضع حدا للإضطرابات في مصر . وفور استرداد بطلميوس السادس عرشه عام 163 ق .م حتى أعلن عفوا شمل كل الذين كانوا مختبئين أو متهمين باشتراكهم في الثورة . وعلى الرغم من ذلك فإن الهدوء والأمن لم يستتبا في البلاد . وقد تسببت الثورات القومية في تدهور حالة البلاد الاقتصادية . كما شهدت هذه الفترة أزمة نقدية . ميزها ارتفاع قيمة العملة الفضية . وقلة تداولها بين الناس . ونجم عن ذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية والمصنوعات . كما انخفضت موارد الملك انخفاضا بينا في حين ازدادت التزاماته، فأقتفى أثر سلفه في تحقيق هذه الالتزامات على حساب الأهالي[3] .

وفي عام (132 . 131 ق .م) تصدع البيت المالك و احتدم الصراع على الحكم بين كليوبترة الثانية و ابنها فيلومتور من جهة، وبطلميوس الثامن من جهة أخرى . وانقسم الناس إلى فريقين . فريق يؤيد كليوبترة الثانية و ابنها وهم مواطنو الإسكندرية واليهود وجزء من الجيش . في حين وقف الباقون مع بطلميوس الثامن . واندلعت ثورة أصبحت مزيجا من الحرب الأهلية بين الفريقين المتناحرين والشعب . وأخذت ثورة المصريين في الوجه البحري ومصر السفلى، شكل الإضراب العام

1 - سليم حسن، المرجع السابق، ص 655 .

2 - *Préaux.C, op cit, p* 528.

3- عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 312.311 .

عن العمل . بينما احتدم الصراع في المدن والقرى في مصر العليا[1] . وتدل الوثائق التاريخية على أن بطلميوس الثامن انتهج العنف والسياسة في آن واحد لإنهاء الثورة والعصيان فأصدر سلسلة من قرارات العفو عام 118 ق .م لعلاج أسباب الثورة وإخمادها . وعلى الرغم من أن الوثيقة التي تضمنت هذه القرارت وصلت إلينا مشوهة وفقراتها مهلهلة، فإنها تبرز مدى اضطراب أحوال البلاد، من جراء الجرائم والأحداث التي وقعت خلال الحرب الأهلية . مثل أعمال العنف والتخريب والحريق وهجر الأراضي، ومعيشة أربابها عيشة قطاع الطرق . وعدم دفع الضرائب والإيجارات، وعدم القيام بأعمال السخرة . واغتصاب أراضي التاج[2] .

ولم تؤد المحاولات التي بذلها بطلميوس الثامن لتهدئة النفوس، إلى استتاب الأمن والطمأنينة في البلاد . فعقب وفاته عام 116 ق .م نشب الصراع من جديد على السلطة بين كليوبترة الثانية وكليوبترة الثالثة حتى وفاة الأخيرة عام 116 ق .م . ثم بين كلوبترا الثانية و ابنها الأكبر بطلميوس التاسع "فيلومتور سوتير" . وهي التي أرغمها الإسكندريون على إشراكه معها في الحكم بدلا من ابنها المفضل لديها وهو بطلميوس إسكندر[3] .

واندلعت الثورة من جديد في عهد بطلميوس التاسع حيث كانت طيبة محورها دائما لذا فإن بطلميوس التاسع رأى بأن الطريقة المثلى للقضاء على الثورة هو تخريب مدينة طيبة تخريبا تاما . لكونها مركز الثورات وذلك بعد ثلاث سنوات من الحرب بين الطرفين . غير أن تخريب مدينة طيبة لم يؤد الهدف المرجو وهو القضاء على ثورات المصريين كلية . فعلى الرغم من أن تخريبها قلل من الثورة إلا أنه لم يقض على الثورات نهائيا . حيث تجددت الاضطرابات في فترة البطالمة الأواخر في عام (79 . 78 ق .م) وكذا في عام (64 . 63 ق .م) وأخيرا عام 58 ق .م[4] .

ومجمل القول فإن ثورات المصريين ضد البطالمة وسياستهم منيت بالفشل بسبب عاملين رئيسيين :

أولهما : بالرغم من كثرة عدد الثوار، فإنهم كانوا يفتقرون إلى ما كانت تمتاز به دولة البطالمة من النظام والعتاد والأموال .

ثانيهما : عدم إتحاد المصريين في مناهضة البطالمة . فمنذ بداية الثورة وقف فريق من الكهنة موقف المتخاذل . وكذلك فريق

---

1 - محمد فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص 220.219 .

2 - عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 314 .

3 - *Rostovtzeff.M,op cit,* 02 *vol, p* 899 - 903 -

4 - محمد فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص 220 .

من الأهالي، ولاسيما أتباع الكهنة الذين سالموا البطالمة مذعنين للظروف القاهرة، وبدوافع الخلافات الوراثية بين كهنة الآلهة المختلفة. ويبدو أن البطالمة انتهجوا سياسة تنطوي على إشاعة الفرقة بين صفوف المواطنين. باستغلال الخلافات المحلية، وإرضاء الأطماع الشخصية لإضعاف الحركات القومية تيسيرا للقضاء عليها[1].

3. اليهود :

لقد كان اليهود من أهم العناصر الأجنبية التي وجدت بمصر البطلمية. حيث كانوا يحتلون المرتبة الثالثة في الأهمية بعد الإغريق والمصريين. ويرجع وجودهم في مصر إلى ما قبل الغزو الفارسي والمقدوني بزمن بعيد. إذ وجدت لهم جاليات في بعض مدن الوجهين القبلي والبحري، منذ العصر الصاوي الذي شجع ملوكه على وفود الأجانب إلى وادي النيل. وفي العهد الفارسي قدم إلى مصر كثير من اليهود، وانتشروا انتشارا كبيرا، وكونوا لأنفسهم مستعمرة في الجزء الجنوبي من جزيرة الفنتين التي تقع بين عرضي النيل قبالة أسوان[2]. وقد عثر حديثا في تلك الجزيرة على مجموعة من أوراق البردي مكتوبة باللغة التي يتكلمها يهود هذه الحامية وهي الأرامية. وتثبت دراسة هذه البرديات أنه من الممكن التأريخ لهذه الحامية السامية بصورة منتظمة في الفترة ما بين(525 - 407 ق.م)[3]. وقد كان نزوح هذه القبائل العبرية إلى مصر طلبا للرزق. كما أنهم كانوا يحتمون بالحكام المصريين من الأخطار الأجنبية، كما حدث عندما تعرضوا لخطر الآشوريين ودمر نبوخذنصر مدينتهم أورشليم[4].

ومنذ أن فتح الإسكندر الأكبر مصر، تقاطر اليهود إليها في أعداد كبيرة. ومن المعروف أنهم نزلوا بجميع أنحاء مصر المختلفة، وأن أكثرهم كان يتمركز بالإسكندرية في الحي الرابع من هذه المدينة. وقد انتشروا فيما بعد حتى شغلوا الجانب الأكبر من حي آخر، فضلا عن انتشارهم في أحياء أخرى من أحياء المدينة. إلا أنهم كانوا يفضلون العيش متكتلين بالقرب من بعضهم البعض، كما يفعلون اليوم في المدن التي ينزلون بها[5].

ومن الدلائل التي تشير فيها المصادر إلى انتشار اليهود بمصر في دولة البطالمة، ما وجد في الجبانة اليهودية بالإبراهيمية

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 224.

2 - محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص 184.

3 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 112.

4 - حسين الشيخ، **العصر الهلينستي (مصر)**، (الإسكندرية؛ دار المعرفة الجامعية؛ 2005)، ص 88.

5 - *Bevan.E, op cit, p* 113.

في الإسكندرية من مقابر لليهود، تعود إلى النصف الأول من عهد البطالمة. كما وجدت هياكل لليهود في تل أثريب قرب بنها ومجدولا وسخديا وهرموبوليس بارقا في دمنهور، و وادي النطرون وأرسينوس، وفي الفيوم وكذلك في ليونتوبوليس(تل اليهود) ،وهو الذي منحه بطلميوس الثالث حق حماية اللاجئين إليه. كما وجدت نقوش يهودية في معبد بان في أبولونيس في إدفو بمنطقة طيبة[1].

وقد تعددت أنشطة اليهود بمصر، حيث شملت العديد من مختلف الحرف والمهن الزراعية وتربية الماشية، وإدارة المصارف المالية، والتزام الضرائب، والجندية وأعمال الحراسة على النيل. كما أن البعض منهم عمل ببعض الأعمال والمناصب في الحكومة. وانخرطوا في سلك الضباط والقادة. فمنهم من تولى منصب رئيس للشرطة، وكذا سكرتير للملك. هذا فضلا عن قائدي جيش كليوبترة الثانية عقب مصرع زوجها فيلومتور، وقبل ارتقاء بطلميوس ملك قورينائية عرش مصر. وعندما ازداد عدد اليهود في الإسكندرية أصبحوا يتمتعون ببعض الحقوق التي كان يتمتع بها المواطنون الأحرار. وكانوا يعرفون بوجه عام بالسكندريين، ويتمتعون بسلطات واسعة من الحكم الذاتي، كانت تفوق في بعض النواحي السلطات التي كان يتمتع بها المواطنون الأحرار، وبخاصة في العصور المتأخرة. ويبدو أنه كان بين اليهود طبقتان. إحداهما عليا والأخرى دنيا. وكان يصرف أمور هذه الهيئة في أول الأمر المسنون، ثم بعد ذلك كان يتولاها موظف يسمى جينارك أو أثنارك. وفي أواخر عصر البطالمة تشكل بينهم مجلس يعرف باسم الجروسيا، يبلغ عدد أعضائه واحدا وسبعين عضوا[2].

ونظرا لتمسك اليهود الشديد بدينهم، فقد منحهم الملوك البطالمة حق ممارسة شعائرهم الدينية في حرية واستقلال. وقد بنوا فعلا كثيرا من أماكن العبادة الخاصة بهم، وتعرف باسم سيناجوج (ومعناها اللغوي جامع)[3]. والملاحظ أن اليهود سرعان ما تركوا اللغة الآرامية واتخذوا اللغة اليونانية بدلا منها. وكان أكبر مظهر لهذا التغيير هو ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية. حيث تمت في مصر في ذلك العصر. وتسمى عادة بالترجمة السبعينية، نسبة إلى قصة أسطورية نسجت حول هذه الترجمة. وتروي هذه القصة أن الملك بطلميوس الثاني إستقدم إلى الإسكندرية اثنين وسبعين عالما من يهود فلسطين، وكلفهم

---

1 - عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 273. 274.

2 - زكي علي، **الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان**،(الإسكندرية؛ مطبعة دار المستقبل؛ 1948)،ص 40.

3 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 113.

بأن يقوم كل واحد منهم على إنفراد بترجمة التوراة إلى اليونانية، وبعد اثنين وسبعين يوما فرغوا جميعا من الترجمة. ولما قورنت التراجم المختلفة، وجد أنها متطابقة مع بعضها البعض. وقد ثبت الآن أن هذه القصة لا أساس لها من الصحة، وأن الترجمة السبعينية قام بها يهود مصريون في فترات مختلفة من العصر البطلمي[1]. ويرجح أغلب المؤرخين أن تكون هذه القصة مختلقة. وكل ما في الأمر هو أن كثيرا من اليهود قد تأغرقوا، تماما وأصبحت اليونانية هي لغتهم الوحيدة، وبهذا أضحت المراسيم الدينية اليهودية تؤدى باللغة اليونانية. وبالتدريج أخذ اليهود في مصر يفقدون خصائصهم المميزة لهم عن الإغريق، فاتخذوا الزي اليوناني، وتسموا بأسماء إغريقية، وتحدثوا اللغة اليونانية. ولما كان بطلميوس الثاني يعطف عليهم فإنهم أوعزوا إليه بترجمة كتبهم المقدسة. وإ تدل شواهد لها وزنها على أن أعلام يهود الإسكندرية هم الذين قاموا بترجمة التوراة إلى الإغريقية، وهي المعروفة بالترجمة السبعينية فإنه لا يوجد دليل قوي يدعم ما يقال بأنه سبقت ذلك ترجمة أخرى، ويحتمل أن الترجمة بدأت في عهد الملك فيلادلفوس غير أنها استغرقت أمدا طويلا[2].

وبمرور الزمن أصبح لليهود شأن في الحياة السياسية و الاجتماعية بمصر. حتى قيل أنهم بعد القرن الثالث منحوا الحق في ألا يحاكموا إلا أمام قضاتهم، ووفقا لقوانينهم المتوارثة عن آباءهم. أو بعبارة أخرى وفقا لقوانين موسى. ويبدو أن ذلك كان مقتصرا فقط على مسائل الأحوال الشخصية، أما في حالة وقوع نزاع مدني أو جنائي بين طرفين سواء أكانا يهوديين، أم كان أحدهما يهوديا والآخر غير يهودي، فإن المحاكم العامة العادية هي التي كانت صاحبة الاختصاص للفصل في مثل هذه المنازعات. وهذا يتماشى مع ما ذكر من أن البطالمة منحوا الجالية اليهودية في الإسكندرية قسطا من الحكم الذاتي، لم يمنح لأي جالية أخرى في أي مدينة إغريقية. وأنهم تساووا في الحقوق مع المقدونيين[3].

ولما كانت جل معلوماتنا عن اليهود في عصر البطالمة مأخوذة مما كتبه المؤرخ اليهودي يوسف (جوزيفيوس) ،الذي قال بأن الإسكندر منح لليهود حقوقا متساوية مع الإغريق. وأن البطالمة هم الذين خصصوا لليهود حيا في الإسكندرية، وسمحوا لهم بإتخاذ لقب مقدونيين. وعلى هذا الأساس فسر بعض المحدثين بأن يهود الإسكندرية كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية كاملة. و ما أراد يوسف إدخاله في أذهان الناس، تأييدا ليهود الإسكندرية في كفاحهم المرير مع الرومان، هو فوزهم بحقوق المواطنة،

---

1 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 112 - 113.

2 - *Bevan.E, op cit, p* 112.

3 - عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 276. 277.

حتى لا يدفعوا ضريبة الرأس . ويحدثنا يوسف أيضا بأن يوليوس قيصر قضى بأن يقام في الإسكندرية نصب من البرونز يكتب فيه أن يهود العاصمة مواطنون إسكندريون . فإذا صح كلامه هذا عن قيصر ، فكيف يتسنى له التوفيق بينه وبين قوله بأن الإسكندر قد منح ليهود الإسكندرية حقوق المواطنة، وأن البطالمة أقروا ذلك ؟ ومن هذا التساؤل يذهب نصحي إلى القول بأن جميع القرائن تشير إلى عدم تمتع يهود الإسكندرية بالحقوق المدنية كاملة . لكنه لا يستبعد أن يكون نفر قليل منهم استطاع اكتساب حقوق المواطنة بصفة شخصية . كما أنه لا يجوز أن نفهم من كلام يوسف أكثر من السماح ليهود الإسكندرية بالإقامة فيها في حي خاص، وتكوين جالية قومية لهم على نحو ما فعل الإغريق والرومان[1] .

وتدلنا الشواهد إلى أن البطالمة الأوائل قد أظهروا كثيرا من العطف نحو اليهود ، فقد قام بطلميوس الأول بإحضار عدد كبير منهم وأسكنهم في مصر . كما أن بطلميوس الثاني أكلأهم برعايته، وذهب بطلميوس الثالث إلى حد منح أحد هياكل اليهود حق حماية اللاجئين . هذا بخلاف سياسة بطلميوس الرابع العدائية لليهود . فالكتاب الثاني من تاريخ المكابيين يلقي كثيرا من الأضواء على تلك السياسة العدائية، بسبب رفض اليهود الامتثال لرغبة بطلميوس الرابع في عبادة ديونيسوس و الإرتداد عن دينهم . وأن بطلميوس الرابع أمر بإعدامهم في الإسكندرية . ويحدثنا هذا المصدر بأن أعدادا كبيرة منهم أرسلت إلى حلبة الخيل لتطأهم فيلة ثملة بأقدامها . لكن الفيلة هاجمت بطلميوس فعاد إلى رشده وحررهم . واحتفاءا بهذا الحدث اعتاد اليهود على إقامة عيد لمدة أربعين يوما من كل سنة في مدينة بطوليمس . ونحن نميل إلى رأي بعض المؤرخين من عدم تصديق هذه القصة لعدم وجود ما يؤيدها[2] . ويحتمل أن بطلميوس الرابع الذي كان متحمسا لعبادة ديونيسوس، قد خدعه الشبه الشديد في الاسم بين سارابتزيوس وسارابوث، فاعتقد أن اليهود كانوا يعبدون ديونيسوس تحت اسم شبيه به . وبما أن ديونيسوس كان يُسوى بسرابيس كبير آلهة مصر الرسمي في عهد البطالمة، فلا يستبعد أنه كان يحلم بإقامة عبادة واحدة للإمبراطورية، هي عبادة ديونيسوس لتوحيد عبادة مختلف الجنسيات في الإمبراطورية[3] .

وفي عهد بطلميوس السادس فيلوميتور التجأ إلى مصر يهود فلسطين الناقمون على أسرة سلوقس، وكان على رأسهم أونياس الرابع، وهو الذي كان كبير كهنة بيت المقدس ويبدو أنه قد رافق أونياس عدد كبير من أتباعه،فمنحهم بطلميوس

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج02، ص 157 . 158 .

2 - *Bevan.E, op cit, p* 229 – 230.

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج02، ص 161 .

السادس قطعة من الأرض على فرع النيل الشرقي في المديرية العربية. عرفت فيما بعد بإقليم أونياس. حوالي 160 ق.م. وسمح لأونياس بأن يبني على مكان معبد مصري قديم في ليونتوبوليس معبدا يهوديا، على نمط بيت المقدس. وقد خصص بطلميوس السادس إيرادات عين شمس للإنفاق على هذا الهيكل وكان هذا الهيكل مكان اجتماع ومعبد ديني في نفس الوقت وقد أطلق عليه اسم سيناجوجاي أي مكان الاجتماع. زيادة على ذلك فقد نصب أونياس حاكما على المديرية العربية أين أقام اليهود معبدهم[1].

ويعتبر هذا العطف على اليهود نقطة تحول هامة، لا في تاريخ اليهود فحسب، بل في تاريخ مصر أيضا. إذ أنه منذ ذلك الوقت بدأت تظهر الرسائل التي تهاجم اليهود، والرسائل اليهودية التي تهاجم الإغريق. وملأت تلك الرسائل العصر الهيلينستي بالأكاذيب. وهبطت بمستوى آداب القرن الثاني قبل الميلاد إلى الحضيض. فقد اتهم الإغريق اليهود بأن حضارتهم ليست أصلية، وإنما هي منقولة عن غيرهم. وأنه لا تربطهم بالأجناس الأخرى أية مشاعر إنسانية. ولذلك يعيشون منطوين على أنفسهم. وأنهم ملحدون لا يعترفون بوجود آلهة أخرى غير اليهودية. وقد دافع اليهود عن أنفسهم وبالغوا في دفاعهم إلى حد زعمهم أن حضارتهم أقدم الحضارات. وأنهم هم الذين ابتدعوا العلوم والفنون والفلسفة ولقنوها للشعوب الأخرى[2].

أما عن وضع اليهود في عهد بطلميوس الثامن "يورجتيس الثاني" فقد كانت على أسوأ مما كانت عليه في عهد سابقيه. حيث كان يكن حقدا دفينا لهم بسبب مساعدتهم لأخيه بطلميوس السادس وأخته كليوبترة الثانية ضده. ففي عهد هذا الملك نشطت الرسائل المعادية لليهود والمناصرة لهم في آن واحد. إذ يبدو أن تأييد اليهود لبطلميوس السادس في حياته، ثم لابنه وزوجته بعد مماته، أثار حفيظة رجال بطلميوس الثامن فصمموا على التصدي لهم وانهاء وجودهم. ومن ثم ظهرت حملات لاذعة ضد اليهود الذين قابلوها بالسلاح نفسه. ومهما كانت قيمة هذه الرسائل فإنها تشير إلى عداء الملك وأعوانه لليهود، واستمرار العداء بين الإغريق واليهود[3]. وقد ساعد على إذكاء جذوة هذا العداء ذلك النزاع الذي وقع في الحكم التالي بين كليوبترة وابنها بطلميوس التاسع "فيلومتورسوتر". وكان هذا الملك يميل إلى شد أزر أنطيوخوس التاسع ضد أخيه أنطيوخوس الثامن واليهود. في حين أن كليوبترة الثالثة كانت تود مناصرة الجانب الآخر، لكراهيتها لأنطيوخوس التاسع، فضلا عن رغبتها في مساعدة يهود فلسطين ليسهل عليها التدخل في شؤون سوريا

1- *Mahaffy*, ***The Empire of the Ptolmies***, *London*, 1895, *p* 353.
2- *Ibid*, *p* 357 - 358.
1- *Ibid*, *p* 390.

ولكي تضمن ولاء يهود مصر في النزاع الداخلي . ولذلك فإن كليوبترة الثالثة اقتفت أثر أبيها فيلومتور وأمها كليوبترة الثانية، واتبعت سياسة مشربة بروح العطف نحو اليهود[1] .

وليس في مصادرنا ما يشير إلى أن اليهود لقوا أي اضطهاد في عهد البطالمة الذين تبوءوا عرش مصر بعد بطلميوس الثامن لكن يبدو أن العداء بين الإغريق واليهود استمر متأججا حتى نهاية حكم أسرة البطالمة . غير أن هذا العداء الذي كانت دوافعه سياسيا قبل كل شيء ، لم يتجاوز السجال الكلامي إلا في العصر الروماني[2] .

ويمكننا أن نستخلص مما مر ذكره أن سياسة البطالمة إزاء اليهود بوجه عام، كانت تقوم على أساس التسامح الديني . وهو الذي قامت عليه سياستهم إزاء المصريين والإغريق . ولا أدل على ذلك من كثرة عدد يهود مصر في العصر الروماني، والذي بلغ نحو مليون فرد ، في وقت وصل فيه تعداد سكان مصر إلى سبعة ملايين ونصف مليون شخص[3] .

غير أن ما نلحظه في الدراسات الإنسانية حول تاريخ اليهود هو طغيان الأسطورة والخرافة والأكاذيب والذاتية في كتابة تاريخ اليهود لتحقيق أهداف منشودة، وأغراض مقصودة من قبل ساسة وفلاسفة هذا الشعب . وهذا ما لاحظناه في فترة البطالمة حيث كان اعتماد المؤرخين على كتابات المؤرخ يوسف، وهو الذي كان يرمي من وراء كتاباته إلى إثبات قدم وجود اليهود بمصر . دون أن يعير الحقائق التاريخية أية أهمية تذكر .

4. عناصر أخرى :

مما لا شك فيه أنه كانت توجد بمصر عناصر أخرى من أجناس مختلفة، تتمثل في خليط من الفرس والتراقيين والفروجيين والسوريين والفنيقيين والقاريين والبابليين والهنود والأعراب . على أن الفرس كانوا يشكلون عنصرا هاما من العناصر الأجنبية بعد الإغريق واليهود . فقد كان هناك عدد كبير من الفرس يعيشون في الإسكندرية، ويؤلفون طبقة خاصة بهم من سكان العاصمة، تتمتع ببعض الإمتازات . وكان كثير منهم أيضا يعيشون في منطقة طيبة، حيث كانوا يشكلون حامية لإخضاع الأهالي المتمردين والمعادين للبطالمة . كما وجدت جاليات للفرس في كل من طحنا بمديرية هرموبوليس (الأشمونيين)،

---

1 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج02، ص 165. 166 .

2 - نفسه، ص 166 .

3 - *Bevan.E, op cit, p* 311.

وفي منف والفيوم[1] . أما عن الأعمال التي مارسها الفرس في مصر البطلمية، فقد اشتغل البعض منهم بفلاحة الأرض في شكل أرباب إقطاعات، أو كمستأجرين . وتطلعنا كثير من الوثائق إلى أن عددا كبيرا منهم اشتغل في الجيش بالجندية، وفي فرق الفرسان التي كانت تتألف من الجنود المرتزقة . وأن بعضهم كان ينتمي إلى فرق الفرسان النظامية . وجدير بالذكر أن الكثير ممن كانوا يدعون فرسا في الوثائق، لم يكونوا كذلك بسبب أصلهم،- وإنما نتيجة لاكتسابهم هذه الصفة . وتوجد أدلة على تغيير الجنسيات في القرن الثاني قبل الميلاد، فيذكر مثلا أن رجلا يدعى تيوتيموس كان فارسيا في عام 115 ق .م، وموسيا في عام 103 ق .م . وربما يرجع تغيير الجنسية إلى سبب عسكري، وهو أن بعض الفرق ولا سيما فرق الفرسان، كانت فرقا قومية تميز كلا منها بجنسية معينة . مثل فرقة التساليين، وفرق الموسيين وفرقة الفرس[2] .

ومن المحتمل أنه كانت توجد جالية للفرس في عهد البطالمة، وباندماج أشخاص من جنسيات أخرى فيها كثر عدد الفرس، وهذا ما تحدثنا به الوثائق . وإن كان الرأي الشائع بين كثير من المؤرخين، أن ازدياد عدد الفرس يرجع إلى أن كثيرا من المدنيين كانوا ينتحلون صفة السلالة الفارسية لتأمين دائنيهم[3] . لكن ونحن نعلم أن البطالمة كانوا يفرضون عقوبات مشددة على الانتقال من جنسية إلى أخرى دون الحصول على إذن من الملك، لا يمكن أن نسلم أنه كان يمكن انتحال الجنسية الفارسية دون أن يكون لذلك سند قانوني، ودون أن يتم اكتسابها عن طريق الجماعات القومية الفارسية . ومهما تكن الآراء التي ذهب إليها المؤرخون المختلفون في تفسير كثرة عدد الفرس، فلا شك أن الفرس كانوا يتمتعون في مصر البطلمية بالحرية الدينية . وحسبنا دليل على ذلك ما تحدثنا به الوثائق عن وجود معبد للإله ميثراس بالفيوم في القرن الثالث قبل الميلاد[4] .

بالإضافة إلى العناصر التي سبق ذكرها، فقد وجد نصب في فيلادلفيا بالفيوم يرجع إلى عهد بطلميوس الرابع يحمل إهداء إلى الإله التراقي هيرون . كما وجد نقش لنفس الإله يرجع إلى عهد بطلميوس الثامن في نفس القرية، وهو يشير إلى وجود معبد للإله التراقي، أقامه التراقيون الذين وفدوا على مصر إبان العصر البطلمي، كما وجد معبد للآلهة أجديستيس آلهة القريجيين أقاموه فور حضورهم إلى مصر . وأن الفنيقيين كانوا يقيمون طقوس إلههم أدونيس، مما يبين إستقرار تلك العناصر

---

1 - عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 282 .

2 - نفسه، ص 283 . 284 .

3 - *Bevan.E, op cit, p* 310. -

4 - عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 286 .

بمصر وممارستهم لشعائرهم الدينية الخاصة بهم. وتحدثنا وثيقة من عام 222 ق.م بأنه عندما منح جندي يدعى ماخاتاس مسكنا في بيت رجل يدعى بوؤريس، إقتسم البيت مع صاحبه وأقام في النصف الذي يخصه هيكلا لآلهة السوريين "أفروديتي برنيقي". مما يبين إستقرار السوريين في مصر وممارستهم بحرية لعبادتهم[1].

كما قدم إلى مصر بعض الأعراب الرحل في الصحراء الشرقية، كانوا ينزحون في مجموعات صغيرة إلى وادي النيل. ومن ثم فقد وجدت قرى متناثرة في مصر، كان سكانها يتألفون من الأعراب الذين استبدلوا بحياتهم الصحراوية، حياة الاستقرار وممارسة النشاط الزراعي. ومثل ذلك قرية بويس في مديرية منف، وقد وجد في القرن الثالث قبل الميلاد بالفيوم أعراب يشتغلون برعي الماشية في ضيعة أبولونيوس وزير المالية. والملفت للإنتباه أن هؤلاء الأعراب يحملون أسماء إغريقية ومصرية[2].

5. محاولة التقريب بين الإغريق والمصريين (عبادة الثالوث المقدس):

لقد كان بطلميوس الأول على يقين من أن ثروة مصر مرهونة بمساهمة المصريين والإغريق سويا في العمل على تقدم البلاد في الميدان الإقتصادي. لذا فقد كرس جهوده لتحقيق التآلف بين هذين العنصرين. خصوصا أنه كان يدرك أن للمصريين ديانة موروثة تضرب جذورها في أعماق التاريخ. وأن للإغريق ديانتهم الراسخة في نفوسهم. لذلك فإنه وجه همه للتغلب على التنافر الديني الذي كان هيرودوت قد لاحظه من قبل. ولإزالة هذه العقبة الكؤود التي تعيق سبيل تحقيق الألفة بين الطرفين فكر بطلميوس الأول في بعث ديانة جديدة يشترك في التعبد إلى آلهتها المصريون والإغريق، على النحو الذي درج عليه كل فريق منهم[3]. ولما كانت العبادات الكبرى قد أهملت في مصر في عصور التدهور التي سادت منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واستبدلت الأرباب الكبرى بالآلهة الصغرى المحلية التي كان معظمها في شكل الحيوانات المقدسة، فإن بطلميوس الأول تزعم حركة إعادة بعث عبادة أوزيريس وإيزيس وحوروس في قالب جديد، وبصورة وملامح إغريقية تتناسب مع الوضع الجديد (أنظر الملحق رقم 13). وكان تركيزه على أوزيريس لعلمه بمكانته. فقد كان أوزيريس هو الرب المحبوب للمصريين، لأنه يرتبط بالفيضان

1 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 07.

2 - *Bevan.E, op cit, p* 311.

3 - *Feaser, P.M. Ptolmaic Alxandria.*(*Oxford.*1984), *p* 246

وبالزراعة . وهو زوج إيزيس المحبوبة التي ترمز إلى الأرض الطيبة . وهو والد حوروس الذي يحمي الملوك ويرعاهم[1] .

وبعد المشاورات التي أجراها بطلميوس مع عدد من علماء الدين المصريين والإغريق، والذين كان أبرزهم الكاهن المصري مانيتون والكاهن الإغريقي تيموثيوس، إستقر الرأي على أن يكون محور الديانة الجديدة متكونا من ثلاثة آلهة . قدمت للمصريين في ثوبها المصري، وللإغريق في ثوبها الإغريقي . وقد شمل هذا الثالوث كلا من : " سرابيس وإيزيس وحاربوقراتيس " حيث كان الإلهين الأخيرين مصريين . ومن ثم فقد أحس الإغريق بغرابة هذا الإله . وكان من الضروري أن يكون كبير آلهة الديانة الجديدة معروفا للجميع، وبالنظر إلى كافة الآلهة المصرية فإننا نجد مدى ما كان يتمتع به أوزيريس من إحترام لدى المصريين . فهو بالنسبة لهم حامي الموتى خلال رحلتهم في مجاهل العالم الآخر[2] .

وكان من الممكن إقناع الإغريق بأن إلههم ديونيسوس زاجوريس (الذي قتله التيتان ونفخ زيوس في صورته) لم يكن إلا صورة لأوزيريس، الذي كان يدعى أوسارحابي، ويدعوه الإغريق سارابيس . وظل الأصل الذي اشتقت منه هذه العبادة محل نقاش وخلاف كبيرين . وقد وردت في كتابات المؤلفين القدامى أن بطلميوس الأول هو الذي أحضر التمثال الذي كان رمز هذه العبادة من سينوبي، أو من مكان آخر بآسيا . وقد بذلت محاولة أخرى للتعرف على سرابيس على أنه هو ذات الإله البابلي شار-أبي . ولكن بعد أن عكف قلكن لبحث هذا الموضوع بحثا وافيا ، توخى فيه الدقة، يبدو أنه لم يعد هناك أدنى شك في أن ذلك الإله الجديد ، إن هو في الحقيقة إلا صورة من أوسورآبيس المصري، وقد اصطبغ بصبغة هليلينية[3] .

وهكذا نجد إلها مصريا تكتنفه هالة من الأسرار الغامضة التي اكتنفت الديانة المصرية منذ العصور القديمة حتى ذلك الوقت . نجده يصور في شكل آدمي لرب الأرباب عند الإغريق . فأية قبلة خير من هذه يمكن أن يتوجه إليها الإغريق والمصريون معا ؟ لكن إذا كان هذا هو هدف بطلميوس فعلا فقد فشل في تحقيقه . وذلك لأن استعداد الإغريق لقبول العبادات المصرية كان أمرا كافيا لجعل رابطة كهذه التي أرادها بطلميوس غير ضرورية[4] . فقد درج الإغريق منذ عهد هيرودوت على تشبيه الآلهة الإغريقية بالآلهة المصرية . وتمدنا المراجع القديمة بأمثلة متعددة لذلك . بعضها من القرن الثالث قبل الميلاد . مثل الإهداء

---

1 - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص 136 .

2 - عاصم أحمد حسين، المرجع السابق، ص 77 . 78 .

3 - هـ . آدريس بل، **الهليلينية في مصر**، ص 58 .

4 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 65 .

الذي قدمته حامية الضباط الإغريق في إقليم الشلال، وشبهت في هذا الإهداء عددا من الآلهة المصرية. وبعضها من القرن الثاني قبل الميلاد مثل الإهداء المقدم من طرف الحامية التي نزلت في كوم أمبو أواخر عهد بطلميوس السادس، وشبهت أبولو. بهارويرس. ونجد كذلك أمثلة لإغريق. حتى من ذوي المكانة. يتعبدون أو يقدمون القرابين لآلهة مصرية بمفردها. مثل: "هيربايثوس وبنفروس وسوخوس" أو مقرونة مع آلهة إغريقية دون تشبيه الآلهة المصرية بالآلهة الإغريقية، على نحو ما نجد في إهداء من أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، قدمته جماعة المحاربين الإغريق في بطوليميس للإله الإغريقي. بان. إله الجنود. وقرنته باثنين من الآلهة المصرية[1].

وقد تركزت عبادة سرابيس في منف والإسكندرية. ولم يجتذب الإله الجديد إلا قليلا من المصريين خارج هذين المركزين. ولم يكن وضعه بأفضل من ذلك بكثير. في نظر الغالبية العظمى من المستوطنين الإغريق. وعليه لم يعبد الإغريق والمصريون نفس الثالوث[2]. فقد عبد المصريون الآلهة الجديدة في شكلها المصري، وباعتبارها في عداد الآلهة التقليدية التي استمروا يتعبدون إليها. وعبد الإغريق آلهة الديانة الجديدة في ثوب إغريقي، وباعتبارها نظائر لآلهتهم. (أنظر الملحق رقم 14 ـ 15) ومع ذلك فإن آلهة الديانة الجديدة لم تصادف قبولا لدى الإغريق بوجه عام أول الأمر، لكن إزاء إيحاء الحكومة، وتعضيد الملك، واعتماد أكثر المهاجرين على عطف الملك ورضاه عنهم، لم يأت منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، حتى كان الإغريق قد أقبلوا بشدة على عبادة آلهة هذه الديانة. وكانت هذه الديانة قد تبوأت مكانة عندهم، إلى جانب إلهتهم أولمبيوس، التي استمروا على ولائهم لها[3].

وقد أصبح هذا الإله الجديد هو الإله الرسمي لإمبراطورية البطالمة. وأصبح مركز هذه العبادة الرسمي مدينة الإسكندرية. حيث أخذت تصطبغ بصفة رسمية بصبغة هليلينية، وتوضع لها التقليد والطقوس الهليلينية. حتى أنه بني في الإسكندرية حرم مقدس لهذا الإله في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة في الحي القديم منه، والمعروف باسم راقودة. وهو الحي الذي كان مأهولا بالسكان قبل تأسيس المدينة، واستمر كذلك في عهد البطالمة فكان أكثر الأحياء سكنا وأكثرها

1 - إبراهيم نصحي، **دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة**، ص 209.

2 - لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون، **التاريخ اليوناني الروماني**، ص 119.

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 209.

ازدحاما . وفي هذا الهيكل أمر بطلميوس الأول ببناء تمثال ضخم للإله سرابيس[1] .

ومن الواضح أنه كان لبطلميوس الأول أهداف أبعد من إبتداع الديانة الجديدة . فبصرف النظر عن هدفه المتمثل في جمع الإغريق والمصريين على عبادة وديانة واحدة ،تحقق له هدف استقرار البلاد ، لعله ابتدع هذا الإله وهو يستهدف أغراضا خارجية أكثر منها محلية . ولعله قصد أن يصبح سرابيس راعيا للإمبراطورية البطلمية،يضفي عليها مزيدا من المهابة بانضمامه كإله مصري، إلى مجموعة الآلهة الدولية في العالم الهلنستي . ولئن صح ذلك فقد وفق بطلميوس في تحقيق هذا الهدف[2] . ومما يؤكد صحة اعتقادنا هذا ، هو انتشار هذه العبادة خارج مصر بشكل ظاهر ، خاصة في العالم المتأغرق . ولم يكن هذا الانتشار سطحيا بحيث يصبح سرابيس إلها جديدا يضاف إلى قائمة آلهتهم في عصر درج على تعدد الآلهة، وإنما كان له جذور عميقة تشبث بها الوثنيون لاستبقائها ، حين بدأت المسيحية تغزوا آفاق الحوض الشرقي للمتوسط[3] .

وهناك جانب آخر لا يمكن أن نغفله، وقد اتخذه البطالمة وسيلة للتقريب بين العنصرين المصري والإغريقي، ويتمثل في التشريعات والقوانين . فالمعروف أنه كان لمصر قوانينها وعاداتها التي ترجع إلى عهود بعيدة . ولذا فإن البطالمة رأوا من الحكمة أن يتجنبوا قدر الإمكان المساس بما ألفه المصريون من العادات والقوانين . بل أخذوا على عاتقهم تدوينها ونشرها . وفي نفس الوقت سنوا من القوانين ما يتفق وأفكار الإغريق . وذلك من أجل تنظيم العلاقات بين هؤلاء النزلاء أجانب[4] . وقد كانت تطبق على المصريين قوانينهم التقليدية، وعلى الإغريق قوانين إغريقية . ولما كان الملك مصدر كافة السلطات والدساتير، فإنه أدخل بعض التعديلات على نصوص قوانين كل من المصريين والإغريق . ولذلك فإن ما نلمسه من التأثيرات الإغريقية في القانون المصري، والتأثيرات المصرية في القانون الإغريقي، يجب أن لا يعتبر صدى لظواهر حضارية نجمت عن تأثر المجتمعين بعضهما البعض، وإنما اعتبارها نتيجة لرغبة الملك في سد فجوات في التشريعات القائمة . أو نشر الهدوء والسكينة في البلاد ، بعدم تطبيق أحكام مختلفة على حالات متشابهة[5] .

---

1 - زكي علي، **الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان**، ص 10.

2 - شحاتة محمد اسماعيل، المرجع السابق، ص 66 .

3 - لطفي عبد الوهاب يحيى و آخرون، **التاريخ اليوناني الروماني**، ص 119.

4 - *Bevan.E, op cit, p* 157. -

5 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 211. 212 .

وخلاصة القول أن الأوضاع الاجتماعية في مصر البطلمية، تميزت بوجود طبقتين منفصلتين تمام الانفصال عن بعضهما البعض . طبقة عليا مكونة من الإغريق الذين يعتبرون أنفسهم سادة البلاد ، وأصحاب حضارة . لهم أحياء خاصة ومعاملات خاصة بهم أيضا . وطبقة دنيا تتمثل في المصريين الذين كانوا مضطهدين من قبل المتسلطين الأجانب . ويشعرون بأنهم ظلموا وسلبوا خيرات بلادهم . ورغم ذلك فقد احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم . لذا من غير المنطقي تصور حدوث اندماج اجتماعي كبير بين هاتين الطبقتين في ظل الظروف الآنف ذكرها . خصوصا إذا علمنا طبيعة حكم البطالمة والذين كانت تهيمن عليهم نزعة الحفاظ على ملكهم بأي طريقة كانت . مستلهمين أسلوب سيطرتهم على الرعايا والجاليات المقيمة تحت مظلتهم من حق الملوك الإلهي . وإذا كان بطلميوس الأول قد اتبع سياسة تستهدف جمع شمل الإغريق والمصريين طيلة فترة حكمه، فإن الحكام البطالمة من بعده وقد اعتبروا أنفسهم حماة الحضارة الإغريقية، لم يستهدفوا إطلاقا تحقيق تمازج بين المصريين والإغريق، خشية تلاشى العنصر الإغريقي، لأنهم كانوا أقلية بالنسبة للمصريين الذين يشكلون غالبية عظمى . وذلك لأن نظام حكمهم اعتمد أساسا على المساهمة الفعالة للعنصر الإغريقي، بدرجات متفاوتة خلال فترة حكمهم . ولم ينتهج البطالمة الأواخر سياسة مهادنة المصريين إلا مضطرين نتيجة ثورات أهالي البلاد الذين ضاقوا ذرعا بالوجود الأجنبي وسيطرته .

الفصل الرابع :

الحياة الثقافية في عهد البطالمة

1 . دار العلم والمكتبة.

2 . المكتبة ومصيرها .

3 . الآداب والعلوم.

على الرغم من أن البطالمة حرصوا كل الحرص على ملء خزائنهم وتوطيد دعائم ملكهم على حساب الأهالي المصريين، واهتمامهم بتعظيم سلطانهم، وفرض وجودهم على العالم الهلينستي، فإنهم لم يغفلوا جانبا هاما من حياتهم اليومية. وهو ما يتعلق بالحياة المعنوية والفكرية. وأظهروا اهتماما كبيرا بالعلم، مما جعل الإسكندرية عاصمة ملكهم تحتل مركز الصدارة وتتفوق على أثينا سيدة العالم القديم في الجانب الفكري والثقافي. غير أنهم حاولوا دائما صبغ أفكارهم ومشاريعهم بالصبغة الإغريقية، والتي على أساسها تمكنوا من تثبيت دعائم ملكهم. و ذلك ما نلحظه من خلال إنشاء دار العلم والمكتبة واللذين لم يبق منهما سوى ما كتبه بعض المؤرخين عن حال وطبيعة هاتين المؤسستين اللتين خدمتا العلم وخرجتا الكثير من العلماء.

1. دار العلم والمكتبة:

إن المكتبة ظاهرة حضارية عرفها الإنسان في كثير من البيئات، وفي كثير من مراحل تطوره المختلفة منذ أن عرف حياة التمدن، واكتشف أعظم الاكتشافات الحضارية، وهي الكتابة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد في مصر والعراق. وقد عرفنا التاريخ بأعظم المكتبات التي شهدها العالم القديم وخص بالذكر اثنين هما: مكتبة آشور بانيبال في نينوى بالعراق والتي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، ومكتبة الإسكندرية والتي ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وحديثنا في هذا الموضوع يتعلق بمكتبة الإسكندرية حيث أنه بعد قيام دولة البطالمة عام 305 ق.م، رأى بطلميوس سوتير مؤسس الدولة والذي كان مولعا بطلب العلم بل إنه كان كاتبا ومؤرخا أن يعرض قصره لضيافة كبار فلاسفة الإغريق. وكان أبرز هؤلاء وأعظمهم هو ديمتريوس ألفاليري. أحد الفلاسفة "المشائين الأرسطيين" ـ الذي لعب دورا بارزا في الحياة العامة في أثينا. إذ كان الحاكم الأتوقراطي للمدينة في أثناء حكم الإسكندر المقدوني إلى غاية عام 307 ق.م، حيث استولى ديمتريوس بن أنتيجونوس على أثينا. فهرب ألفاليري للإسكندرية و أصبح أمين سر بطلميوس الأول ومستشاره وموضع ثقته[1]. وقد عهد بطلميوس الأول إلى تلميذ أرسطو وأمره بأن يقيم معهدا على نسق المتحف الأثيني. ومؤسسة فلسفية تحتوي على مكتبة أرسطو. وقد كان بطلميوس على علم بسعة اطلاع صاحبه وعلى يقين من نجاحه في مهمته، وجعل الإسكندرية عاصمة الثقافة اليونانية في العالم الهلينستي[2].

---

1 - جون مارلو، **العصر الذهبي للإسكندرية**، تر: نسيم مجلي (القاهرة؛ المجلس الأعلى للثقافة؛ 2002)، ص 66.

2 - أ.م. فوستير، **الإسكندرية (تاريخ ودليل)**، تر: حسن بيومي (القاهرة؛ المجلس الأعلى للثقافة؛ 2000)، ص 61.

وتختلف المصادر القديمة فيما بينها حول مؤسس مكتبة الإسكندرية ودار العلم فيها . فمنها من يعتبر أن مؤسسها هو بطلميوس الأول . ومنها من يعتبره بطلميوس الثاني . غير أن صلة ديمتريوس ألفاليري بمنشئ هاتين المؤسستين تؤيد الرأي الأول . لأنه فقد مكانته في القصر البطلمي منذ أوائل عهد بطلميوس الثاني . ولذلك فالمرجح أن يكون بطلميوس الأول هو الذي خطا حوالي عام 290 ق . م الخطوة الأولى في سبيل إنشاء دار العلم والمكتبة[1] . وعلى أية حال فإن بطلميوس الأول و الثاني كانا حريصين على إنشاء معهد العلوم "الموسيون" بالإسكندرية ليكون نواة لجامعة متكاملة . تستهدف نشر الثقافة اليونانية في العالم الشرقي . وكلمة موسيون في اللغة اليونانية تعني دار آل الموساي . أي ربات المعرفة، وهن بنات الإله زيوس والآلهة منيوسوني . أي إلهة الذاكرة . وهن كذلك راعيات العلوم الإنسانية وعددهن تسعة وهن : كلايو ربة التاريخ، يوتربى ربة الشعر الغنائي ثالاريا ربة الكوميديا والشعر الفكاهي، ملبوميني ربة التراجيدي، تربسيخورى ربة الرقص والموسيقى، إيراتو ربة شعر الغزل بوليمينا ربة الأناشيد ، يورانيا ربة الفلك، كاليوبي ربة شعر الملاحم، وكان أبولولو إله الغناء زعيما لهن جميعا[2] .

وعلى الرغم من أن معلوماتنا على نظمها ومبانيها طفيفة، فقد أوضحت لنا كتابات المؤرخين أن المتحف أقيم على الجانب الشمالي الشرقي للمدينة . وأنه كان محاطا بحدائق غناء ، وبأقفاص لحيوانات نادرة جلبت من أنحاء بعيدة من إمبراطورية الإسكندر الأكبر[3] . وقد وردت أقدم إشارة أدبية عن الموسيون عند الشاعر هيروداس في القرن الثالث قبل الميلاد ، ضمن ما يذكر من سمات مدينة الإسكندرية فيقول:

مصر بيت الحب أي شيء يوجد

في العالم، هنا في مصر، الثروة

حلبات المصارعة القوة الهدوء

الشهرة، الفلاسفة، الذهب

الشباب، محراب الإلهين الأخوين

---

1 - *Barber, E.A.* ***Alexandrian Literature****. In The C.A.H ,Vol VII (1925) pp.*251 -

2 - جورج سارتون، **تاريخ العلم**، تر: لفيف من العلماء، (القاهرة؛دار المعارف؛1970)، ج04 ص 72 . 73 .

3 - سمير حنا صادق، **نشأة العلم في مكتبة الإسكندرية القديمة**، (القاهرة؛دار العين للنشر؛2002)، ص 38 .

الملك العظيم، الموسيون

والغريب في الأمر أن هيروداس قد أشار إلى الموسيون ولم يذكر المكتبة في هذا النص الشعري الفريد . وكذلك ورد عند المؤرخ بلوتارخ قوله : "بطلميوس أول من كون الموسيون" دون أي ذكر للمكتبة[1] .

وقد وصف لنا المؤرخ سترابون[2] معهد العلوم "الموسيون" ، ولم نجد له ذكرا للمكتبة أيضا في قوله : "كان الموسيون جزءا من القصور الملكية، وبه رواق مسقوف ذو أعمدة ومقاعد ، وبيت كبير به قاعة لاجتماع العلماء أعضاء الموسيون" . وهذا الوصف رغم قلة ما ورد فيه فإنه يعطينا بعض المعلومات منها أن الموسيون لم يكن معهدا ملكيا فحسب بل كان جزءا من القصور الملكية .

وقد كانت دار العلم في أيدي كاهن أعظم، صبغته إدارية أكثر منها علمية . ويبلغ أعضاء هذه الدار نحو مئة . يتلقون رواتبهم من الملك . لديهم أوقاف وموارد قائمة على التبرعات والهبات والمصاريف التي كان يدفعها الراغبون في تلقي العلم . ولما كان لهؤلاء العلماء مخصصات سنوية من قبل الملك، فقد كانوا يحرصون دائما على إرضائه وكسب ثقته فيهم . حيث كان له حق استبقائهم أو إقصائهم حسبما يشاء[3] . ولم تكن دار العلم أساسا مركزا للتعليم، وإنما كانت معهدا للبحث العلمي . فلم يكن العلماء والفقهاء والأدباء والفلاسفة الذين كان البطالمة يجزلون لهم العطاء ، مطالبين بإلقاء محاضرات . ولم تنظم دار العلم أي نوع من الدراسات . ولم تعرف تنظيم امتحانات ولا منح درجات لأعمال السنة شأن الجامعات الحالية . وإنما كان الجزاء الأوفى هو الإحساس بأن عملا جيدا تم على أحسن وجه . و العقاب الأقصى باستثناء الطرد . هو الإحساس بأن عملا رديئا انتهى على أسوأ ما يكون من الانتهاء[4] . وفي نفس السياق يقول المؤرخ ويل ديورانت: **" . . . وكان يعيش في المتحف أربع طوائف من العلماء :فلكيين، وكتاب ،وعلماء الطبيعة،وأطباء ،وكان هؤلاء كلهم من اليونان،وكانوا جميعا يتلقون مرتبات من الخزانة الملكية،ولم يكن مهمتهم أن يعلموا الطلاب،بل أن يتوفروا على البحوث والدراسات وإجراء التجارب،ولما تضاعف عدد الطلاب في المتحف في العقود التالية،قام أعضاؤه بإلقاء المحاضرات،ولكنه بقي إلى آخر أيامه معهدا للدراسات الراقية أكثر مما**

---

1 - محمد أحمد كشاف و سيد عجاج ، **فنون وآثار مصر في العصرين اليوناني والروماني**،(دون دار نشر أو سنة طبعة)، ص 223 . 224 .

2 - *Strabo*.XVII.1 -8.

3 - زكي علي، **الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان** ، ص 24 .

4 - *Feaser,P.M.op cit.p* 318.

كان جامعة للطلاب، ومبلغ علمنا أنه كان أول مؤسسة أقامتها الدولة للعمل على تقدم الآداب والعلوم، وكانت أهم ما أفاده تاريخ الحضارة من البطالمة والإسكندرية"[1] .

وقد كان هذا النوع من التعليم مثمرا . أوجد عددا من المدارس المتنافسة في كل فرع من فروع المعرفة . فنحن نقرأ في المصادر القديمة مدرسة أريستارخوس، ومدرسة أريستوفانيس في فقه اللغة، ومدرسة هيروفيلوس ومدرسة أراسيستراتوس في الطب . والمقصود بالمدارس هنا إتباع هذا الأستاذ أو ذاك، والذين كان كل واحد منهم نهج معين[2] . ولما كان الموسيون ملتقى للأساتذة والباحثين والعلماء ليعرضوا أفكارهم ويطبقوها من خلال التجارب، فإنه كان يحتوي على آلات فلكية والتي يمكن أن تشكل ما نسميه اليوم بالمرصد . وبه قاعة للتشريح معدة لتدريب طلاب الطب ودارسي وظائف الأعضاء . بالإضافة إلى ذلك فإنهم كانوا يستعينون بالمكتبة الضخمة الملحقة بالمعهد وبغيرها من المكتبات[3] .

وعلى الرغم من أن المعهد أنشئ في عهد أول ملوك البطالمة، إلا أن ازدهاره الحقيقي كان نتيجة لجهود ابنه وخليفته فيلادلفوس . وقد شاركهما في هذا العمل رجلان آخران، وبدونهما لم يكن بوسعهما القيام بشيء وهما : "ديمتريوس ألفاليري وستراتون اللامباسكي" اللذان كانا خليفتين للفيلسوف أرسطو وثيوقراستوس . ولذا نستطيع القول بأن معهد العلوم بالإسكندرية، كان استمرارا لليقيون الذي أنشأه أرسطو في أثينا[4] . أما عن ديمتريوس فقد تعرضنا له في بداية حديثنا عن الموسيون، وعرفنا أنه اضطهد في عهد فيلادلفوس، ونفاه إلى الصعيد ومات هناك عام 283 ق . م . وفيما يخص ستراتون فقد إستدعاه أيضا بطلميوس الأول إلى مصر حوالي 300 ق . م ليقوم بمهمة تعليم ابنه وولي عهده . حيث أقام بضعة أعوام في الإسكندرية، ثم عاد إلى أثينا ليتولى رئاسة الليقيون بعد وفاة ثيوقراسطس . وظل يشغل هذا المنصب ثمانية عشرة سنة وأبرز عمل قدمه هذان العالمان للموسيون هو إنشاء جناحين به هما : الآداب والعلوم . فكان ديمتريوس مشرفا على الآداب لأنه كان خطيبا وفقيها أكثر من صاحبه . بينما كان ستراتون يفوقه في علوم الطبيعة، ولذلك فقد اهتم بمعهد العلوم . وقد امتزجت

---

1 - ويل ديورانت، قصة الحضارة "حياة اليونان"، تر: محمد بدران، (ط 03: القاهرة؛ منشورات الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية؛ 1973) ج 03 م 02، ص 80 . 81 .

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج 03، ص 228 .

3 - مصطفى النشار ، **مدرسة الإسكندرية الفلسفية (بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية)**، (ط 01 : القاهرة؛ دار المعارف ؛ 1995)، ص 20 .

4 - جورج سارتون ، المرجع السابق، ج 04، ص 75 . 76 .

هذه الآداب وتلك العلوم بالفلسفة التي تعلمها الاثنان في المدرسة الأرسطية"الليقيون"[1] . وظل المعهد يقوم بالدور المنوط به طيلة العصر الهلينستي . أي فترة البطالمة، باستثناء الفترة القصيرة التي اضطهد فيها بطلميوس الثامن علماء الإسكندرية وأدباءها وفنانيها . لأن الكثيرين منهم كانوا يتعاطفون مع أخيه وأخته أثناء الصراع على العرش، فاعتبرهم أعداء وصب عليهم جام غضبه، فاضطرهم إلى الفرار من الإسكندرية . ولا شك في أن مستوى الحركة العلمية في الإسكندرية قد تأثر بفرار هؤلاء العلماء منها . والدليل على ذلك أننا لم نسمع في هذه الفترة و إلى غاية سقوط دولة البطالمة عن علماء بارزين عدا عدد قليل من الأطباء . وتدنى المستوى العلمي في هذه الفترة عما كان عليه في القرن الثالث قبل الميلاد . حيث بلغت منجزات رجال دار العلم في مجال العلوم بوجه، خاص أرفع مستوى عرفه العالم القديم[2] .

أما عن علاقة المكتبة بالموسيون فيقول الأستاذ سارتون[3] :"**إن معهد العلوم الموسيون كان مركز البحوث العلمية . وكانت المكتبة مركز الدراسات الإنسانية . غير أنها كانت أيضا قسما ضروريا من أقسام معهد العلوم . ولذا فمن غير المفيد أن نبحث فيما إذا كانت المكتبة أو لم تكن جزءا من الموسيون . لأنها كأي مكتبة في إحدى جامعاتنا الكبرى، تفيد كل قسم من أقسام الجامعة وتلبي في نفس الوقت حاجة الباحثين في خارجها . والشيء الأكيد أن الموسيون والمكتبة كليهما خضعا للأوامر الملكية**" .

لقد كانت مكتبة الإسكندرية أشهر المكتبات في العهد القديم، لكنها لم تكن الوحيدة على أية حال . كما أنها لم تكن أقدم المكتبات . فمن المؤكد أن مجموعات من أوراق البردي كانت موجودة في مصر . ووجد جزء قليل منها بعد أن قاوم كل عوامل التحلل والاندثار . ولا شك أن هذه المجموعات كانت تشكل مكتبة زاخرة بكل فروع المعرفة والثقافة . بدليل الحضارة الباهرة التي واكبتها . ولا بد أن تكون مكتبة الإسكندرية قد استفادت من المكتبة المصرية، خصوصا وأن الكثير من الكهنة والعلماء المصريين في عصر الإسكندرية الذهبي، كانوا يجيدون اللغتين المصرية و اليونانية[4] . غير أنه بالرغم من شهرة مكتبة الإسكندرية العالمية، فإن اسمها لم يصل إلينا . ولم يظهر في اللغات الأوربية كما ظهرت كلمة موسيون . حيث أن الاسم الفني للفظ

---

1 - مصطفى النشار، المرجع السابق، ص 20 . 21 .

2 - *Feaser,P.M.op cit.p* 318 - 319. .

3 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 207 .

4 - نبيل راغب ، **عصر الإسكندرية الذهبي** ،(القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ؛ 1993)، ص 55 .

مكتبة في اللغة اليونانية كان يعني أولا خزانة كتب . ويعني أيضا مجموعة من الكتب في المفهوم المكتبي . غير أن استخدام هذا اللفظ بمعنى مكتبة، جاء متأخرا ولم يكن أول الأمر شائعا . وكان المؤرخ بوليبيوس أول من استخدم كلمة مكتبة في هذا المعنى[1] .

وقد أطلق المؤرخون على المكتبة الملحقة بالموسيون اسم المكتبة الكبرى أو الأم، تمييزا لها عن المكتبة الابنة التي ألحقت بمعبد السيرابيوم بعد ذلك . وقد أنشئ هذا المعبد في عصر الملك بطلميوس الثالث للإله سيرابيس، وكان في الحي الشعبي من المدينة، حيث يقيم أكثر السكان من المصريين . وبلغت شهرة هذا المعبد العالم القديم بأسره لما تميز به من الضخامة والروعة . ويقال أنه كان أكبر المعابد القديمة على الإطلاق باستثناء معبد الكابتول في روما . واحتوى المعبد مكتبة كما كانت العادة قديما . ولكن مكتبة السيرابيوم لم تبق مكتبة عادية، بل سرعان ما نمت نموا كبيرا وأقبل الناس عليها . وامتدت إليها الحركة العلمية والثقافية من الموسيون . وأصبحت المحاضرات والدروس تلقى في أروقة المعبد والغرف الملحقة به[2] . ولذا فإن المكتبة الأم أعطت مكتبة السيرابيوم حوالي 42800 لفافة بردية على شكل هبة وإعارة . وربما كانت هذه العملية وسيلة لفسح مجال في المكتبة الكبرى، والتخلص من النسخ غير الكاملة أو المكررة في الوقت نفسه[3] . (أنظر الملحق رقم 06) .

ولقد أنفق ملوك البطالمة الثلاثة الأوائل مبالغ طائلة واستخدموا كثيرا من الموظفين لشراء المخطوطات الكلاسيكية حيثما وجدت في كل أنحاء العالم الهلينستي . ويقال أن ديمتريوس ألفاليري قد جمع في عهد بطلميوس الأول 200.000 من لفائف المخطوطات . منها 50.000 مخطوطة أصلية، والبقية صور منسوخة . ويقال أن فيلادلفوس وكبير أمناء المكتبة في عهده زينودوتوس، وهو باحث مشهور في تراث هومر قد اشتريا مكتبة أرسطو . وفي نهاية حكمه حسبما يذكر الشاعر كاليماخوس والذي ربما خلف زينودوتوس، فإن المكتبة كانت تحتوي على 90.000 لفة لمخطوطات أصلية، و 400.000 لفة من الصور المنسوخة[4] . ولقد اقتفى بطلميوس الثالث خطوات أبيه وجده في جمع الكتب . واستخدم في ذلك وسائل لا يمكن أن يقره عليها أحد . اليوم فقد أصدر أمرا يحتم على كل القادمين من خارج مصر أن يسلموا عند وصولهم إلى الإسكندرية كل ما معهم من كتب، لإيداعها في المكتبة إذا لم تكن من بين محتوياتها . حيث تنسخ عنها صورة تسلم لأصحابها بدلا من النسخ الأصلية .

---

1 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 258 .

2 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 157 .

3 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 260 .

4 - جون مارلو ، المرجع السابق، ص 67 .

وكان يشار إلى هذه الكتب بأنها من السفن،تميزا لها عن الكتب التي كان الملك يشتريها من أكبر سوقين للكتب وهما : سوق أثينا وروودوس[1] . وقد روي أن بطلميوس الثالث وأمين المكتبة في عهده إيراتوسطين، قد استعارا من أثينا النسخ الأصلية لمؤلفات إيسخلوس و سوفوقليس و يوريبيديس، من أجل نسخها . وقد قدم الملك ضمانا ماليا قدره خمسة عشر تالنت، لكنه آثر استبقاء النسخ الأصلية عن المبلغ المدفوع ورد نسخا جديدة بدلا منها[2] .

ولم تقتصر مكتبة الإسكندرية على الكتب اليونانية فحسب، بل ضمت أيضا كتبا تحوي آداب وأخبار الشعوب الأخرى . مثل الأدب المصري . فقد اهتم البطالمة بنقل تراث المصريين إلى اللغة اليونانية . ومن أمثلة ذلك تكليف الكاهن مانيتون بتأليف كتاب باللغة اليونانية عن تاريخ مصر الفرعونية . ورغم ضياع النسخة الأصلية لهذا الكتاب فقد وصلتنا أجزاء منه . وهناك تاريخ العراق القديم الذي ألفه باللغة اليونانية بيزوس كاهن الإله (بعل . مردوخ) من مدينة بابل، وكان ممن عاصروا الإسكندر . وعاش في أنطاكية في القرن الثالث، ثم في رودوس وأثينا ، حيث أقيم له تمثال هناك . ويقال أنه أسس مدرسة في جزيرة كوس في بحر إيجه[3] . زيادة على ذلك فقد كانت هناك مجموعة من الكتب الفنيقية التي لم يصلنا منها سوى أسمائها . ولابد من أن المكتبة ضمت كتبا للهنود البوذيين، وذلك بعد أن أرسل حاكم الهند في القرن الثالث قبل الميلاد إلى الملك بطلميوس الثالث يدعوه إلى اعتناق البوذية . ومن المرجح أن يكون قد أرسل إليه كتبا[4] . ناهيك عن كتاب التوراة الذي ترجم إلى اللغة اليونانية والمعروف بالترجمة السبعينية، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فيما مضى .

وكان يوجد بالمكتبة الكبرى قسم خاص باستقبال الكتب الجديدة، وفي هذا القسم كان يسجل على كل كتاب و مصدر الحصول عليه . وبعد ذلك تسلم إلى المكتبة ذاتها حيث تسجل في فهارسها[5] . وقد أنشئت هذه المكتبة لمهام متعددة فهي مكتبة، و دار نشر ذات طابع موسوعي (أنظر الملحق رقم 16) ، بحيث تشتمل على شتى العلوم والمعارف . فلو أحضر أي إنسان غريب وافد على مصر أي كتاب وجب عليه أن يقدمه لينسخ منه الناسخون نسخة تضاف إلى مجموعة الكتب الموجودة بالمكتبة . وبذلك أضحت المكتبة بمثابة العقل أو الكومبيوتر لأقسام المدرسة . فإذا احتاج الأطباء إلى مؤلفات أبقراط

---

1 - سعيد إسماعيل علي،المرجع السابق،ص311 .

2 - *Feaser,P.M.op cit.p* 325.

3 - مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي**، ص 161. 162 .

4 - هـ . آدريس بل، **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، تر : عبد اللطيف أحمد علي، ص 72 .**

5 - *Feaser,P.M.op cit. p* 327.

ومن جاء بعده، أو احتاج الفلكيون إلى سجلات الأرصاد والنظريات الفلكية الأولى، أو احتاج المعماريون إلى الرسومات الهندسية لمشروعات سابقة، أو الجغرافيون إلى خرائط، أو المؤرخون إلى وثائق ومستندات، أو غيرهم من العلماء والأدباء والفقهاء، فهي كلها تحت تصرفهم وفي متناولهم[1] .

والملاحظ أن أهمية المكتبة تبرز بصورة أهم في دائرة الدراسات الأدبية والإنسانية . لأنها لا تقوم في مجال الدراسات بتقديم المعلومات العامة فحسب، بل تحتوي على أمهات المؤلفات الإنسانية الكبرى . فباستطاعة المشتغل بالتشريح أن يجد في المكتبة كتبا ، لكنه لن يجد أجساما لتشريحها . وباستطاعة الفلكي أن يجد كتبا في الفلك، لكنه لن يجد النجوم ليرصدها . أما الأديب فبإمكانه أن يقرأ الإلياذة، أو الأوديسا ، أو أغاني أناكريون، أو أشعار سيمونيديس، فسوف يجد تلك الذخائر في المكتبة . وربما تعذر عليه العثور عليها في مكان آخر . و من ذلك يطلق سارتون على المكتبة مصطلح : " قلب الدراسات الإنسانية"[2] .

غير أنه من الصعب جدا الفصل بين المكتبة و المتحف، أو الأكاديمية، أو معهد العلوم، أو المدرسة . ذلك أن النشاط العلمي و الأدبي و الفلسفي كان متنقلا بين المكتبة والمدرسة، وكأنهما مؤسسة واحدة . فلم يكن نشاط المكتبة قاصرا على حفظ الكتب وإعارتها ، واستعادتها كما يحدث في مكتبات عالمنا المعاصر، بل كانت المكتبة بمثابة جامعة وضعت فيها أسس علوم عدة . منها تصنيف الكتب ووصفها ، ونقد النصوص والمتون، وتسجيل قوائم منظمة لفنون الأدب اليوناني الكلاسيكي، وابتداع أسلوب الضبط والترقيم، وعلامات الفصل بين الجمل . مما جعل الاستيعاب والفهم أكثر سرعة وسهولة وسلامة[3] . وقد تطلب الاضطلاع بهذه المهام وجود علماء متمكنين في فقه اللغة . وقد واجهت العلماء السكندريين صعوبة جمة متمثلة في عدد ضخم من لفائف البردي . حيث ينبغي عليهم أولا معرفتها ، ثم تصنيفها وفهرستها وتحقيق متونها . وكان هذا التحقيق مفتاحا لتذليل الصعوبات المكتبية الرئيسية . لأن غالبية المتون التي اشتملت عليها اللفائف لم تكن على نسق واحد . فكان يتوجب عليهم تنقيحها ، ثم تقديمها للنشر[4] . وكان للمكتبة تجارة مع الخارج إذ لم تقتصر مهمتها على حفظ الكتب

---

1 - مصطفى النشار، المرجع السابق، ص 22 .

2 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 261. 262 .

3 -نبيل راغب ، المرجع السابق، ص 56 .

4 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 261. 262 .

ليستخدمها الدارسون داخل المكتبة، بل كان من مهمتها أيضا بيع الكتب للراغبين في اقتنائها وكان تنظيم الكتب داخل المكتبة، ترتيبا و فهرسة عملا غاية في الدقة والإتقان. لذا فإن أمناء مكتبة الإسكندرية لم يكونوا مجرد موظفين، أو مفهرسين للكتب، كما هي الحال في المكتبات الحديثة. بل كان يقتضي أن يكونوا علماء متمكنين في اللغة. ومن هذا المنطلق لم يكن العلم في لفائف البردي فحسب، بل أيضا في عقول الأمناء القائمين على المكتبة[1].

والحديث عن تنظيم وترتيب وفهرسة كتب المكتبة، يسوقنا إلى معرفة العلماء القلائل الذين وردت أسماؤهم في الإشراف على إدارة مكتبة الإسكندرية أو المحققين العلميين المكلفين بتنظيم محتوياتها . ويمكن أن نورد أسماءهم بقليل من التفصيل حسبما ورد في كتابات القدماء كالتالي :

.زينودوتوس الأفسي :

كان المدير الأول للمكتبة. على وجه التأكيد . هو زينودوتوس الأفسي تمييزا له عن مؤسسها ديمتريوس ألفاليري. و بدأ عمله أمينا للمكتبة في أول أيام حكم بطلميوس الثاني، لكن وظيفته لم تحرمه من ممارسة أنشطته العلمية المتعددة رغم ضخامة الأعمال المكتبية. لأن الأمر كما سبق ذكره لم يقتصر على ترتيب اللفائف، بل كانت كل لفافة بحاجة إلى فحص يشمل كل عمليات التحقيق والإعداد والتصويب. فقد كان أول من راجع الإلياذة و الأوديسا ، وحقق الأبيات المنحولة من شعراء آخرين. ثم قام بوضع حواش وتحليلات، وتأليف معجم لأهم الكلمات الهومرية والأجنبية الدخيلة. ويحتمل أنه هو الذي قسم كل ملحمة من ملاحم هومر إلى أربعة وعشرين فصلا. كما أنه أنتج عدة نسخ منقحة من ملحمة هزيود، التي تحمل عنوان الكون. كما أنه صحح بعض قصائد بندار و أناكرون، وسنحت الفرصة لهذا العالم أن يقارن بين نصوص كثيرة من اللفائف الهومرية. وكان أهم عمل قام به هو التوفيق بين هذه النصوص[2]. وقد كان يساعد زينودوتوس في عمله هذا كل من ألكسندر البلوروني الشاعر التراجيدي والعالم النحوي الذي قام بتصنيف المسرحيات التراجيدية والهجائية. وكذا الشاعر ليكوجرون الخالكيسي الذي صنف لفائف الشعراء الكوميديين، وألف بحثا ضخما عن فن الكوميديا[3]. وكلاهما يونانيان.

---

1 - مصطفى النشار، المرجع السابق، ص 22.

2 - جورج سارتون، المرجع السابق،ج04، ص 270. 272.

3 - نبيل راغب، المرجع السابق، ص 63.

. كاليماخوس البرقاوي :

يحتمل أن كاليماخوس ولد حوالي سنة 310 ق.م. وكان هو و أراتوس زميلين في الدراسة بأثينا . عمل في وقت ما مدرسا للنحو في بلدة إليوسيس بالقرب من الإسكندرية، ثم اتصل بالملك بطلميوس الثاني فعينه أمينا للمكتبة حوالي سنة 260 ق.م. وشغل ذلك المنصب حتى وفاته عام 240 ق.م. وفي أيامه صارت المكتبة غنية بحيث يتعذر استخدامها دون الاستعانة بفهرس عام وشامل[1]. وقد قام كاليماخوس بتنظيم محكم لمحتويات المكتبة يتكون من حوالي مائة وعشرين لفافة. تضمن ترتيبا أبجديا يشير إلى كل مخطوط من مخطوطات المكتبة، مصحوبا ببعض الملاحظات التاريخية والنقدية. ويمكن أن نعتبر هذه الملاحظات القيمة وترتيبها حسب المخطوطات والمؤلفين، أول نواة لتاريخ نقدي للأدب اليوناني[2]. وبالرغم من أن هذا الكتاب لم يصل إلينا ، إلا أن بعض المعلومات الجزئية التي وردت عند الكتاب اللاحقين تشير إلى أنه وضع أسسا وقواعد لتنظيم الكتب على النحو التالي :

01. شعر الملاحم والشعر الغنائي بصفة عامة .

02. الشعر التمثيلي وينقسم إلى نوعين : "التراجيديا و الكوميديا" .

03. كتب القانون .

04. كتب الفلسفة .

05. كتب التاريخ .

06. أدب الخطابة .

07. كتب الطب .

08. كتب العلوم الطبيعية .

09. كتب العلوم الرياضية .

10. متفرقات .

---

1 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 272 .

2 - مصطفى النشار، المرجع السابق، ص 22 .

تحت هذه الأقسام أثبت كاليماخوس في كتابه اسم المؤلف ومكان ميلاده واسم والده وأساتذته أو المدارس التي تعلم فيها، ثم كنيته أو اسم شهرته، وبعد ذلك مختصر بسيرة عن حياته وقائمة بمؤلفاته، ثم ملاحظات حول صحة نسبة الكتب إلى مؤلفيها، وأخيرا كلمات عن بداية كل كتاب وعدد أسطر المخطوطة، بالإضافة إلى الترتيب الأبجدي. وبهذا يمكننا القول بغير مبالغة أن كاليماخوس هو مؤسس علم المكتبات[1].

ولم يكن كاليماخوس مجرد أمين للمكتبة، بل كان كذلك من رواد الأدب وفقه اللغة والتحقيق والمعاجم والتاريخ والفلسفة والشعر، شأنه في ذلك شأن كل الأمناء الأولين. فقد كان الواحد منهم عالما في أحد هذه العلوم أو بعضها أوكلها. ومثل أي أستاذ عالم كان لكاليماخوس تلاميذ تعلموا على يديه كيفية إدارة المكتبة وتنميتها. وفي نفس الوقت كانوا من أشهر الشعراء والعلماء والنقاد. وكان أبرزهم ثلاثة وهم على التوالي: "أبوللونيوس الرودسي، وإراتوستنيس البرقاوي، وأريستوفانيس البيزنطي"[2].

ولقد كان العمل الذي أضافه كاليماخوس هذا تكملة لجهود ديمتريوس ألفاليري وزينودوتوس الذين سبقاه في تسيير شؤون المكتبة.

.أبوللونيوس الرودسي:

كان أبوللونيوس الرودسي مصريا من مواليد الإسكندرية. وقد خلف أستاذه كاليماخوس في وظيفة أمين المكتبة. لكن يبدو أن العمل الإداري لم يكن لينا سبه، فترك أمانة المكتبة بعد خمس سنوات من العمل بها (240. 235 ق.م). وهجر الإسكندرية قاصدا رودس، التي استوطنها ولقب باسمها، وفيها برز نجمه أستاذا كبيرا في علم الخطابة. غير أن حنينه لمسقط رأسه لم ينقطع، فعاد إلى الإسكندرية ليعيش فيها بقية عمره (205 ـ 181 ق.م). لكن مكانته الحقيقية في التاريخ ترسخت بفضل شعره الملحمي الذي تمثل بصفة خاصة في ملحمته "الأرجونوت" رغم أنها اندثرت ولم تصل إلينا[3].

---

1 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 164. 165.

2 - نبيل راغب، المرجع السابق، ص 63.

3 - نفسه، ص 64.

.إراتوستنيس البرقاوي :

لقد كان جميع أمناء المكتبة السابقين من رجال الأدب، وكان إراتوستنيس أول أمين للمكتبة من رجال العلم. ويبدو أن المكتبة في تلك الفترة كانت في حاجة إلى من يشرف على تصنيف مقتنياتها العلمية وترتيبها وتحقيقها وتصويبها، وهي مهمة لا تتأتى إلا لعالم متمكن. خاصة وأن إراتوستنيس لم يكن رياضيا وفلكيا وجغرافيا فحسب، بل كان أيضا ضليعا في التاريخ وفقه اللغة، لدرجة أنه اعتبر أول عالم في فقه اللغة. وأطلق على نفسه لقب "فيلولوجوس" أي عالم اللغة أو عاشقها. غير أن ذلك ليس صحيحا. على حد قول سارتون. لأن كثيرين من الناس استحقوا هذا اللقب قبله، لا في بلاد اليونان فحسب بل في مصر الفرعونية، وبلاد ما بين النهرين، وحتى في الهند [1].

وكان إراتوستنيس أطول أمناء مكتبة الإسكندرية فترة. فقد شغل هذا المنصب منذ أن استدعاه بطلميوس الثالث من أثينا عام 235 ق .م واستمر فيه ثلاثة وأربعين سنة حتى وفاته عام 192 ق.م، وهو في الثمانين من عمره. وقد كان أول من صنف الكتب العلمية في المكتبة. وله مؤلفات علمية وأدبية سنأتي على ذكرها فيما بعد [2].

.أريستوفانيس البيزنطي :

كان أريستوفانيس نحويا ومؤلفا للمعاجم اللغوية. وكان من أبرز علماء و فقهاء اللغة في العالم القديم، إذ أدخل قواعد جديدة في علم نقد المتون، وأعد تحقيقات جديدة للملاحم، كما أنه قام بدراسة النظائر النحوية أو القياسات، وصنف معجما باللغة اليونانية. وأعظم ما أسهم به أريستوفانيس هو ابتكاره لعلامات الترقيم في الكتابة، والتي لم تكن معروفة من قبل. ويمكن أن ندرك قيمة هذا الابتكار إذا ما فكرنا في الصعوبة التي تواجه من يحاول قراءة كتاب بدون ترقيم، وبدون أحرف كبيرة في أوائل الجمل وأسماء الأعلام، وبدون فواصل بين الكلمات. والواقع أن هذه الاصطلاحات ظلت مهملة حتى أيام استخدام المطابع، ولم ينتشر استعمالها إلا منتصف القرن السادس عشر. ولم يقتصر أريستوفانيس على استنباط العلامات الترقيمية العادية المشابهة لما نستخدمه نحن من علامات الترقيم، بل إنه استنبط كذلك علامات متنوعة، ضرورية في نقد المتون والنصوص. ومنها العلامات التي تشير إلى سطر مدخول على المتن، أو لفظ مفقود، منه أو تغييرات عروضية، أو تكرار

1 - جورج سارتون، المرجع السابق،ج04، ص 275.

2 - نفسه، ج04، ص 275. 276.

للمعاني . واستخدم هذه العلامات فيما حققه من ملاحم ومن المؤلفات المنسوبة إليه تعليقا على فهارس كاليماخوس . كما أنه أعد نسخا منقحة لمؤلفات إيسخلوس، و سوفوقليس، و يوريبيديس، و أريستوفانيس الأثيني . وهكذا فإن مجموعة مؤلفات أريستوفانيس البيزنطي، بلغت من الضخامة درجة تفوق التصديق، على الرغم من أنه كان يفتقر إلى الأدوات العلمية المتوفرة لدى علماء فقه اللغة في العصر الحديث[1] .

.أريستارخوس الساموثراقي :

أما أريستارخوس الذي ورد اسمه في أخر القائمة الوحيدة التي وصلت إلينا عن أمناء مكتبة الإسكندرية، فإنه كان ناقدا أديبا ونحويا . وكتب عددا كبيرا من التحقيقات والشروح، وألف عدة دراسات في النقد بلغ عددها 800 لفافة بردية . وكان من النحاة الرواد الذين حددوا تسعة أنواع من المفردات النحوية . وهي : " الاسم و الفعل و المفعول و والضمير و أداة التعريف و الصفة و الظرف و حرف الجر و العطف" . ومع ذلك لم يكن النقد الذي قام به أريستارخوس نقدا فقهيا لغويا ، بل كان بحثا في علم دلالة الألفاظ أيضا . إلا أنه بسبب سوء الأوضاع في مصر زمن بطلميوس السادس والسابع والثامن تعرضت المكتبة للإهمال، واضطر أريستارخوس عام 154 ق .م إلى الرحيل عن الإسكندرية باتجاه جزيرة قبرص، حيث مات هناك عن عمر يناهز الثانية والسبعين سنة . غير أن مدرسته النحوية استمرت حتى بعد وفاته، وحمل لواءها تلاميذه من بعده[2] .

من خلال عرضنا لقائمة أمناء المكتبة المعروفين، يتبين لنا أن مدينة الإسكندرية زمن البطالمة كانت مدينة عالمية عملت سعت لاستقطاب العلماء والمفكرين من جميع أنحاء العالم . وتقلد رجال العلم مسؤولية المكتبة، بصرف النظر عن البلاد الآتين منها . غير أن الظاهرة الملفتة للانتباه، هي أن قائمة الأمناء الموجودة تتوقف عند النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد . ولا توجد أية إشارة في أي مصدر من المصادر إلى أمين للمكتبة بعد هذه الفترة . وهنا نطرح تساؤلات عدة : هل عرفت مكتبة الإسكندرية ركودا وجمودا خلال هذه الفترة، أم أن الصدف لم تأخذ بيد المؤرخين وباحثي الآثار إلى معرفة المزيد عن حركة سير المكتبة ؟ و هل أفل نجم الإسكندرية ولم يعد في مقدورها منافسة مكتبات العالم الهلينستي، كبرجامة و أثينا و غيرهما بسبب أوضاع مصر المتدهورة في هذه المرحلة أم أنه كان يشرف على المكتبة علماء مصريون فأهمل ذكر أسماءهم ؟

---

1 - نفسه، ج04 ، ص 276. 278 .

2 - نفسه، ج04 ، ص 278. 280 .

أم هل كانت الأوضاع التي عاشتها مصر البطلمية خاصة في عهدها الأخير، من صراع على العرش وضعف للملوك و اضطراب الحالة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، سببا في القضاء على العلم والعلماء أم ماذا هناك يا ترى ؟ .

لا شك أن العاصفة الهوجاء التي أثارها بطلميوس الثامن، قد أجبرت أبرز العلماء والأدباء على هجر الإسكندرية، فأثر ذلك على مكانة المكتبة .بوصفها مركزا للبحوث .أيما تأثير شأن دار العلم .غير أننا نشك في صحة الرأي القائل بأن المكتبة الكبرى لم تفلح في استعادة مكانتها مثلما أفلحت دار العلم .إذ ظلت المكتبة زاخرة بمحتوياتها رغم تدهور أحوال مصر أواخر العصر الهلينستي، وبقيت على هذا الثراء والعطاء حتى عام 48 ق .م أيام حصار يوليوس قيصر لمدينة الإسكندرية[1] .

2.مصير المكتبة :

أما عن مصير مكتبة الإسكندرية فأشير إلى تساؤلات طرحها الدكتور مصطفى العبادي تتمثل في الآتي : هل دمرت المكتبة أم أحرقت ؟ ومن الذي دمرها أو أحرقها ؟أم أنها لم تدمر ولم تحرق وإنما بليت كما تبلى الثياب من الاستعمال ؟ هذه الأسئلة وغيرها شغلت علماء الغرب قرابة قرنين من الزمن . والواقع أن مكتبة الإسكندرية لم تلق مصرعها دفعة واحدة، ولكن تتالت عليها الكوارث الواحدة تلو الأخرى، على مدى أربعة قرون أو أكثر[2] . فلقد كانت الكارثة الأولى التي تعرضت لها المكتبة هي حريق عام 48 ق .م بسبب يوليوس قيصر، عند اشتراكه في حرب الإسكندرية بين الأخوين المتنازعين على العرش . وهنا يعترف قيصر نفسه في حولياته التي سجل فيها تفاصيل تلك الحرب من وجهة نظره، خدمة لأهدافه وتبريرا لأخطائه فيقول : " . . . **وفي الوقت نفسه كانت تدور رحى معركة عند الميناء . . .وعلى ذلك دارت المعركة بكل العنف الذي لا بد له أن يوجد . . .أما قيصر فقد أحرز النصر .أحرق هذه السفن جميعا ، وسائر السفن التي كانت في الترسانة البحرية** . . . " ولقد وقع قيصر في تناقض عند روايته لبقية ملاحظاته حول حرب الإسكندرية، ولا سيما حول طريقة بناء أسقف المباني المجاورة للميناء . فتارة يذكر أنها كانت مبنية من الحجارة وتارة أخرى يقول أنها تشكلت من الألواح وأن السكندريين استخدموها في إعادة بناء السفن بعد الحريق[3] . ويقول سارتون بأن الروايات تتفق على أن قيصر أشعل النار

---

1 - *Feaser,P.M.op cit p* 334 - 335. -

2 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 168 .

3 - محمود إبراهيم السعدني، **تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان**، السلسلة(03) من قراءات في التاريخ القديم،(القاهرة؛ مكتبة الأنجلو المصرية؛ 2000)، ص 112 . 113 .

في الأسطول المصري، وامتدت النار إلى أرصفة الميناء . وأنها أحرقت جزءا من المكتبة . غير أنه يصعب تصديق هذا القول . ذلك لأن السيرابيون كان بعيدا عن الميناء . ومن المحتمل أن كمية الكتب التي إلتهمتها النيران قد حملت إلى الميناء لنقلها إلى روما وأن هذه الكمية هي التي امتد إليها الحريق[1] . غير أن سترابون الذي كان أول كاتب يزور الإسكندرية بعد حوالي ثلاث وعشرين سنة من الواقعة، لم يذكر هذا الحريق في كتابه الذي وصل إلينا . لأنه كتاب جغرافي، ولعله قد ذكر هذا الحادث في كتابه التاريخي الذي لم يصل إلينا . كما أنه لدى وصفه لمدينة الإسكندرية لم يذكر المكتبة بين معالم المدينة رغم أنه ذكر وصف الموسيون . ومما لا شك فيه أن وصف الموسيون كان يستدعي وصف المكتبة أيضا ومع ذلك فإن سترابون التزم صمتا تاما بشأنها[2] .

إلا أن هناك كتابا آخرين جاءوا بعد يوليوس قيصر، يذكرون حادثة الحريق . وأولهم هو سينكا الذي كتب حوالي منتصف القرن الأول الميلادي، والذي يرجح أنه أخذ عن المؤرخ ليفيوس . إذ لا يشك سينكا بأن 400.000 كتاب احترقت في الإسكندرية بسبب النار التي أضرمها قيصر في السفن . وكذا قول بلوتارخ . وهو من أكثر الكتاب القدماء إطلاعا ـ بصراحة : "**فلما أوشك أسطول (قيصر) أن يقع في أيدي أعدائه اضطر إلى أن يدرأ الخطر بالحريق و انتشرت النار من الترسانة البحرية، ودمرت المكتبة الكبرى**"[3] .

وبغض النظر عن هذا الرأي أو ذاك فإن عدد الكتب التي ألتهمتها النيران في هذا الحريق كان عددا كبيرا جدا . ولا يمكن قبول الرأي القائل بأنها كانت الكتب الموجودة في مخازن المكتبة . إذ يصعب أن نسلم بأن هذه المخازن كانت تضم 400.000 أو حتى 40.000 كتاب . ولم يبق إذا إلا الرأي القائل بأن الكتب التي أحرقت كانت مخزونة مؤقتا في الميناء قصد نقلها إلى روما . وهذا الرأي مردود أيضا . لأنه لا يمكن أن نتصور أن قيصر وهو في وضع حرج بسبب قلة رجاله، وتفوق عدوه عليه مما دفعه لإحراق الأسطول، كان يسمح لنفسه حتى بالتفكير في هذا العمل . وإزاء ذلك كله نميل إلى الاعتقاد بأن الحريق قد امتد إلى المكتبة الكبرى وقضى عليها[4] . وفي ذلك ما يفسر السبب الذي دفع مارك أنطونيوس إلى أن يقدم للملكة كليوباترة

---

1 - جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص 280 .

2 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 174 .

3 - نفسه، ص 171 .

4 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 233 .

عام 41 ق.م على سبيل التعويض، ما يقرب من 200.000 من المؤلفات التي كان قد أخذها من مكتبة برجامة. وسواء أكان أنطونيوس قدم هذه الهدية أم لم يقدمها ؟ فإن الشواهد تدل على أن المكتبة الكبرى أصبحت منذ ذلك الوقت أقل شأنا من المكتبة الصغرى (مكتبة السيرابيوم). ذلك أن كل الإشارات إلى مكتبة الإسكندرية في العصر الروماني، تتعلق بمكتبة السيرابيوم. مما يدل على أن هذه المكتبة حلت محل المكتبة الكبرى بوصفها المركز الرئيسي للكتب[1].

وقد ظلت الإسكندرية، وما فيها من معاهد ومكتبات متمتعة بازدهار وسلام نسبي طيلة القرنين الأول والثاني للميلاد. حتى إذا كان القرن الثالث بدأت فترة من الفتن والمحن و الاضطرابات. ففي مطلع القرن الثالث تعرضت الإسكندرية لغضب الإمبراطور كاراكلا بالإسكندرية، ولم يسلم الموسيون من ذلك. حيث أوقف الإعانة المالية عنهم، وألغى مكافآت ورواتب العلماء وجميع امتيازاتهم، وطرد العلماء الأجانب منها[2]. وفي أثناء حكم الإمبراطور أوريليان قامت ثورة كبيرة في الإسكندرية. فدمر هذا الأخير الجزء الأكبر من الحي الملكي بما في ذلك مبنى الأكاديمية أو المدرسة الشهيرة عام 273 .م. وأرغم كثيرا من العلماء على الهجرة. وبالتالي لم يبق للمكتبة الكبرى وجود. وانتقل النشاط العلمي إلى مكتبة السيرابيوم التي أصبحت قبلة لرجال العلم والفكر[3]. غير أن ألد أعداء المكتبة لم يكونوا من الرومان الوثنيين، بل من المسيحيين. وازداد تدهور الكتبة بازدياد نفوذ الأساقفة المسيحيين على مدينة الإسكندرية. ومن المعروف أن أوائل المسيحيين وتلاميذهم كرهوا المكتبة أشد الكره، لأنها كانت في نظرهم معقل الكفر والخلاعة. ولهذا كانت موضع هجومهم الشديد عليها وعلى رجال الموسيون. ولا أدل على ذلك مما شهدته المكتبة أيام حكم الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الكبير، حيث أمر البطريق تيوفيلوس بالقضاء نهائيا على المكتبة، والتي كانت موجودة بالسيرابيوم وقتئذ. وأصبحت المكتبة أثرا بعد خبر كان سنة 416 .م تقريبا حسبما يروي ذلك المؤرخ أورسيوس[4].

وكثيرا ما راجت أخبار تزعم بأن المسلمين الفاتحين دمروا المكتبة إبان فتح الإسكندرية(460 ـ 654 .م). وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سأل عما إذا كانت نصوص هذه الكتب موجودة في القرآن الكريم أم لا ؟ وأنه إذا كانت موجودة

---

1 - *Feaser,P.M.op cit.p* 335.

2 - مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 181.

3 - نبيل راغب ، المرجع السابق، ص 67.

4 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 281. 282.

في القرآن الكريم فلا حاجة لنا بها . وإذا لم تكن موجودة فهي مؤلفات ضارة فاسدة . غير أن هذه القصة لا أساس لها من الصحة . لأنه لم تكن توجد مؤلفات قليلة أو كثيرة أصلا يتهم بتدميرها . ثم إن هذه المؤلفات الوثنية كانت أشد خطرا على المسيحيين لأنه كان باستطاعتهم قراءتها . في حين كان يتعذر على المسلمين قراءتها على الإطلاق[1] .

3. الآداب والعلوم :

تعرف الآثار الإغريقية التي ظهرت في القرون الثلاثة الأخيرة قبل ميلاد المسيح بأدب العصر الهيلينستي . إذ أن هذا العصر هو فترة حكم خلفاء الإسكندر وأسرهم، حتى تسقط هذه الأسر تباعا على يد الرومان . وكان آخر هذه الأسر هم البطالمة في مصر . وهذا التحديد تاريخي فقط، إذ أن تحديد العصر من الوجهة الحضارية أمر لا يمكن تحقيقه أو حسابه بدقة، كما هو الحال مع الحدث التاريخي . وقد ظهرت بذور الحضارة الهلينستية قبل بروز الإسكندرية، واستمرت هذه الحضارة حتى بعد استيلاء الرومان على الممالك الهلينستية، بل إنها غزت روما نفسها[2] . وسنتطرق في عرضنا هذا إلى مخلفات البطالمة وحضارتهم التي صبغت العالم بصبغة هلينستية، وأثرت بقوة من خلال علمائها ومفكريها ،حيث أضحت مصر قبلة العلماء و الفقهاء والأدباء . وكانت الإسكندرية مركز هذه الحضارة التي كتب لها البقاء لأكثر من أربعة قرون، أي حتى بعد رحيل سلطان البطالمة .

1.3. اللغة والأدب :

لقد شهد الأدب اليوناني ازدهارا كبيرا، وأصبح يطلق عليه في هذا العصر اسم الأدب السكندري . ذلك أن القيادة الفكرية انتقلت من أثينا إلى الإسكندرية، حيث ترعرع نوع جديد من الأدب، وتأسست مدارس جديدة شجعت على روح الكشف والتجديد في مجال الدراسات اللغوية والنقدية والأكاديمية بصفة عامة . وكانت مكتبة الإسكندرية تحتوي على كل الأعمال الأدبية الكلاسيكية التي يحتاجها طلاب اللغة والأدب والنقد[3] . وقد قسم العلماء مدرسة الإسكندرية اللغوية والأدبية والنقدية إلى ثلاث مراحل وهي:

---

1 - نفسه، ج04 ، ص 282 .

2 - حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 191 .

3 - نبيل راغب ، المرجع السابق، ص 271 .

.المرحلة الأولى (من 323 إلى 222 ق.م): وفيها استطاع الشعراء إنتاج أعمال أثرت في الكتاب الرومان إلى حد كبير. وكانوا أول من وضع تقاليد تحليل النص سواء في مجال النقد الأدبي أو اللغوي.

.المرحلة الثانية (من 222 إلى 143 ق.م): وفيها انفصلت الدراسات الأكاديمية عن الإبداع الأدبي وأصبحت أكثر تخصصا، مما منحها قوة التأثير على كبار الأدباء والشعراء.

.المرحلة الثالثة (من 143 ق.م إلى بدايات القرن الأول الميلادي): ونظرا لاضطراب الأحوال السياسية وطغيان الحكام، هجر النقاد والمفكرون الإسكندرية إلى عواصم أخرى. مثل: برجامة وأثينا ورودس. وبذلك انتشرت الاتجاهات الأدبية والنظريات النقدية السكندرية في العالم الهلينستي، وذلك ما أسماه النقاد بالمذاهب السكندرية في النقد والأدب[1].

ويعتبر عصر الإسكندرية فترة خصيبة للأبحاث اللغوية التي أدت إلى إرساء قواعد النحو الإغريقي على أسس ثابتة. أما أثر شعراء الإسكندرية على شعراء العصر الذهبي لروما فلاينكره. أحد فلولا شعراء الأيلجية السكندرية أمثال كاليماخوس ويوفوريون ما وصل الشعر الروماني إلى ما وصل إليه[2]. وفي الوقت الذي عمل فيه أمناء مكتبة الإسكندرية. والذين كان أغلبهم علماء فقه اللغة. على دراسة اللغة اليونانية وشرح نسخ من تراث العصر الذهبي اليوناني، كان بجانبهم آخرون يزيدون الآداب اليونانية ثراءا بمؤلفاتهم الخاصة. وينبغي التسليم بأن مواهب هؤلاء وأولئك. فيما عدا استثناءات قليلة ـ كانت أقل قيمة من الذخائر الأدبية القديمة بكثير[3]. ففي مجال الشعر لم يقتصر نشاط الإسكندرية على القيام بدراسة الشعر القديم، بل شمل كذلك إحياء فنون الشعر التي أهملها شعراء العصر الكلاسيكي. وبلغوا بشعرهم مستوى رفيعا كان يتعذر بلوغه على من أتوا بعدهم. ولذلك فإن أعظم شعراء العصر الهيلينستي صرفوا جهودهم في إحياء الشعر غير المسرحي، كما أحيوا فنون الشعر القديمة بروح جديدة[4].

وفيما يخص الشخصيات التي ظهرت في هذه الفترة في مجال الشعر، نجد كلا من إسكيليبياديس من ساموس، كاتب الأبيجرامات. وفيليتاس من جزيرة كوس، الشاعر الإليجي. والإسكندر الكاتب التراجيدي، والإليجي من إيتوليا،

---

1 - نفسه، ص 271.

2 - حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 192.

3 - جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص 323.

4 - *Barber, E.A.op cit p.238*-

وهرمسيانا كس من كولوفونيس، تلميذ فيليتاس وفانوكليس وسيمياس من رودس. ويلي هذه الكوكبة من الشعراء كل من ليكروفون من خالكيس، وكاليماخوس من قورينا. وثيوكريتوس أعظم شعراء الرعاة وعاشق الريف. و أبوللونيوس الرودسي صاحب ملحمة الأرجوناتيكا الشهيرة، في حوالي ستة آلاف بيت. وللإشارة فإن شعر المسرح وشعر الريف كانا من بين فنون الشعر التي يمارسها شعراء الإسكندرية. بيد أن أقرب فنون الشعر إلى هؤلاء الشعراء كانت الأبرجامات والشعر الحماسي والأناشيد الدينية[1]. وقد تمثلت الاتجاهات السكندرية في الشعر في ثلاثة أبعاد. فالأول يهتم بالمضمون الفكري، والاجتماعي، والإنساني، المناسب للشعر. والثاني يركز على الصيغة المناسبة أو الشكل المعبر عن هذا المضمون، ومدى تمكن الشاعر من اختيار العناصر، أو الملامح، أو الأجناس المتفاعلة داخل هذا الشكل. والبعد الثالث يتمثل في التجارب الشخصية التي مر بها الشاعر نفسه ومدى قدرته على دمجها في شعره[2].

أما عن اللغة والبلاغة والنحو والأدب، فإنه مع بداية العصر الهيلينستي بدأت روح الفردية في الظهور، بعد أن كانت روح الجماعة هي المظهر السائد قبل ذلك. وبدأت تظهر فكرة التخصص في الأدب، والتي ميزت فترة العصر الهيلينستي. وترتب على ذلك تحول الأدب إلى مهنة وحرفة، بعد أن كان مجرد تعبير تلقائي سببها المجتمع. غير أن هذا التحول ساهم إلى حد كبير في تقليص القاعدة العريضة التي كانت تتذوق الأدب. لأنها جعلته قاصرا على مخاطبة الصفوة الخاصة. وأن اللهجة العامية في اللغة اليونانية بدأت في الانتشار، على حين رفض الكتاب استخدامها. مما أحدث فجوة بين ما هو مكتوب، وبين اللغة الشائعة الاستعمال في الحياة اليومية[3]. حتى أنه ظهر بالإسكندرية أول كتاب يوناني عن النحو على يد ديونيسوس ثراكس. وهو كتاب لا يزال تأثيره على النحاة وفقهاء اللغة ودارسي الأسلوب، الذين يحللون العلاقة العضوية بين اللغة والأدب حتى يومنا هذا. فهو يحتم على الأديب أن يكون ضليعا في اللغة. كما يفرض على عالم اللغة أن يكون متذوقا للأدب على الأقل[4]. ولكن ألوان الأدب التي تميزت بها الإسكندرية لا يمكن أن تقارن بما أخرجه اليونان من الأدب في العصور الكلاسيكية الزاهرة. ومع ذلك كانت آداب الإسكندرية ذات طابع خاص، له قيمته. ومن المسلم به أن طابع الأدب السكندري، كان يوصف بالتكلف والتصنع

---

1 - محمد حمدي ابراهيم، **الأدب السكندري**، (القاهرة؛ بدون تاريخ)، ص 46، 66.

2 - نبيل راغب، المرجع السابق، ص 272.

3 - محمد حمدي ابراهيم، المرجع السابق، ص 265. 268.

4 - *Barber, E.A.op cit pp.*253 - 254

فقد أظهر كتاب مدرسة الإسكندرية من العلم والمعرفة ما لم يستطع قراؤهم استساغته[1].

ولعل أهم دور قامت به مدرسة الإسكندرية في تاريخ اللغة والأدب والنقد، أنه كانت أول من خرج عن التقاليد الكلاسيكية التي وردت من اليونان. فلم تعتبر القوالب والأشكال الكلاسيكية مقدسات لا يمكن المساس بها أو تغييرها، ولم تنظر إلى العمل الشعري أو الأدبي على أنه مجرد أداة لتوصيل مضمون فكري أو اجتماعي معين، بل ركزت على الشكل الفني، وشجعت على تطويره، حتى يتناسب مع المتغيرات الجديدة في الفكر والذوق. وكانت بذلك سببا في معارك التطور في تاريخ الأدب العالمي التي ظلت حتى عصرنا هذا، وستظل كذلك، بحكم حتمية تجديد الفكر والفن دوما[2]. أما عن العصر الذهبي للأدب السكندري، فكان في الفترة التي حكم فيها كل من بطلميوس الثاني والثالث(285 ـ 221 ق.م). وقد ظهرت خلالها شخصيات كبرى من كتاب النثر، كان أبرزهم أريستوكسينوس الذي كتب في الموسيقى وحياة الفلاسفة، من فيثاغورث حتى أفلاطون. غير أنه مع بداية حكم بطلميوس الرابع بدأت بوادر الضعف تدب في دولة البطالمة، وظهرت روما كقوة جديدة في حوض المتوسط، وبدأت فترة الاضمحلال التدريجي في الأدب السكندري. ورغم ذلك فهنالك أسماء لامعة في النحو والأدب، كان أبرزهم أريستوفانيس البيزنطي، وأريستارخوس الساموثراخي[3]. واللذين سبقت الإشارة إليهما في حديثنا عن أمناء المكتبة.

2.3.التاريخ والجغرافيا:

إننا إذا أردنا الحديث عن المؤرخين وكتاباتهم، فإننا لا نجد وصفا أدق من وصف ديودور الصقلي[4]. في التعبير عن عرفان البشرية بجميلهم وفضلهم عليها. فيقول في كتابه "المكتبة التاريخية"، الذي كتبه بمدينة روما عام 30 ق.م ما يلي: "**من واجب الناس جميعا أن يدينوا بالشكر العظيم لأولئك المؤرخين الذين وضعوا للبشرية تاريخا عاما. لأنهم بمجهوداتهم الفردية قدموا خدمة كبيرة للجنس البشري برمته**. . . " وإذا أردنا الحديث عن التاريخ وكتبته أيام حكم البطالمة، فإن الحديث يسوقنا إلى معرفة الدور الذي لعبته مدرسة الإسكندرية في ذلك. فبالرغم مما قيل بأن مدرسة الإسكندرية لم تترك

1 - زكي علي، المرجع السابق، ص 31.

2 - نبيل راغب، المرجع السابق، ص 274.

3 - محمد حمدي ابراهيم، المرجع السابق، ص 102، 236.

4 - نبيل راغب، المرجع السابق، ص 232.

في الكتابات التاريخية أثرا يعادل ما تركته في الشعر أوالعلوم الطبيعية مثلا، إلا أننا نجد كوكبة من المؤرخين لا يستهان بها، على ضوء المآثر التي خلدوها من خلال كتاباتهم. وقد كان لبطلميوس الأول السبق في ذلك. فقد حاول الكتابة التاريخية بكتابه عن سيرة الإسكندر وفتوحاته، إلا أن هذا الكتاب لا يحسب على الكتابات التاريخية للمدينة. حين أن ارتباطه الوحيد بها كونه صادر عن أول ملوك البطالمة. وفي وقت لم تكن المعالم الفكرية لمدرسة الإسكندرية قد تبلورت. وإذا كان الإسكندر الأكبر من أكثر الشخصيات جاذبية للمؤرخين في العالم الهيلينستي، فإن مصر بتاريخها وحضارتها لم تكن أقل جاذبية لهم منه. وسنعرض فيما يلي لثلاثة من المؤرخين عاصروا أسرة البطالمة في الإسكندرية، وكانوا من أبرز مؤرخيها. وهم هيكاتايوس الأبديري و مانيتون المصري و إيراتوسثنيس البرقي[1].

أما فيما يخص هيكاتايوس، فيبدو أنه كان معاصرا لبطلميوس سوتير، طبقا لرواية المؤرخ اليهودي جوزيفيوس. وقد وردت بعض مقتطفات من كتاب له عن التاريخ المصري القديم، في الكتاب الأول من مؤلف ديودور الصقلي عن "التاريخ". ويبدو من عرض ديودور أن هيكاتايوس كان على معرفة واضحة بمصر. ويؤكد هذا أن كتابه انقسم إلى أربعة أقسام: أولها اللاهوت المصري، وثانيها عن جغرافية مصر، وثالثها عن ملوك مصر، من المصريين أما الرابع فقد اهتم فيه بالعادات والتقاليد المصرية. ويبدو أنه قد اتبع منهاج من سبقوه من المؤرخين والفلاسفة الذين زاروا مصر. مثل: هيرودوت وأفلاطون، فقد أكد على أصالة الحضارة المصرية، وتفوقها وتأثيرها الواضح على الحضارة الإغريقية[2]. غير أنه يؤخذ عليه عدم الالتزام بالترتيب الزمني والخلط بين ملوك الأسرات المختلفة. رغم قوله بأن بحثه جاء نتيجة للمعلومات التي استقاها من السجلات المصرية. مما يبرز إمكانية إلمام هيكاتايوس باللغة المصرية القديمة[3].

أما مانيتون السمنودي، فقد كان كاهنا مصريا من شمال الدلتا وبالضبط من سمنود. لذا سمي بالسمنودي، وربما تولى منصب الكاهن الأكبر لمعبد آمون في هليوبوليس. وبالتالي كانت السجلات المصرية القديمة متاحة له، وتميز مانيتون في تعامله مع هذه السجلات بمعرفته باللغة المصرية بحكم كونه مصريا. وبالتالي اختلف عن سابقيه من المؤرخين الذين ادعوا الإطلاع على هذه السجلات، كهيرودوت و هيكاتايوس. وربما لم يستفيدوا منها بالقدر الكافي، بسبب عدم إتقانهم للغة المصرية

---

1 - حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 202.

2 - *Feaser,P.M. p.op cit.*p 496 - 505.

3 - حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 203.

القديمة . ويعد مانيتون من أقدم من عرفنا من المصريين الذين كتبوا باللغة اليونانية . فقد عاصر أواخر حكم بطلميوس الأول، وبرز ككاتب في التاريخ في عهد بطلميوس الثاني[1] . وكان الكتاب الرئيسي لمانيتون هو كتاب "حوليات مصرية" الذي ضاع ولم نعرف عنه شيئا ، إلا مقتطفات منه وردت في نبذات يونانية، توضح أنه تاريخ لمصر حتى عام 332 ق .م، وكان بمثابة المرجع الأم لعلماء التاريخ المصري القديم . وهو أول من وضع التقسيم المألوف فيما يتعلق بالأسرات المصرية إلى : الدولة القديمة من الأسرة الأولى إلى السادسة(3200 - 2270 ق.م).والدولة الوسطى من الأسرة الحادية عشر إلى الثالثة عشر(2100 ـ 1700 ق .م) . والدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشر إلى الرابعة والعشرين (1555 ـ 712 ق .م) . والعصر المتأخر من الأسرة الخامسة والعشرين إلى الثلاثين (712 ـ 332 ق .م) . وقد أسقط مانيتون الأسرات من السابعة إلى العاشرة (2270 ـ 2100 ق .م) من تقسيمه على أساس أنها مرحلة انتقالية بين الدولة القديمة والدولة الوسطى . كما أسقط الأسرات من الرابعة عشر إلى السابعة عشر(1700 . 1555 ق .م) على أساس أنها تشكل عصرا آخر هو عصر الهيكسوس[2] .

ويمكننا أن نستمد معلوماتنا الأساسية عن كتاب مانيتون، من كتاب للمؤرخ اليهودي جوسيفيوس يسمى "ضد أبيون" . حيث إقتبس فصلين كاملين من كتاب مانيتون، والذي ربما حمل اسم "إيجوبتياكا" ، ووقع في ثلاثة أجزاء . ورغم أن جوسيفيوس قد إستعان بمقتطفات من كتاب مانيتون، لتدعم آرائه هو حول قدم الشعب اليهودي، وتواجدهم بمصر منذ قدم الأزل، إلا أنه أفادنا في التعرف على أسلوب وطريقة مانيتون في التعامل مع التاريخ . ومن خلال جوسيفيوس نستطيع قراءة فقرة طويلة لمانيتون عن الهيكسوس وملوكهم، وغزوهم لمصر في فترة حكم الأسرة الخامسة عشر من الدولة الوسطى . وبغض النظر عن قيمة هذه المعلومات من الناحية التاريخية، فهي تعتبر أقدم رواية وصلتنا عن الهيكسوس وغزوهم لمصر . ومن هنا تأتينا قيمتها خاصة وأنه يتبع هذه الرواية بقائمة لملوك مصر[3] .

ورغم العيوب الملاحظة في كتابات مانيتون من خلال تحديده للتواريخ، إلا أن كتاباته كانت في غاية الأهمية، لاعتماده على وثائق أصلية كانت في متناول يده . مثل سجلات المعابد ، وفهارس أسماء الملوك في أبيدوس والكرنك و سيقارة . خاصة

---

1 - نفسه، ص 203 .

2 - نبيل راغب ، المرجع السابق، ص 237 . 238 .

3 - *Barber, E.A.op cit p.260*

وأن كتاباته تغطي معظم التاريخ المصري والديانة المصرية. كما كان له شرف الريادة المبكرة في اكتشاف أسرار العالم القديم[1].

ويحتل إراتوستنيس أيضا مكانا مرموقا في مجال التاريخ، وقد كانت سعة إطلاع هذا العالم مضرب الأمثال. إذ أنه كتب في الشعر والفلسفة وقواعد اللغة والرياضيات والتأريخ والجغرافيا. لكن مؤلفاته في العلمين الأخيرين فاقت سائر ما كتبه، ويعتبر أعظم مثل للنثر الهيلينستي. وأهم ما وضعه في التاريخ كتاب ضخم يدعى "علم التأريخ "*chronographiai*". وكان يقع في تسعة أجزاء على الأقل، لكنه لم يصل إلينا منها إلا شذرات. ويبدو أن مؤلفه هذا كان يتناول تاريخ الإغريق منذ استلائهم على طروادة، وحتى وفاة الإسكندر المقدوني. وحرص فيه على الابتعاد قدر الإمكان عن الأساطير، حتى تأتي كتاباته موضوعية ودقيقة، حسبما وصف لنا قلمنس السكندري، الذي علق على كتابه هذا حوالي 200 ميلادية. وإذا كان أراتوستنيس قد ضمن كتابه قدرا غير قليل من المعلومات الأدبية والحضارية، فإنه لم يتبع طريقة الاسترسال في سرد الأحداث التاريخية، وإنما أعطى كتابه طابع الجداول، متوخيا الوضوح والدقة. فكان بذلك أول من وضع نظاما معقولا لتأريخ أحداث الإغريق، ليس للأساطير مكان فيه[2].

كما أن مدرسة الإسكندرية قطعت شوطا كبيرا لا يستهان به في علم الجغرافيا. ولم تعرف الإسكندرية بحوثا جغرافية بالمعنى الدقيق للكلمة قبل النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد. غير أنه ظهر خلال هذا القرن نوعان من التأليف، يتسمان بطابع جغرافي. الأول هو ما كتبه المستكشفون. والثاني يتمثل في المؤلفات التي عنيت أساسا بالعجائب ونشأة المدن والجزر الإغريقية والأساطير المتصلة بذلك. وقد أعطى النوع الأول قيمة لعلم الجغرافيا، بما أضافه من معلومات عن العالم المأهول. وقد كان ذلك ثمرة البعثات التي أوفدها البطالمة إلى داخل إفريقيا والبحر الأحمر، طوال القرن الثالث قبل الميلاد لأغراض تجارية وعسكرية[3].

و أبرز العلماء الذين قدموا لعلم الجغرافيا شيئا جديدا في عهد البطالمة، اثنان وهما: إراتوستنيس و أجثارخيديس، ويحتل إراتوستنيس مكان الصدارة بدون منازع بين كل الجغرافيين القدامى حتى العصر الروماني. فقد جمع كل الحقائق التي سبقت عصره، واستفاد منها، وأضاف إليها. ورغم أن كتاباته لم تصل كاملة، إلا أننا نعرف

1- نبيل راغب، المرجع السابق، ص 238.

2- *Feaser,P.M. op cit. p* 556 – 557.

3- إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 262.

عنها الكثير من خلال من أتوا بعده، مثل : سترابون الذي أخذ عنه الكثير . وأهم أعمال إراتوستنيس الجغرافية كانت كتابين هما : "قياس الأرض و مذكرات جغرافية" . وفي كتاب قياس الأرض . يعطينا إراتوستنيس محيط الكرة الأرضية الذي قدره بـ 39690 كلم . وهذه النتيجة تقرب من الواقع بصورة لا يكاد يصدقها العقل، حيث قدرها علماء العصر الحديث بـ 40120 كلم، وبهذا نلاحظ أن الخطأ لا يكاد يتجاوز الواحد بالمائة . أما عن المذكرات الجغرافية فإنه لم يصلنا منها إلا أجزاء . حيث احتوت على ثلاثة أجزاء فالجزء الأول منها مقدمة تاريخية، والثاني يتضمن الجغرافيا الرياضية، والثالث يتناول الخرائط وتقويم المدن [1] .

وقد كان العالم المعمور الذي عرفه إراتوستنيس، يمتد عرضا من ثولى شمالا بالقرب من الدائرة القطبية، إلى المحيط الهندي وجزيرة سيلان جنوبا . كما يمتد طولا من المحيط الأطلسي إلى أواسط آسيا وخليج البنغال . وقد رفض تقسيمه إلى قارات (آسيا . أوربا . إفريقيا) لكنه قسمه بخطين متعامدين يتقاطعان في رودس . ولم يرسم خريطته على أساس شبكة فلكية من خطوط الطول ودوائر، العرض بل استعان ببعض العلامات المميزة . إسمها "سفراجيديس" وهي كلمة يونانية تعني (قالب صغير من الآجر) . بحيث يكون الشكل العام لكل بلد يشبه شيئا مألوفا . وبهذا كان إراتوستنيس أول جغرافي جعل نظرية كروية الأرض في شكل واضح للعالم [2] . (أنظر الملحق رقم 07) .

ولا نجد جغرافيا إسكندريا يستحق الذكر بعد إراتوستنيس أفضل من أجثارخديس (القرن الثاني قبل الميلاد) . وإن كان من طراز يختلف كثيرا عن إراتوستنيس، ولا يرقى إلى مستواه العلمي . والمؤلفان التاريخيان اللذان صنفهما أجثارخيديس "أحداث في آسيا و أحداث في أوربا" ، يتضمنان مادة جغرافية غزيرة يبدو أن ديودور الصقلي استمد من أولهما تصويره لأثيوبيا وبلاد العرب، وكذا وصفه للنيل . بيد أن شهرة أجثارخديس تستند أساسا إلى كتابه عن البحر "الأروثري أي البحر الأحمر" . ويقع هذا الكتاب في خمسة أجزاء، حفظ لنا منها فوتيوس ملخصا موجزا للجزء الأول والخامس . وهو الذي استخدمه ديودور في الجزء الثالث من كتابه . أما الأجزاء الثاني والثالث والرابع فإنه لم يبق منها شيئا [3] .

1- جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص 187 ، 191 .

2- نفسه، ج04 ص 192 . 195 .

3- *Feaser,P.M. op cit. p* 539. -

غير أن تركيزنا على هاتين الشخصيتين اللتين منحتا علم الجغرافيا طابعا مميزا، تمثل في الاهتمام بالجغرافيا الوصفية والبشرية، بعيدا عن الأساطير، لا يعني أنهما انفردا بهذا العلم في عصر البطالمة. ولذا فإننا نجد أسماء لامعة مثل كراتيس الذي صب اهتمامه على الظواهر العامة في الكرة الأرضية. و أرتميدروس الذي ألف كتابا في جغرافيا العالم القديم، تصل إلى أحد عشر مؤلفا. وكذا يوديكسوس الذي عشق حياة البحر، وهو الذي اكتشف الرياح الموسمية[1]. وغير هؤلاء الذين ذكرنا كثير من أبناء مدرسة الإسكندرية الجغرافية.

3.3. الهندسة والميكانيكا:

لم تكن الإسكندرية عاصمة الأدب فحسب في العالم الهلينستي، بل كانت كذلك عاصمته العلمية. وتحتل الهندسة مكانة سامية بين رياضيات العصر الهيلينستي. وهي التي فاقت في تقدمها سائر فروع العلم إذ أن الهندسة كانت أساس الرياضيات جميعا ،لأن الأرقام لم تكن قد ابتكرت بعد. ولعل ما بلغته الهندسة من الدقة كان سببا في عدم تفكير الإغريق في اختراع أرقام. ولاسيما الهندسة التي كانت تشمل الكثير مما يعتبر اليوم علم الجبر. لكن يظن أن المعادلات الرباعية كانت تستخدم في عصر إقليدس لإيجاد القيم العددية. وإذا كان للعصر الهيلينستي فضل كبير على تقدم الهندسة، فلا ننسى أن الفيثاغورثيين، وأفلاطون وأتباعه، قد رفعوها من قبل إلى مستوى عال[2]. وفي هذا المجال يظهر إقليدس كأشهر علماء الإسكندرية، والذي ظهر في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد. وغالبا ما تلقى تعليمه بالأكاديمية في أثينا، ثم انتقل إلى الإسكندرية بسبب الظروف السياسية التي كانت تمر بها اليونان في ذلك الوقت. وهناك ازدهر شأنه زمن بطليموس الأول وربما الثاني، وعلى الرغم من أن معلوماتنا عن هذا العالم تكاد تكون منعدمة، فإن لدينا قصتان تساعداننا على إظهار شخصيته، فقد قيل أن الملك بطليموس الأول سأله ذات مرة عما إذا كان للهندسة طريق أقصر من طريق الأصول. ـ والأصول هو عنوان أشهر مؤلف لإقليدس في الهندسة. فأجابه بأنه لا يوجد طريق ملكي إلى الهندسة. والقصة الثانية وهي لا تقل جودة عن سابقتها، وفيها أن أحد التلاميذ سأل أستاذه إقليدس بعد الدرس الأول عما يستفيده من وراء حفظ هذه الأشياء ؟ فنادى خادمه وأمره بإعطاء هذا التلميذ قطعة

1- نبيل راغب، المرجع السابق، ص 226. 228.

2- إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 276. 278.

من النقود . لأن التلميذ يرى بأنه لابد من أن يكسب شيئا مما يتعلمه . ومن خلال القصتين تبرز لنا شخصية العالم المقدر للعلم حق قدره[1] .

وكما سبقت الإشارة إليه، فقد أنجز إقليدس أشهر أعماله الهندسية في الإسكندرية . وهو كتاب "الأصول" في ثلاثة عشر . فصلا ويعتبر أقدم وأوسع كتاب وصلنا عن الهندسة . ويمكن وصف محتويات الكتاب باختصار فيما يلي :

. الكتب الستة الأولى (من 01 إلى 06): وفيها يتكلم عن الهندسة المستوية، فيعرف المسلمات، ويتناول المثلثات والمتوازيات وهندسة الدوائر والأضلاع المنتظمة .

. الكتب الأربع الموالية (من 07 إلى 10): ويعالج فيها الحساب ونظرية الأعداد والمستقيمات غير الجذرية .

. الكتب الثلاثة المتبقية (من 11 إلى 13): ويحدثنا فيها عن الهندسة الفراغية، باستخدام طريقة الاستفادة من قياس الدوائر والكرات والأهرام والمجسمات المنتظمة[2] .

ولم يكن هذا الكتاب ابتكارا أصيلا، بل مجموعة معلومات معروفة . إلا أنه بما اختار فيه إقليدس من المعلومات المسلم بها كالتعاريف، والفروض والبديهيات، ولا سيما النظريات التي تستحق أن تسمى "عناصر"، وتفوق غيرها في الأهمية والتطبيق . وإذا كان إقليدس قد جمع مادة كتابه من المصادر التي كان في مقدوره الوصول إليها، فإنه كان صاحب الفضل في مختاراته، وفي ترتيبها ترتيبا منطقيا، وفي صياغة النظريات وفي تنظيم وسائل البرهان تنظيما يتسم بالطابع العقلي البحت . كما أنه وضع كتبا أخرى لم تكن مقصورة على الهندسة، بل شملت فروع الرياضيات كما كانت معروفة عندئذ . وقد بقيت من هذه الكتب أربعة فقط . كان أولها يتضمن نظريات من النوع نفسه الذي كان يتضمنه كتاب الأصول والكتاب الثاني رسالة أولية عن المنظور، والكتاب الثالث يشمل نظريات عن الفلك، والكتاب الرابع رسالة عن عناصر الموسيقى . لم تصل إلينا مؤلفات إقليدس الأخرى، وكان أحدها عن مبادئ الهندسة، وآخر عن المخروطات وثالث عن المسطحات، ورابع عن المنشورات[3] .

---

1 - جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص 82، 83 .

2 - نفسه، ج04، ص 85 .

3 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 279. 280 .

ويعتبر أرخميدس أعظم عبقرية مبتكرة بين علماء الرياضة الإغريق. فقد ولد حولي عام 287 ق.م في سيراكوزة حيث قضى الشطر الأكبر من حياته بها، وتوفي هناك ومن المؤكد أنه لبث فترة من الزمن بالإسكندرية، حوالي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وأنه كانت لهذه الإقامة آثار مثمرة في تطوير الرياضيات في الإسكندرية. وأنه ظل على اتصال وثيق بعلمائها. مثل: كونون و دوسيثنوس و أراتوستنيس[1].

وقد كان أرخميدس قريبا وصديقا لهيرا الثاني ملك سيراكوزة. وكان له دور كبير في الدفاع عن مدينته التي هاجمها الرومان سنة 212 ق.م، بفضل اختراعه آلات دفاعية عديدة. مثل: آلات الرماية و الخطاطيف، وكذا المرايا المقعرة التي عن طريقها حول أشعة الشمس وأحرق بها سفن الرومان، (حسبما روي في إحدى الأساطير). وقد استحوذ ما قيل عن اختراعاته. لإنقاذ مدينته ـ على خيال الناس في عصره، وحتى العصور المتوسطة والحديثة. وكان ينظر إليه على أنه ساحر ميكانيكي. حتى أن شهرته تأسست لقرون عديدة، ليس على أساس إنتاجه الخالد الذي عبر عنه بكتاباته، وإنما على ما أحيط به اسمه من قصص خرافية. وإن كان محور هذه القصص صحيحا، فقد اخترع آلات مثل البكرات المركبة، و الحلزون غير المنتهي، والطنبور. الذي اخترعه عند إقامته بالإسكندرية. والساعة الشمسية والمرايا لحارقة. ويروي لنا شيشرون أنه رأى الساعة الشمسية. وقال أنها تمثل حركات القمر والشمس لدرجة أنها تبين الخسوف. كما أنه يروي بأن أرخميدس طلب من أصدقائه أن يرسموا على قبره شكلا هندسيا، وكان هذا الشكل يمثل أسطوانة تحيط بكرة. وانتهت حياة أرخميدس بمقتله على يد جندي روماني عام 212 ق.م عن عمر يناهز الخامسة والسبعين سنة[2].

أما عن إنجازاته، فيذكر بلوتارخ أن أرخميدس لم يكن يحتفي بمخترعاته العلمية كثيرا، رغم انبهار العقل البشري بمخترعاته العلمية. ولم يثنه ذلك عن الاهتمام بالأعمال المكتوبة. ولم يكن لأرخميدس ولوع بمختلف ألوان المعرفة شأن إقليدس الذي حاول تغطية كل ميدان الهندسة. فكتب بحوثا على نطاق محدود. وكانت معالجته لأي موضوع

1- نفسه، ج04، ص283.

2- جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص137، 138.

رائعة في تنظيمها ووضوحها . ولقد وصل إلينا اثنا عشر مصنفا من مصنفاته سنعرض لها باختصار في ثلاثة محاور كبرى وهي الهندسة والحساب والميكانيكا[1] .

ففي الهندسة كان لأرخميدس أربع كتب أساسية تتمثل في :

.الكتاب الأول : وهو أطول كتابات أرخميدس كتبه عن "الكرة والأسطوانة" وهو في مجلدين ولا يتجاوز الأصل اليوناني 114 صفحة . ويبرهن في هذا الكتاب على عدد من النظريات، منها تلك النظرية التي جعل لها قيمة كبيرة، وأمر أن يرسم الشكل الخاص بها ويحفر على قبره . ومنها أيضا تلك النظرية التي أثبت فيها أن مساحة سطح الكرة يعادل أربعة أمثال إحدى دوائرها العظيمة . وبدأ كتابه هذا على طريقة إقليدس بالتعاريف والفروض .

ـ الكتاب الثاني : ويحوي 100 صفحة باليونانية . وهو ذلك المتعلق بشبه المخروط وشبه الكرة . ويعالج كلا من السطوح المتكافئة، والسطوح الزائدة الدورانية، والأجسام الناتجة عن دوران القطوع الناقصة حول محاورها الكبرى أو الصغرى .

.الكتاب الثالث : وبه 60 صفحة خصص للحلزونات . وقد لخص في هذا الكتاب النتائج الرئيسية التي توصل إليها في الكتابين السابقين .

.الكتاب الرابع : وكان أقصر كثيرا من كتبه السابقة، ويعالج مسألة واحدة وهي تربيع القطع المكافئ .

وقد أهدى أرخميدس كتبه الأربعة لصديقه ديوسيثيوس . وقد كانت سببا في تخليد اسمه حتى يومنا هذا . وهي تكون الجزء الأكبر من أعماله[2] .

ولقد كان عمل أرخميدس في الحساب والجبر أقل حجما وأقل أصالة . فقد تأثرت بالضعف المتأصل في النظام العددي اليوناني . وهذا الضعف هو أحد متناقضات الحضارة اليونانية . فبدل أن يخترع نظاما أفضل، حاول أن يدافع عن الأرقام اليونانية، ليرينا أنها كافية لتمثيل أكبر الأعداد . وقد عبر عن آرائه عرضا في كتاب يسمى "القواعد" . وقد ضاع هذا الكتاب ولكنه عثر على غيره، وهو "عداد الرمل" الذي أهداه إلى الملك هيرا الثاني . وهذا المظهر من مظاهر عبقرية أرخميدس غريب

---

1 -نفسه، ج04 ، ص 137 ، 139 .

2 - نفسه، ج04 ، ص 139. 140 .

حقا . فبدل أن يفكر في نظام عددي يمكن أن يكون ذا نفع في الحياة العامة، انغمس في فكرة الأعداد الهائلة . وهي فكرة فلسفية أكثر منها رياضية بحتة[1] .

أما عن الميكانيكا فإن ما يدعو للانتباه في بحوث أرخميدس هو اختراعه لفرعين نظريين وهما "الأستاتيكا والهيدروستاتيكا" . وقد عثر على كتابين من كتبه في الميكانيكا . وهما كتاب "توازن المستويات" وكتاب "الأجسام الطافية" . وقد كتبهما على طريقة إقليدس . فبدأهما بتعاريف ومسلمات . وعلى هذا الأساس برهن على عدد من النظريات . ففي كتابه الأول أثبت فيه قانون الرافعة . ثم توصل إلى مراكز الثقل في الشكل المتوازي الأضلاع، وفي المثلث وفي شبه المنحرف، وفي قطعة من القطع المكافئ أو أي قطعة تنحصر بين المحور الأصلي وأي خط مستقيم يوازيه[2] . وفي كتابه الثاني أثبت أن الجسم المغمور في مائع ما يفقد جزءا من وزنه يعادل وزن المائع المزاغ؟ وقد اكتشف ذلك حين شعر بخفة جسمه في الماء، فخرج من الماء مسرورا وهو يصيح "يوريكا يوريكا" أي وجدتها وجدتها . وقد ساعده ذلك في حل مسألة التاج . حيث صنع تاج ذهبي للملك هيرا الثاني، وظن أنه مصنوع من الذهب والفضة معا . فما مقدار ما به من تزييف ؟ وقد حل المسألة بوزن التاج في مقدر من الماء . ووزن نفس الوزن من الذهب والفضة في الماء أيضا[3] .

وبالإضافة إلى إقليدس وأرخميدس نجد أسماء أقل شأنا في مجال الرياضيات والميكانيكا . غير أنه كان لها إنتاج في عهد البطالمة وتركت بصماتها في الإسكندرية . ونذكر على سبيل المثال أبوللونيوس البرجي، الذي ولد حوالي عام 262 ق.م في برجه في بامفوليا (قبرص) . وقد درس هذا الأخير في الإسكندرية وعاصر الملكان بطلميوس الثالث والرابع . وقد تتلمذ على يد أرخميدس وله مؤلفات عديدة، أشهرها كتابه عن القطاعات المخروطية .

كما ظهر كونون الساموسي الذي كان معاصرا لأرخميدس أيضا، وبرز نجمه بالإسكندرية . وقد اكتشف مجموعة نجمية أسماها "شعر برنيكي" . نسبة إلى زوجة بطلميوس الثالث وقد امتدحه أرخميدس في إحدى كتبه . وكذلك أبوللونيوس الذي اعتمد عليه كثيرا في كتاباته[4] .

---

1 - نفسه، ج04 ، ص 143. 144 .

2 - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 285 .

3 - جورج سارتون ، المرجع السابق، ج04، ص 147 .

4 - حسين الشيخ ، المرجع السابق، ص 213. 214 .

4.3.الطب وعلم التشريح :

لقد بلغت العلوم الإغريقية شأوا بعيدا في العصر الهيلينستي .ففي مجال الطب مثلا، وضع أبقراط"هيبوكراتيس" في القرن الخامس قبل الميلاد قواعد علم الطب، وقواعد البحث العلمي التي تتطلب جمع كمية وافرة من المعلومات لدراستها واستخلاص النتائج منها . وقطع شوطا بعيدا في فصل العلم عن الفلسفة .وعندما زادت فتوح الإسكندر الأكبر مساحة العالم المعروف أضعافا مضاعفة، ووفرت المادة لزيادة المعرفة في النبات والحيوان والجغرافيا والأجناس ووصف البحار، أصبحت الطريق ممهدة لقيام حركة علمية نشيطة، تمخضت عن تقدم العلوم في العصر الهيلينستي تقدما لم يشهد له العالم مثيلا إلا في العصور الحديثة .وقد تأثرت الحركة العلمية في هذا العصر بعاملين جليلي الأثر وهما :عبقرية أرسطو ورعاية الملوك .وبذلك توفرت في الإسكندرية أسباب البحث العلمي على النمط الذي وضع أرسطو قواعده[1] .

والمدرسة القديمة بمدينة الإسكندرية التي ازدهرت في عهد البطالمة الأولين .هي التي جعلت من الممكن لأول مرة إجراء فحص شامل لبناء الجسم البشري .إذ امتاز عصر الإسكندرية بحرية من التعصب الديني غير عادية . وكان من المسموح به لعلماء التشريح أن يقوموا بالتشريح العملي بقدر ما كان يحلو لهم .وكان العمل داخل معهد العلوم لا يخضع إلا لإشراف الملوك وحدهم . ويكاد يكون غير معروف للعامة .ولذلك كانت حرية البحث كاملة[2] .

وبرغم إجماع المؤرخين بأن الطب المصري بلغ قبل عصر البطالمة بأمد بعيد مستوى خليقا بالاحترام، فإن الباحثين يختلفون في تقدير مدى تأثيره على طب الإسكندرية الإغريقي .إلا أن الشيء الأكيد هو أن مدرسة الطب وعلم التشريح في الإسكندرية زمن البطالمة جمعت بين التطور اليوناني المذهل لعلوم الطب بمدارسه المختلفة، وبين الخبرة والكم الهائل الذي تركه المصريون، خاصة ما تعلق بالتشريح والتحنيط .ويبدو أن تاريخ الطب الإسكندري بدأ حوالي عام 300 ق.م عندما هاجر إلى الإسكندرية من مختلف أنحاء العالم الإغريقي .وبخاصة من "قوس" أطباء كثيرون كان أبرزهم هيروفيلوس وأراسيستراتوس[3] .

1- *Jones WHS and TL Heath.**Hellenistic Science and Mathematics**,In The C.A.H,vol VII.* 1925, *pp* 284-285.

2- جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 238 .

3- إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ج04، ص 272 .

أما عن هيروفيلوس الخالكيدوني، فقد ولد في خلقدونية في أواخر القرن الرابع، وكان أحد العلماء الذين اجتذبهم بطلميوس الأول إلى الإسكندرية. وبهذا يكون هيروفيلوس أحد مؤسسي النهضة اليونانية المصرية، كما أنه مؤسس التشريح النظامي. ويقال أنه قام بفحص تفصيلي لتركيب الجسم البشري كله. ونحن لا نعرف إلا القليل عن حياته قبل استجابته لدعوة بطلميوس الأول. فيما عدا أنه كان تلميذا لبراكساجوراس الكوسي[1]. ولقد كتب هيروفيلوس كتابا من ثلاثة أجزاء عن التشريح، وكتابا أصغر منه عن العيون، ودليلا للمولدات. وكان يمارس التشريح النظامي مع مساعديه وتلاميذه كنوع من الدراسات العلمية. وكلما تعامل مع عضو جديد في الجسم البشري، أطلق عليه اسما جديدا. وقد وردت إلينا معظم هذه الأسماء من خلال كتابات جالينوس التي كانت بمثابة أول تسجيل لها. ومن أعظم إنجازاته أنه صحح خطأ كبيرا وقع فيه أرسطو عندما وضع الذكاء في القلب بدلا من المخ. وأكد أن المخ هو مركز الذكاء. كما أنه قام بدراسة الجهاز الهضمي، ووصف الإثني عشر وأعطاها اسمها الذي عرفت به إلى الآن. ودرس البروستاتا، وقاس نبضات الدم بساعة مائية. ووصف أجزاء من الغشاء السميك المغطي للمخ فسميت على اسمه. كما وصف جزءا من المخيخ وأطلق عليه اسم "قلم الكتاب" (*calamus scriptorius*). وإلى جانب هذا كله درس تشريح العين والكبد والغدد اللعابية والبنكرياس والغدد الجنسية[2]. وقد فرق هيروفيلوس بوضوح بين الشرايين والأوردة. وقال بأن الشرايين أسمك ست مرات من الأوردة، وقال أنها تحوي دما وليس هواء، وأنها تكون فارغة ومفلطحة بعد الموت. ولقد سمى الشريان الرئوي الوريد الشرياني، وسمى الوريد الرئوي الشريان الوريدي، وهي أسماء استمر استعمالها حتى القرن السابع عشر للميلاد. ومن هذا يتضح أن هيروفيلوس كان معلما بارعا، وباحثا واسع الإطلاع. وقد أسس مدرسة استمرت بعده وإن تناقصت حيويتها حتى نهاية عصر البطالمة[3].

وأما عن إراسيستراتوس الذي ولد حوالي عام 204 ق.م، والذي عاصر هيروفيلوس، فقد كان أول من طبق النظرية الذرية على علم الفيسيولوجيا، ومبدأ "الطبيعة تأبى الفراغ". وحاول أن يفسر كل ظاهرة بأسباب طبيعية. رافضا أن ينسب شيئا إلى أسباب عقائدية أو ميتافيزيقية. وقد انصبت الكشوف التشريحية الأساسية له على المخ والقلب والأعصاب

1- جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص 239.

2- سمير حنا صادق، المرجع السابق، ج04، ص 64. 65.

3- جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص 240.

والأوعية الدموية، وأوضح أن الأوردة والشرايين ليست سوى شبكة متصلة خيوطها ببعضها البعض. كما اهتدى إلى الأوعية اللمفاوية، وإلى أن كل عضو يتصل بسائر أجزاء الكائن الحي، بواسطة جهاز ثلاثي من الأوعية(شريان و وريد و عصب). كما وصف وظيفة الصمامين الأذنين و البطينين. وعرف الأعصاب الحركية والحسية. وفرق بدقة أكثر من أستاذه هيروفيلوس بين المخ والمخيخ. وأوضح أن تلافيف المخ البشري أكثر تعقيدا من المخ الحيواني. واستطاع أن يتتبع أعصاب المخ حتى المخ نفسه. ودرس أيضا علاقة العضلات بالحركة[1].

وقد كان من أشهر تلاميذ هيروفيلوس طبيب يدعى فيلينوس، ينسب إليه إنشاء مدرسة طب جديدة في الإسكندرية تدعى المدرسة التجريبية. ولعل مرد ذلك إلى أنه كان يدعو إلى إغفال التشريح والفيسيولوجيا. اعتقادا منه أن الطب ليس مختصا إلا بعلاج الأمراض دون الوقوف على أسبابها. ومن أبرز أتباع هذه المدرسة نجد جلاوقياس(القرن الثاني قبل الميلاد). وكان طبيبا باطنيا ماهرا. وكذا هيراقلايديس (القرن الأول قبل الميلاد) وكان جراحا بارعا، ووضع كتابا ممتازا عن العقاقير الطبية. وبالرغم مما أصابته المدرسة التجريبية من نجاح أكسبها أتباعا كثيرين، فإن ذلك لم يؤد إلى تدهور أو اندثار مدرسة هيروفيلوس. بدليل انتشارها خارج مصر وشهرة الكثيرين من أطبائها في الإسكندرية حتى القرن الأول قبل الميلاد. ونخص بالذكر كلا من خورسرموس وهيراقلايديس[2].

والجدير بالملاحظة أيضا أن دراسة تاريخ الطب وبخاصة دراسة مؤلفات أبقراط قد نشطت على امتداد عصر البطالمة ونقدها وهذا يدل على أن وسائل البحث الحديثة في الإسكندرية لم تعق الباحثين عن الوقوف على أهمية نتائج البحث القديم. وقد كان من بين الذين كتبوا عن الأبحاث القديمة هيروفيلوس وتلميذاه باقخيوس و فيلينوس. وكذا زينون و جلاوقياس. وللإشارة فإن من أسباب مجد طب الإسكندرية اختراع آلات جديدة للجراحة واستخدامها بمهارة فائقة[3].

1- نبيل راغب، المرجع السابق، ص 176. 177.

2- سعيد إسماعيل على، المرجع السابق، ص 318.317.

3- إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ج04، ص 275.

5.3. علم الفلك :

إن الحديث عن علم الفلك عند الإغريق بصفة عامة يدعونا إلى القول بأن إغريق العصر الهيلينستي كانوا مدينين بشيء غير قليل من الفضل لعلماء بابل، في مجال علم الفلك. وهم الذين جمعوا منذ زمن بعيد ملاحظات تجريبية عن الأجرام السماوية. وخير دليل على ذلك، أن الخريطة الإغريقية للسماء، بما فيها من الكواكب والتوابع بابلية الأصل. وقد بدأ الفكر العلمي بمعنى استخدام الملاحظات المسجلة في بابل، في العصر الفارسي. ويؤرخ هناك بعام 523 ق.م. وقد كانت توجد ببابل ثلاث مدارس للفلك[1]. أما عن الفلك كعلم له قواعده وأصوله في مصر البطلمية، فقد بدأ في المرصد الملحق بمدرسة الإسكندرية على يد كل من أريستيللوس و تيموخارس، في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد. فقد قاما بأرصاد فلكية قيمة. رغم أن الأجهزة التي استخدماها كانت غاية في البساطة. فلربما كانت نوعا من المزاول الشمسية، والشاخص الرأسي والهيكل الكروي، الذي يتكون من عدة دوائر عظمى متحدة في المركز، ومقسمة إلى درجات، ومسطرة متصلة بمركز الكرة لتعيين اتجاه النجم. ولابد أن دوائر الكرة كانت تمثل الكرة الأرضية. بحيث تكون إحدى هذه الدوائر واقعة على المستوى الاستوائي، والأخرى عمودية عليه وتدور حول محور العالم. وبذلك توضع الدائرة العمودية في هذا الاتجاه مع قراءة رقم ميل النجم عليها، ورقم المطلع المستقيم على الدائرة الاستوائية[2].

ويعد العالم الفلكي أريستارخوس الساموسي الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، أعظم شأنا من معاصريه أريستيللوس و تيموخارس، ولا تزال علاقة أريستارخوس بهذين العالمين من جهة، وبمدرسة الإسكندرية من جهة أخرى، أمرا يحتاج إلى تحقيق. وقد كان أريستارخوس من تلامذة ستراتون اللامبساكي - وهو المربي المرشد للملك بطلميوس فيلادلفوس - ومن المحتمل أن يكون قد تتلمذ على يديه في الإسكندرية قبل سنة 286 ق.م، أو في أثينا بعد هذا التاريخ. غير أن التاريخ الوحيد الثابت في حياة أريستارخوس هو الفترة ما بين (281 ـ 280 ق.م). وهي التي قام فيها برصد الانقلاب الصيفي. فلو كان قد سجل هذه الأرصاد بالإسكندرية، لكان لا بد للعالم الفلكي لبطلميوس أن يذكره كما ذكر سابقيه. إلا أنه من العسير أن نعرف ـ على وجه التحقيق ـ أية مدرسة فلكية في العصور الإغريقية

1- نفسه، ج04، ص 280. 281.

2- نبيل راغب، المرجع السابق، ص 106.

سجل أريستارخوس بحوثه. لأن الأرصاد الفلكية لم تكن تؤخذ في مكان واحد، بل في أمكنة متعددة في الإسكندرية و أثينا و صقلية و رودس و سلوقية[1].

ومن أشهر أعمال أريستارخوس في الفلك والتي وصلت إلينا كاملة، رسالة عن أحجام الشمس والقمر وأبعادهما. والتي حدد فيها المسافة بين الشمس والأرض. قال بأنها تزيد عن المسافة بين القمر والأرض بتسعة عشر مرة. في حين أن المسافة الحقيقية هي أربعمائة مرة. كما قال بأنه طالما كان الحجم الظاهري للشمس يساوي الحجم الظاهري للقمر فإن قطر الشمس يزيد عن قطر القمر بمقدار تسعة عشر مرة أيضا. والقيمة الحقيقية هي أربعمائة مرة. والنسبة بين حجمي الشمس والقمر تقع ما بين 5832 إلى 8000. والقيمة الحقيقية هي 36.800.000. وقطر الشمس يزيد بـ 6075 مرة عن قطر الأرض. والقيمة الحقيقية هي 109 مرة. والشمس أكبر من الأرض بـ 311 مرة تقريبا. والنسبة الحقيقية هي 1.300.000 مرة[2]. من هذا يتضح لنا أن النتائج التي توصل إليها أريستارخوس كانت بعيدة عن الصواب. عكس ما توصل إليه إيراتوستنيس مثلا في تقديره لمحيط الأرض. رغم أنهما كانا معاصرين لبعضهما تقريبا. وذلك لاعتماد أريستارخوس على بيانات غير دقيقة، وأرصاد بدائية، غير أن القيام بقياس أبعاد الأجرام السماوية في عصره تعتبر من الأعمال الهامة جدا. كما أن رسالته هذه تعد بحق من الآثار العظيمة في تاريخ العلوم. ليس فقط لأنها شرحت لنا طريقة قياس أبعاد الأجرام السماوية وأحجامها، ولكن لأنها كانت اللبنة الأولى لعلم حساب المثلثات[3].

ولما كانت الفكرة السائدة عند الإغريق عن الكون منذ القرن الرابع قبل الميلاد هي أن الشمس والقمر والكواكب تسبح في أفلاك دائرية حول الأرض[4]. فإن أريستارخوس وضع الشمس مركز الكون بدلا من الأرض التي افترض دورانها اليومي حول محورها ودورانها السنوي حول الشمس. فالكواكب كلها تدور حول الشمس الثابتة. والقمر فقط هو الذي يدور حول الأرض. وحركتها اليومية ليست سوى خدعة مرجعها دوران الأرض حول محورها في الاتجاه المضاد. ولقد أدرك أريستارخوس ما نسميه اليوم بالكون الكوبرنيكي. وذلك قبل زمن كوبرنيكس بثمانية عشر قرنا. مما جعل أريستارخوس جدير

---

1 - جورج سارتون، المرجع السابق، ج04، ص 110.

2 - نفسه، ج04، ص 113.

3 - نفسه، ج04، ص 113. 114.

4 - *Jones WHS and TL Heath,op cit.p* 287-288.

بالتسمية الحديثة "كوبرنيكس القدماء" . إذ تدل دراساته على الوعي الفلكي والجرأة العلمية في تحديد المفاهيم والفرضيات[1] .

وإلى جانب أريستارخوس نجد شخصية فلكية مختلفة عنه تتمثل في شخص أراتوس السولى . الذي يرجح أنه ولد عام 315 ق .م في سولوى بقليقية . وقد عاش في نفس الفترة التي ظهر فيها أريستارخوس(النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد) . ورغم كونه شاعرا تعليميا فلم يبرز بالإسكندرية بل ظهر في مقدونيا . إلا أن اسمه ارتبط بأشهر شعراء الإسكندرية أمثال كاليماخوس و ثيوكريتوس . وتأتي قيمته من قصائده التي تتعرض لعلم الفلك . وأشهرها قصيدة "فينومينا" التي يصف فيها الكواكب والأبراج . وجاءت في 730 بيتا . وقصيدة "ديوسيميا" التي يصف فيها طرق التنبؤ بالطقس وجاءت في 422 بيتا . إلا أنه يؤخذ على هاتين القصيدتين وعلى القصائد التعليمية بصفة عامة، ضعف الناحيتين العلمية والفنية معا . وقد قام هيبرخوس (النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد) بالشرح والتعليق على أعمال أراتوس . وذلك لكون هيبارخوس أحد أبرز فلكيي مدرسة الإسكندرية في عصره[2] .

أما عن هيبارخوس النيقي، فقد بزغ نجمه في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد كما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفا كفلكي، وعلى الرغم من أنه كان رياضيا ، فإن جهوده الرياضية كانت مجرد وسيلة لجهوده الفلكية التي كانت إنجازه الفريد وغايته القصوى . وذلك رغم إبداعه في تأسيس علم المثلثات الذي أزال عقبات كثيرة كانت تعوق الفلكيين في حساباتهم . ولذلك فإن تبعية علم المثلثات لعلم الفلك عميقة في جذورها ، بحيث اعتبر جزءا من الثاني . وظل على هذه الحال حتى عصرنا هذا ، وقد قام هيبارخوس بأرصاد عديدة عجيبة في دقتها ، برغم الإمكانات المحدودة للأجهزة الفلكية التي اخترعها . مثل الكرة السماوية التي رسم عليها توزيع الكواكب والنجوم، وغير ذلك من الأجهزة التي ذكرها الجغرافي والفلكي بطلميوس في كتابه "المجسطى" بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا . وكان هيبارخوس أول من قسم الأجهزة الدائرية . إلى 360 دائرة وإن كان هبسكليس الذي عاش في الإسكندرية قبيل عهده قد قسم تلك البروج بالطريقة ذاتها . كما أنه كان أول من أوضح أن النجوم تولد ، بعد أن شاهد مولد نجم جديد أثناء متابعة أرصاده[3] .

---

1 - جورج سارتون ، المرجع السابق،ج04، ص 115. 116 .

2 - حسين الشيخ ، المرجع السابق، ص 209 .

3 - نبيل راغب ، المرجع السابق، ص 109 .

الخـــــــــاتمة

من خلال تتبعنا لسياسة البطالمة فيما يتعلق بالجانب الحضاري لدولتهم فإننا نجد عهد هذه الدولة قد انقسم إلى قسمين،يتمثل الأول في عصر القوة والازدهار والتفوق، في حين أن القسم الآخر غلب عليه الانكسار والضعف والهوان، وهذا التقسيم كما هو معلوم نجده في جميع حضارات العالم القديم والحديث، وهو الذي يكون لسياسة الدولة فيه تأثير مباشر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .ومصر البطلمية التي رأينا أنها أحدثت تغيرات جذرية وقدمت الجديد فيما يتعلق بالعلاقات التي تربط الحاكم بمحكومه، وهي التي تكون عادة سببا في الحفاظ على هيبة الدولة أو سببا في سقوطها .ويمكننا أن نستخلص من الدور الحضاري للبطالمة في مصر ما يلي:

إن النظام المالي والاقتصادي الذي فرضه البطالمة في مصر،على الرغم من أنه كان يجلب الكثير إلى الخزانة الملكية إلا أنه كان له أثر كبير في نفوس الأهالي وخاصة المصريين منهم، فبالرغم من أن هذا النظام كان ـ على عهد بطلميوس الأول بصورة خاصة وكذا في عهد خليفتيه الثاني والثالث ـ يسير بحكمة، فلم يدخر أي جهد في العمل على تقدم مرافق البلاد الاقتصادية، ولم يعتمد في ذلك على خبرة المصريين المتوارثة فحسب، بل اعتمد أيضا على دراية الإغريق الفنية والحركة العلمية الإغريقية، وذلك ما لاحظناه من خلال تتبعنا للتحسينات التي استخدمت في مجال الزراعة والتي كان نتاجها واضحا ، وكذا الشأن بالنسبة للصناعة فإلى جانب مهارة أهل البلاد كانت مواهب المهاجرين سببا في تطور صناعات عدة، ناهيك عن الحركة العلمية التي عرفتها الإسكندرية والتي كانت سببا في رواج تجارة مصر الخارجية، حيث أصبح ميناء الإسكندرية قبلة للتجار من كل حدب وصوب ردحا من الزمن، كما أن السلع القادمة من الشرق وجدت في البحر الأحمر طريقا آمنا في الوصول إلى حوض المتوسط،ولم يكن مفتشوا الضرائب مفرطين في الظلم والاستعباد، كما أن سياسة الدولة في الفترة الأولى من عمرها كانت لا تزال تحتفظ بما خلفه الإسكندر الأكبر من مبادئ المساواة واندماج الشعوب وخلق حضارة تنصهر وتذوب فيها جميع الحضارات القديمة، غير أن متطلبات الجيوش والأساطيل وسياسات الملوك الحربية عجلت بمظاهر التدهور في البلاد في الشطر الثاني من حكم البطالمة، الذين غلب عليهم طابع الضعف والبذخ والانصراف إلى الملذات والشهوات، ولما كان الفلاح لا ينال من محصوله إلا ما يسد حاجته وأهله، وقد كانت الدولة تقرضه البذور وتفرض عليه البقاء في أرضه إلى غاية جني المحصول، وكان عمال مناجم الذهب ببلاد النوبة وعمال المحاجر يعملون في ظروف جد قاسية عراة

الأجسـام، مثقلـون بـالأغلال، يضـربون بالسـياط، يهلـك في كـل يـوم عـدد كـبير منـهم بسـبب سـوء التغذيـة وفـرط التعـب، وكـان العامـل العـادي في المصـانع يتقاضـى أبلـة واحـدة في اليـوم، ويسـتريح يومـا واحـدا في عشـرة أيام، وكان التجار يخضعون لتعاليم الدولة في تحديد أسعار البضائع، وتفرض عليهم مكوس كبيرة، وضرائب لا يقدرون على دفعها، فإنه كان من الطبيعي أن تدب مظاهر التذمر والاستياء من قبل الأهالي، ولم يعد الناس يطيقون سيطرة الدولة على كل صغيرة وكبيرة، ولذا فإنه لم يكد يستهل القرن الثاني قبل الميلاد حتى بارت مساحات واسعة من الأراضي لعدم وجود من يزرعها، وكثرت إضرابات عمال المناجم والمحاجر والصناع والتجار وحتى الموظفين لدى الدولة من المصريين، وكان الدافع إلى ذلك هو اليأس الناجم من حكومة، المستفيدون منها بالآلاف والكادحين فيها بالملايين، وبذلك انقلب السحر على الساحر،وأصبح الحكام البطالمة في فوهة مدفع أمام إقدام جموع الغاضبين على عدم احترام قوانين الدولة، والدخول في مواجهات عسكرية تحمل تبعاتها الملوك البطالمة وانتهت بهم إلى السقوط.

وبما أن جوانب حياة الأمم متكاملة، فإن الحياة الاجتماعية في دولة البطالمة لم تكن بمعزل عن السياسة الاقتصادية وقوانين وتشريعات الدولة، فالفرد هو أساس المجتمع، وقد ارتكب الحكام البطالمة خطأ كبيرا في حق الإنسان المصري، على الرغم من علمهم بأنه صاحب حضارة عتيدة، فهو غير قابل للرضوخ تحت سلطة أجنبية، وإذا كان الملوك الثلاثة الأوائل قد أحسنوا معاملته، فإن البطالمة الأواخر قد بالغوا في إذلاله وقهره، وعلى العموم فإن سياسة كليهما التي ميزتها الاعتماد على العنصر الإغريقي وإعطاءه امتيازات كبيرة، كالمناصب العليا في الإدارة والجيش والضياع الواسعة والمدن الخاصة، كان يقابلها إرهاق المصريين واعتبارهم أداة لتحقيق أطماعهم وأحلامهم، بل لقد وصل الاستعباد إلى حد لا يطاق حيث فرض على المصريين أن يتقاسموا بيوتهم مع الوافدين من الإغريق، وأصبح هؤلاء يتصرفون في مساكنهم كما لو أنهم يملكونها بمفردهم وذلك ما زاد من النفور بين العنصرين، فقد حرص المصريون على الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم، وكذلك كان الشأن بالنسبة للإغريق حتى أننا نلاحظ عدم وجود احتكاك بينهم فيما يتعلق بالزواج إلا في القليل النادر، وبالرغم من محاولات الأغرقة التي ميزت سياسة البطالمة إلا أنهم وجدوا أنفسهم عاجزين عن ذلك أمام ثقة المصريين واعتزازهم بكرامتهم واستمساكهم

بتقاليدهم، وبدل أن يجبرهم أسلوب القهر والقوة في صدهم عن معتقداتهم، فإنه كان يدفعهم إلى التعصب لها و الاستمساك بها والاستماتة في الدفاع عنها .

ومما هو جدير بالملاحظة لدى تعرضنا للأوضاع الاجتماعية في مصر البطلمية أن نخلص إلى أن البطالمة وجدوا أنفسهم أمام فريقين كان لكل منهما نظام خاص للحكم، فالإغريق نشأوا في مدن اعتادوا على الاشتراك في حكمها، والمصريون نشأوا في دولة ملكية مطلقة تقوم عل أساس حق الملوك الإلهي، وكان التوفيق بين هذين النقيضين مهمة صعبة للغاية، على الرغم من المحاولات المبذولة في سبيل تحقيق ذلك، فإذا كانت قد وفدت أعداد كبيرة من الإغريق إلى بلاد النيل فإنهم كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لأهالي البلاد الأصليين. ومهما بلغت حاجة البطالمة للأجانب فإنهم لم يكونوا في غنى عن المصريين الذين كانوا عماد ثروة البلاد .

أما فيما يتعلق بالجانب المعرفي العلمي والثقافي، والذي أكسب البطالمة مكانة مرموقة في العالم الهلينستي في ذلك العصر، وكان له دور كبير في شهرة مملكتهم وتفوقها على قريناتها من ممالك بلاد اليونان، وحضارات الشرق الأدنى، فإنه كما لاحظنا فإن البطالمة لم يبخلوا باهتماماتهم تجاه البحث العلمي، وكانت دولتهم مفتوحة لكل عالم مهما كان جنسه ومهما كان تخصصه لأن يطرح أفكاره أو يطور نظرياته، وهذا الجانب المهم من حضارة البطالمة لم يعرف له مثيل في تلك الفترة، حيث كان هم الملوك الانشغال بالتوسع وتطوير قوة الجيش والتحكم في الأسواق، غير أن الملوك البطالمة الأواخر لم يحافظوا على هذا المكسب الهائل الذي بفضله أصبحت لهم مكانة في عالم تأثر بحضارتهم واختلطت أمور السياسة بالجانب العلمي والثقافي للدولة وأضحى العلماء تحت رحمة الملوك، فيرضى عنهم بعض الملوك ويسخط منهم البعض الآخر، وبذلك لم يعرف العلماء الاستقرار الذي يمكنهم من أداء مهامهم، ولم يجدوا الاهتمام الكافي بإنتاجهم الذي لا يقدر بثمن .

وعلى أية حال فإن نظام البطالمة ومصير دولتهم كانت تحدده أهواء الملوك وتمايز شخصياتهم،فعرفت الدولة عصر القوة في عهد الملوك الثلاثة الأوائل نظرا لقوتهم وتشبعهم بأفكار الفلاسفة اليونان،في حين عجز الملوك الأواخر عن المحافظة على حضارة ملكهم لعدم اكتسابهم لثقافة الحكم السديد ،ولم يكن بوسعهم المحافظة على الدولة التي أرسى دعائمها ثلاثتهم الأوائل. كما أننا نستخلص مما أوردناه أن قيام حضارتين عتيدتين ـ كالحضارة المصرية

والحضارة الإغريقية جنبا إلى جنب. كان طبيعيا أن يؤدي إلى التقائهما في بعض النواحي. لكن استمساك وتعصب كل فريق من الأمتين حال دون اقترابهما وامتزاجهما امتزاجا كليا، وكان بديهيا أن تتغلب إحداهما على الأخرى، فقد كانت الحضارة الإغريقية أرقى حضارات العالم يومئذ وكانت مكانتها في العالم باسم أرض مصر، لكن حضارة مصر كانت حضارة أعرق، أثبتت في كل أدوار تاريخها الطويل قوة حيويتها وشدة استمساكها بتقاليدها، فلم يفلح أصحاب الحضارات التي أتت أرض مصر غازية في السيطرة عليها وفرض طباعها على حساب عادات وتقاليد المصريين، ويجب أن لا يغرب عن البال أنه إذا كان في وسع أي حاكم مهما بلغت قوته وشدته في أن يدخل في دولته ما يحلو له من نظم الحكم والقوانين والإصلاحات الاقتصادية، وأن يعلم جنوده ما يشاء من فنون الحرب، وأن يجعل لغة بعينها اللغة الرسمية في البلاد، فإن هذا الحاكم مهما توافر له من السلطة المطلقة لا يستطيع أن يفرض حضارة جديدة على رعاياه، ولا سيما إذا كانت لهم حضارة قومية عريقة قوامها معتقدات دينية متغلغلة في نفوسهم حتى الأعماق.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المـصادر:

- *Arrian,* ***Anabasis of Alexander****, Tr. E. Iliff Robson, L . C. L* ,1933.
- *Diodorus siclus,* ***library of history****, tr.C.H.Oldfather, L.C.L. London* 1933.
- *polybius****, the Histories****,tr.w.r.polon,Harvard University Press,London* 1926.
- *Strabo.****Geography****. Tr.By. H.L Jones, L.C.L. London* 1970.
- *P. Mich. Zenon = C. C. Edgar,* ***Zenon Papyri in the University of Michigan Collection*** *(Ann Arbor,Univ. of Mich. Press,* 1931*).*
- *P.Tebt,****Tebtunis Papyri****,B.P.Grenfell, A.S.Hunt, London.*1902 -1933.

ثانيا: المـراجع باللغة العربية :

- إبراهيم نصحي، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**،ط 02: القاهرة؛ مكتبة الأنجلو المصرية؛1984.

ـــــــــــــــ، **دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة**،القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية؛1959 .

- أبو اليسر فرح، **النيل في المصادر الإغريقية**،القاهرة؛عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية؛2004.

ـــــــــــــــ، **تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان**،القاهرة؛عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية؛ 2004.

- أ .م . فوستير، **الإسكندرية "تاريخ ودليل"** ، تر: حسن بيومي،القاهرة؛المجلس الأعلى للثقافة؛2000.

- جورج سارتون، **تاريخ العلم**، تر: لفيف من العلماء ، القاهرة؛دار المعارف؛1970.

- جون مارلو، **العصر الذهبي للإسكندرية**، تر: نسيم مجلي القاهرة؛المجلس الأعلى للثقافة؛2002 .

- حسن صبحي بكري، **موجز تاريخ مصر اليونانية الرومانية**،دون سنة طبع.

- حسين الشيخ، **العصر الهلينستي "مصر"** ، الإسكندرية؛ دار المعرفة الجامعية؛ 2005 .

- زكي علي، **مصر البطلمية**، الأسكندرية: مكتبة الإسكندرية؛1980 .

ـــــــــــــــ ، **الإسكندرية في عهد البطالمة والرومان**،الإسكندرية؛ مطبعة دار المستقبل؛ 1948 .

- سليم حسن، **موسوعة مصر القديمة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب:القاهرة؛2000 .

- سمير حنا صادق، **نشأة العلم في مكتبة الإسكندرية القديمة**،القاهرة؛دار العين للنشر؛2002.

- سعيد إسماعيل على، **التربية في الحضارة المصرية القديمة**،القاهرة؛ عالم الكتب؛ 1996 .

- سيد أحمد علي الناصري، **تاريخ وحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلينستي**،القاهرة: دار النهضة العربية؛ 2001.

ـــــــــــــــــــــــ ، **دراسات في تاريخ مصر "عصر البطالمة"** ، الإسكندرية؛ مركز التعاون الجامعي؛ 1967.

- شحاتة محمد إسماعيل، **مصر في عصري البطالمة والرومان**،القاهرة: دار الكتاب الجامعي؛ 1999.

- شريف الصبان و سعيد عبد الحفيظ ،**المجتمع المصري عبر العصور**،القاهرة؛الزعيم للطباعة؛ 1999 .

- عاصم أحمد حسين، **دراسات في تاريخ وحضارة البطالمة**،ط03؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية؛ 1991.

- عبد الحليم محمد حسن، **تاريخ مصر في عصر البطالمة**،القاهرة: دار الثقافة العربية؛ 1998.

- عبد العزيز صالح ، **التربية والتعليم في مصر القديمة**، القاهرة؛ 1999 .

- عبد اللطيف أحمد علي، **التاريخ اليوناني**،بيروت: دار النهضة العربية؛ 1981 .

ـــــــــــــــــــــــ ، **مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية**،القاهرة: 1960 .

- فادية محمد أبوبكر، **دراسات في تاريخ مصر "العصر البطلمي"** ،الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية؛ 1997.

- لطفي عبد الوهاب يحيى و آخرون، **التاريخ اليوناني الروماني**،القاهرة؛ شركة مطابع المدينة؛ 2004.

- ليونارد كوتريل وآخرون، **الموسوعة الأثرية العالمية**، تر: محمد عبد القادر محمد و زكي إسكندر، مراجعة: عبد المنعم أبوبكر،القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

- محمد أحمد كشاف و سيد عجاج، **فنون وآثار مصر في العصرين اليوناني والروماني**، دون دار نشر أو سنة طبعة .

- محمد حمدي ابراهيم ،**الأدب السكندري** ، القاهرة؛ بدون تاريخ .

- محمد فهمي عبد الباقي، **محاضرات في تاريخ مصر البطلمية**، القاهرة: بدون سنة طبع .

- مصطفى العبادي، **العصر الهلينستي (مصر)**،بيروت: دار النهضة العربية؛1981.

ـــــــــــــــــــــــ . ،**مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي**،(القاهرة: 1985) .

- مصطفى النشار، **مدرسة الإسكندرية الفلسفية " بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية "**،ط 01 : القاهرة ؛ دار المعارف؛ 1995 .

- نبيل راغب ، **عصر الإسكندرية الذهبي** ،القاهرة؛ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ؛ 1993 .

- هـ .آدريس بل، **مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي "دراسة في إنتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها"**،تر: عبد اللطيف أحمد علي،بيروت ؛ دار النهضة العربية؛ 1988.

ـــــــــــــــ ، **الهليلينية في مصر "بحث في وسائل انتشارها وعوامل اضمحلالها من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي"** تر: زكي علي،القاهرة : دار المعارف؛1959.

- و . و . تارن،**الحضارة الهلنستية**،تر:عبد العزيز توفيق جاويد ،مراجعة:زكي علي،القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية؛ 1966 .

- ويل ديورانت،قصة الحضارة"حياة اليونان"،تر:محمد بدران،(ط03: القاهرة؛منشورات الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية؛1973) ج03م02 .

ثالثا :المراجع باللغة الأجنبية :

-*Boardman. J,* ***Greek Art****. Thames & Hudson, London* 1981.

-*Bowman,a.k.****Egypt after the pharaohs****.London*.1983.

- *Bevan.Edwyn,* ***A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty****, Oxford,London* 1927**.**

- *Feaser, P.M.* ***Ptolmaic Alxandria****.Oxford*.1984.

- *Glotz.G.****Le travail dans la Grèce ancienne****.*1920.

- *Jouguet. p,* ***Alexander the Great and the Hellenistic Civilization****,Chicago* 1978 .

- *Lioyed.A.B,****Herodotus Book II*** *Introduction. Leiden. Brill* 1975.

- *Lumbroso Giacomo,* ***Recherches sur l'economie politique de l'Egypte sous les Lagides****. Turin: Imprimerie Royale,* 1870.

- *Mahaffy,* ***The Empire of the Ptolmies****, London,* 1895.

- *Préaux .C,****L'économie royale des Lagides****,Bruxelles,Fondation Égyptologique Reine Élisabeth,*1939.

- *Rostovtzeff.M,* ***A large Estate in Egypt in the third Century b.c****.university Press of Wisconsin, Madison*.1922.

----------***The Social and Economic History of the Hellenistic World***,

Oxford.1941,**03** *Vol*.

-*Wallbank.F.W,* ***Tle Hellenistia World****.London* 1992.

رابعا: الدوريات والمقالات والرسائل الجامعية:

– سيد أحمد علي الناصري، "**الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة**" مجلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني؛ أفريل؛ 1979 .

– محمد عواد حسين، "**شؤون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد إيوارجتيس الثاني**"، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة؛ جامعة الملك فؤاد الأول؛ 1947.

– ــــــــــــــ، "**الإقطاعات العسكرية في مصر البطلمية**"، المجلة التاريخية المصرية، العدد الثاني من المجلد الثاني؛ أكتوبر 1949 .

– مصطفى العبادي، **مجتمع الإسكندرية في العصر البطلمي**، 03 جانفي 2001، (http.//www.al-mostafa.com)، 22 أوت 2007 ، 959 ك . ب .

– محمود إبراهيم السعدني، **تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان**، السلسلة(03) من قراءات في التاريخ القديم، القاهرة؛ مكتبة الأنجلو المصرية؛ 2000 .

خامسا: المجلات الأجنبية:

- *Barber, E.A.* ***Alexandrian Literature****. In The C.A.H ,Vol VII.*1925 *pp* 249-283.

- *Collartr.p,* ***À l'école avec les petits Grecs d'Égypte****, CE* 22,1936, *p.* 489-507.

- *Errin gton.R.M,* ***From Babylom to TriparadeiSOS* 323-320 *B.C*** *. J.H. S.*1970.

- *Jones WHS and TL Heath.****Hellenistic Science and Mathematics****, In The C.A.H,vol VII.*1925, *pp* 284-311.

- *Jouguet, P,* ***Les destinées de l'hellénisme dans l'Égypte gréco-romaine****, CE* 19, *janvier* 1935, *p.* 89-108.

- *Préaux .C,****Les Égyptiens dans la civilisation hellénistique d'Égypte****, CE*18;1943 *No.* 35, *pp.* 148-160.

الملاحق

ملاحق الخرائط

الملحق رقم 01:

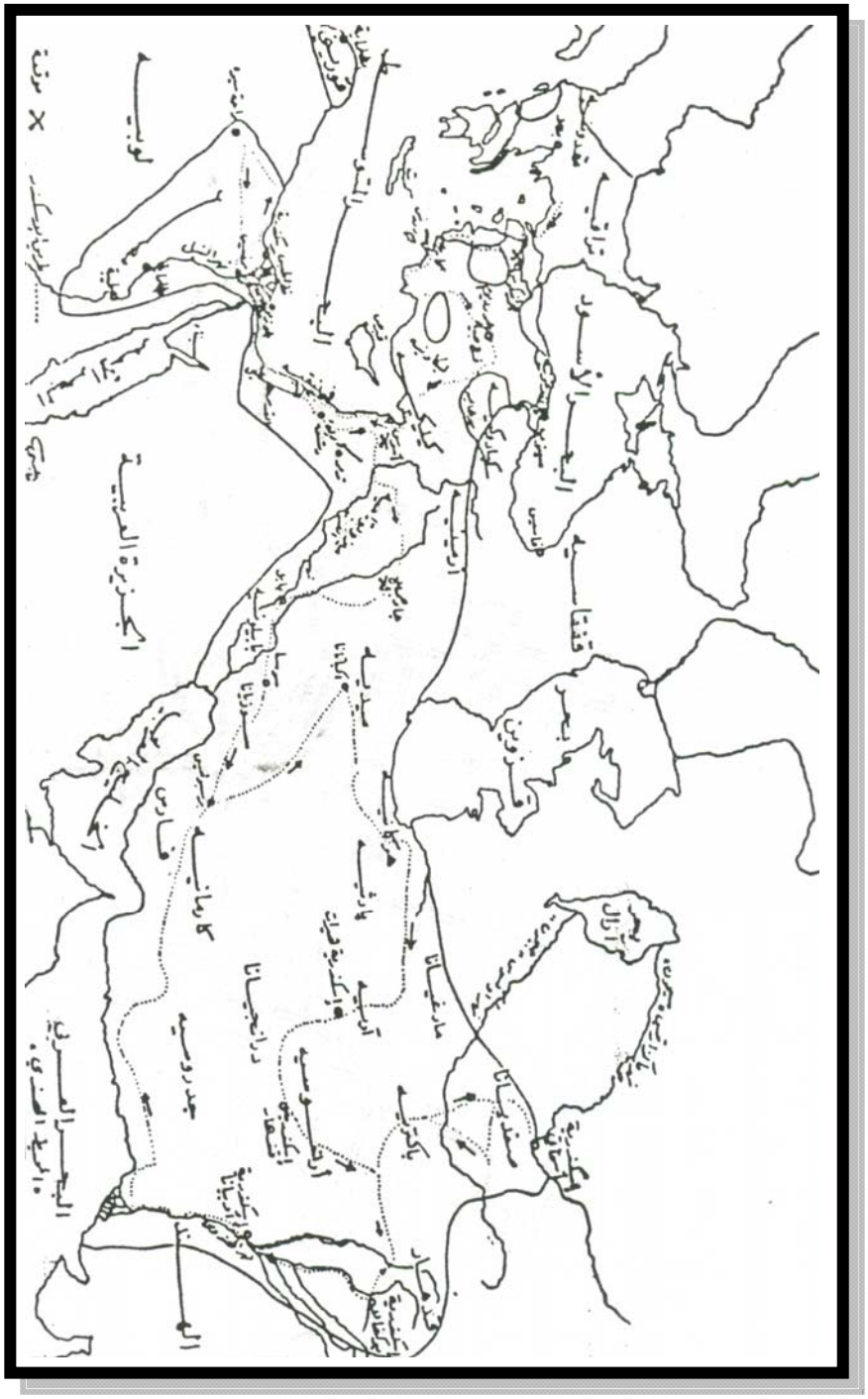

خريطة توضح إمبراطورية الإسكندر الأكبر و خط سيره[1]

[1] - محمد فهمي عبد الباقي، المرجع السابق، ص 284 .

الملحق رقم02:

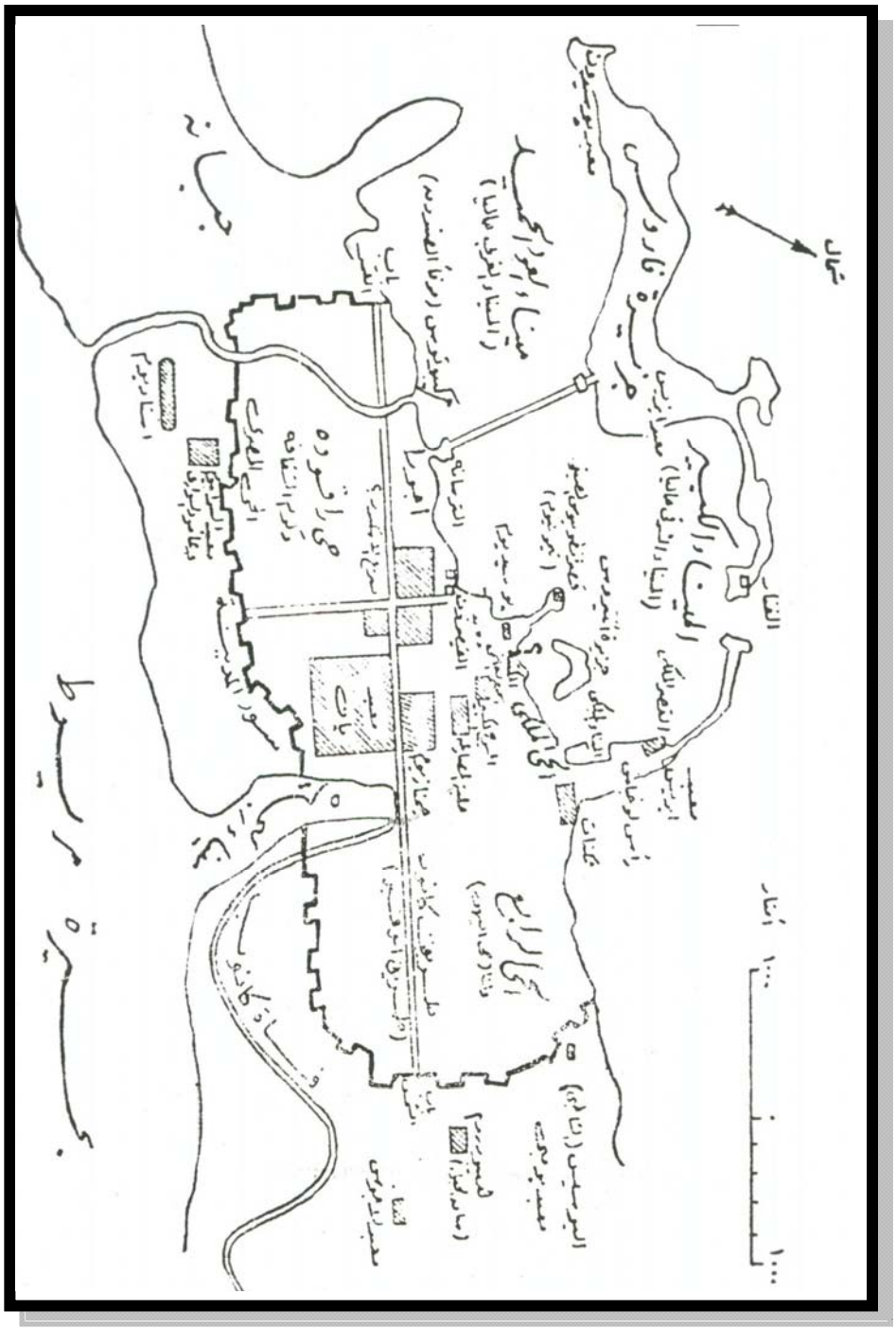

خريطة توضح مدينة الإسكندرية بأحيائها الأربعة في عصر البطالمة[1]

[1] .مصطفى العبادي، العصر الهلينستي، ص 225 .

الملحق رقم 03:

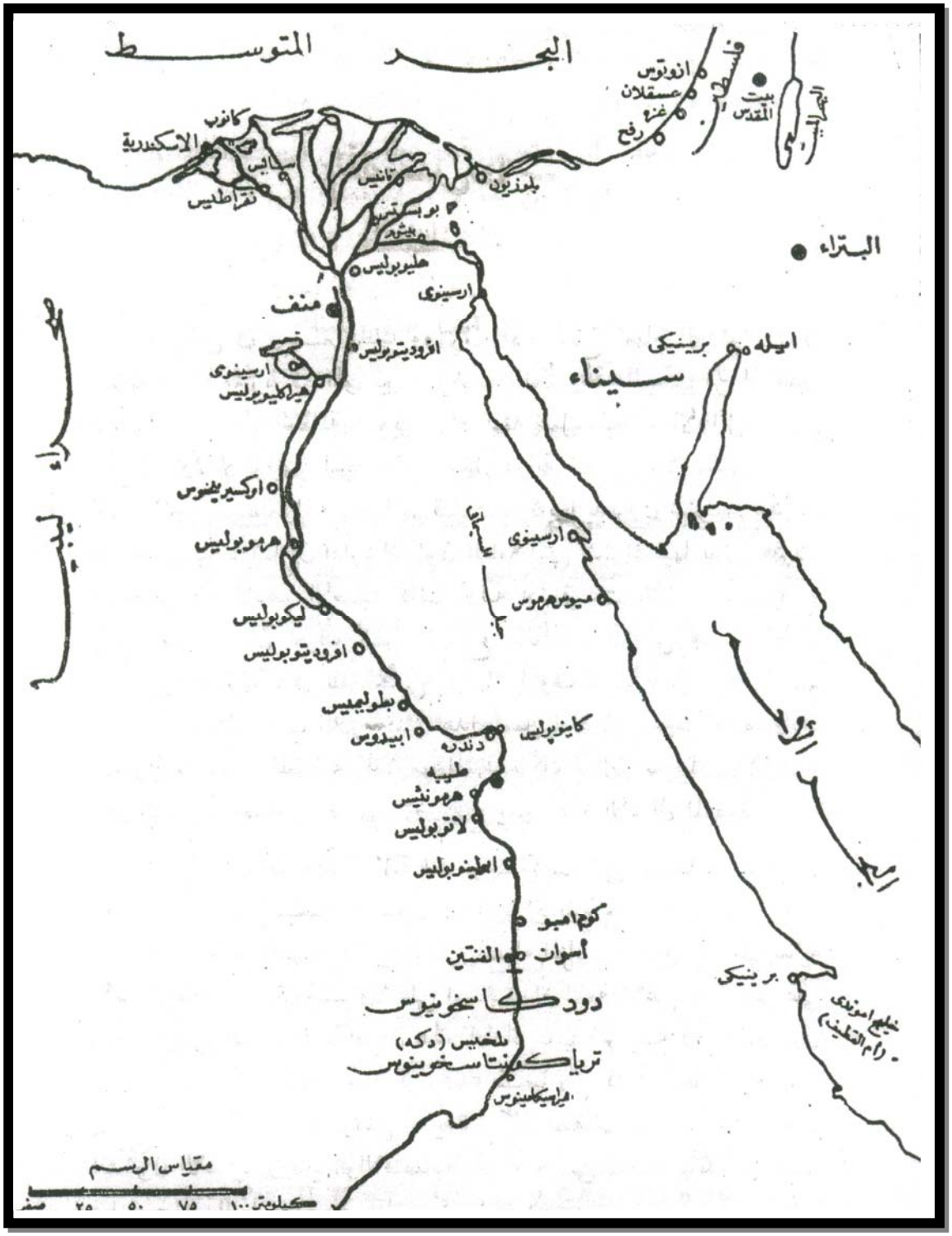

خريطة مصر في عصر البطالمة[1]

[1] .إبراهيم نصحي، مصر في عصر البطالمة،ج02 ص 220 .

الملحق رقم 04:

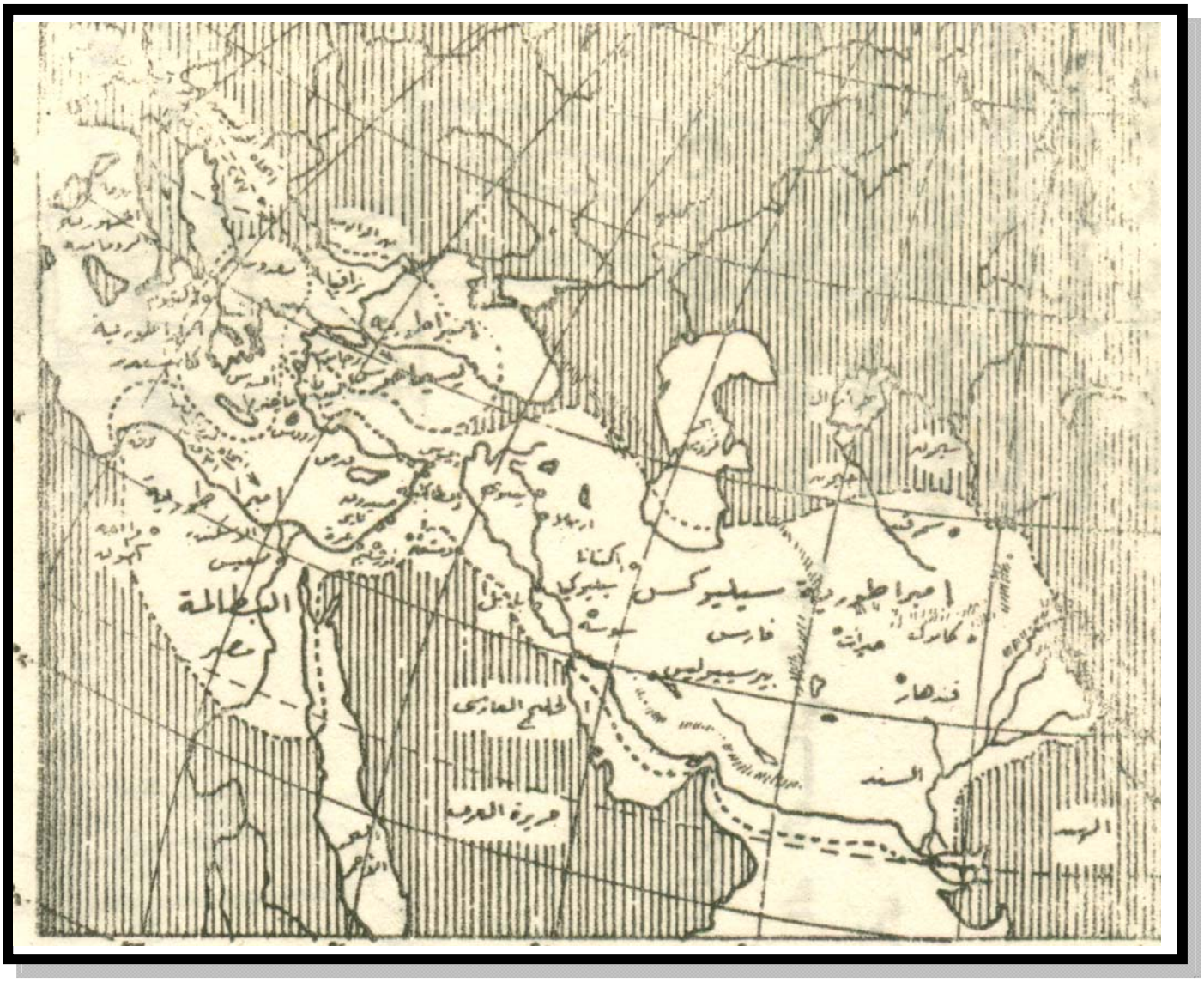

خريطة لأهم الممالك الهلينستية التي ظهرت بعد صراع القادة المقدونيين عقب وفاة الإسكندر الأكبر[1]

[1] .نبيل راغب ،المرجع السابق، ص 351 .

الملحق رقم 05:

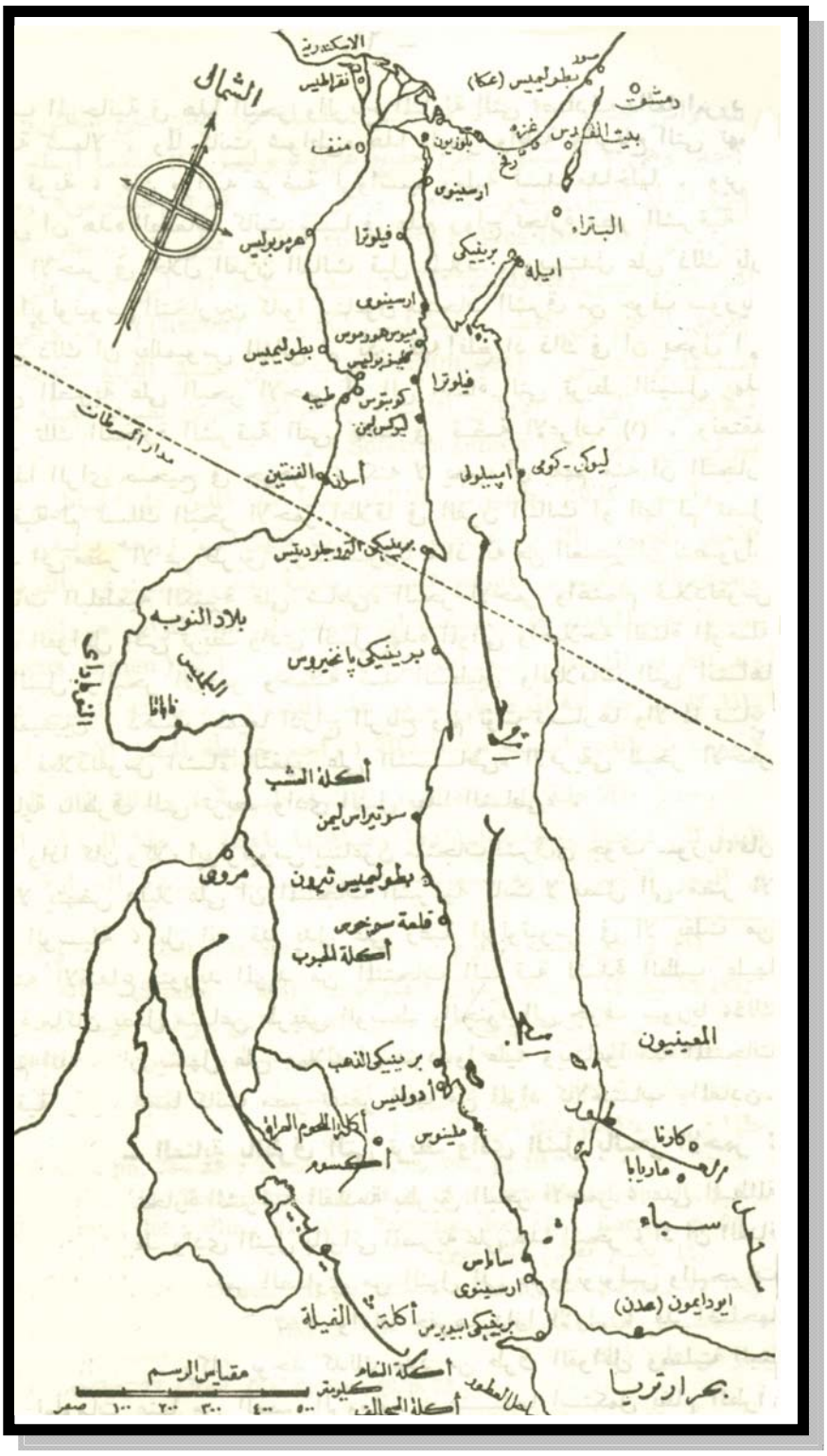

خريطة البحر الأحمر مع أهم النقاط التجارية و المرافئ و الموانئ التي أنشأها البطالمة[1]

[1] – إبراهيم نصحي، المرجع السابق ج02، ص63 .

الملحق رقم 06:

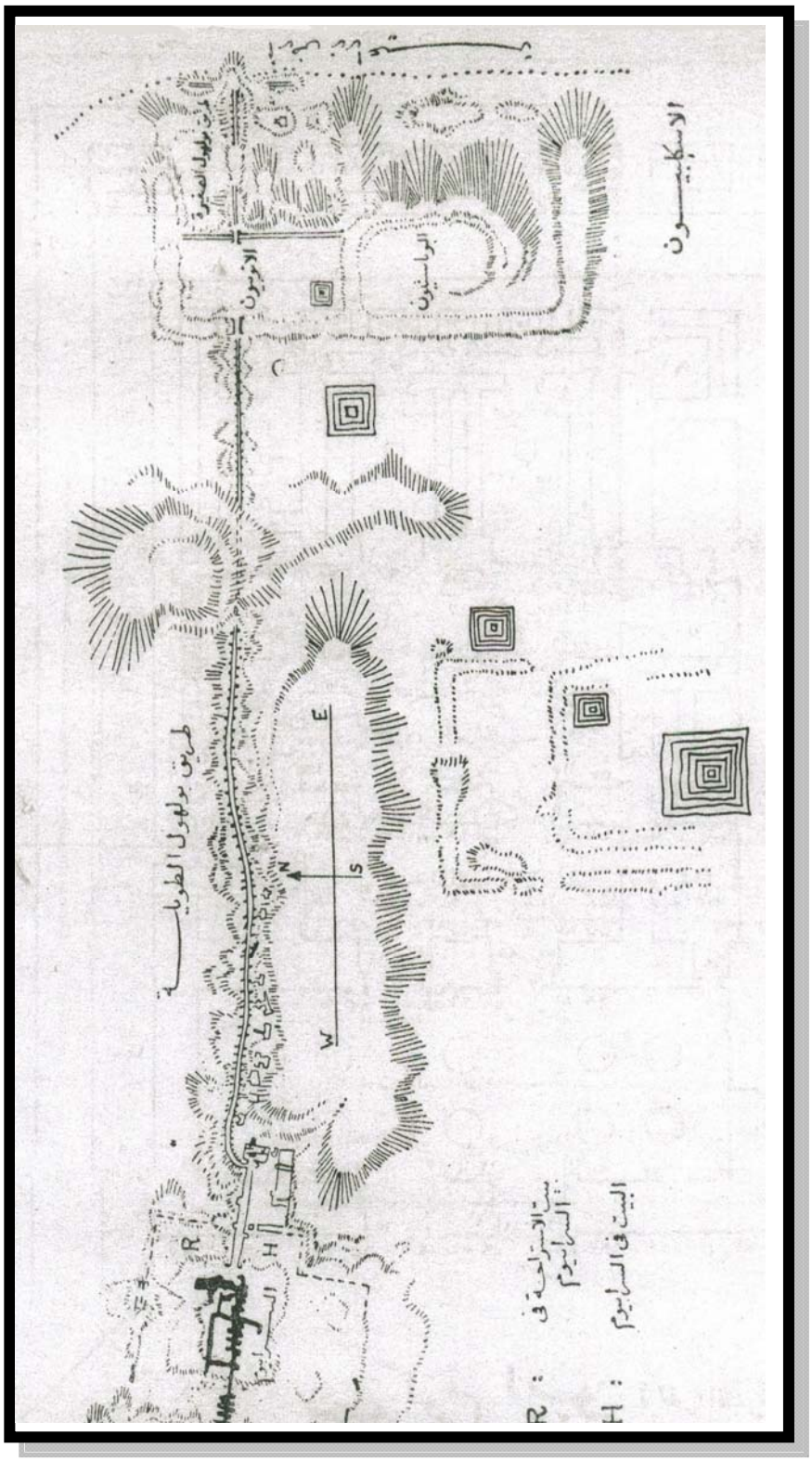

رسم تخطيطي يوضح السيرابيوم والأبنية المجاورة له [1]

[1].سليم حسن، المرجع السابق،ص 757.

الملحق رقم 07:

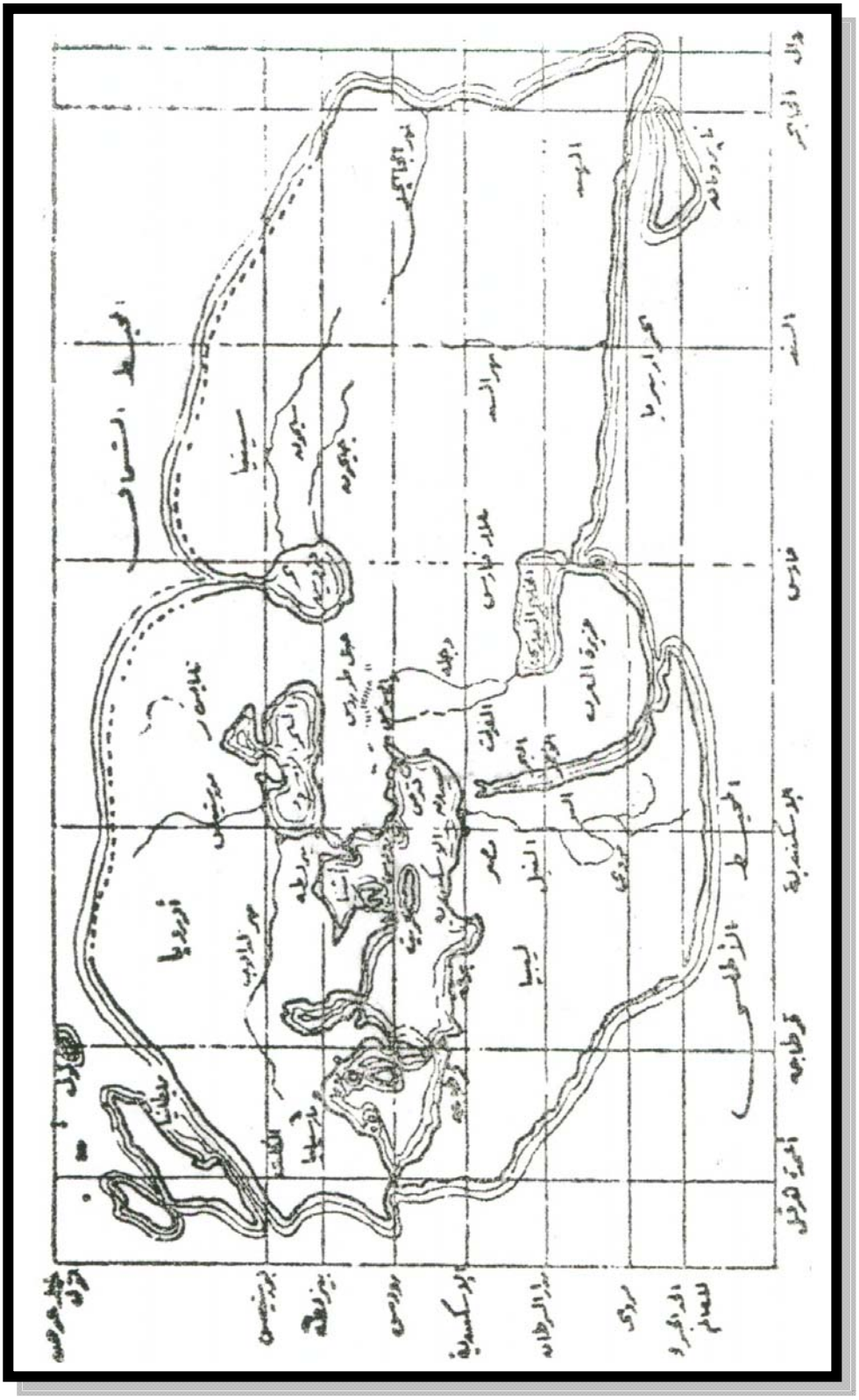

خريطة إيراتوسيثنيس للعالم المعروف عنده حوالي 200 ق.م.[1]

[1].نبيل راغب ،المرجع السابق، ص 354 .

ملاحق الأشكال والصور

الملحق رقم 08:

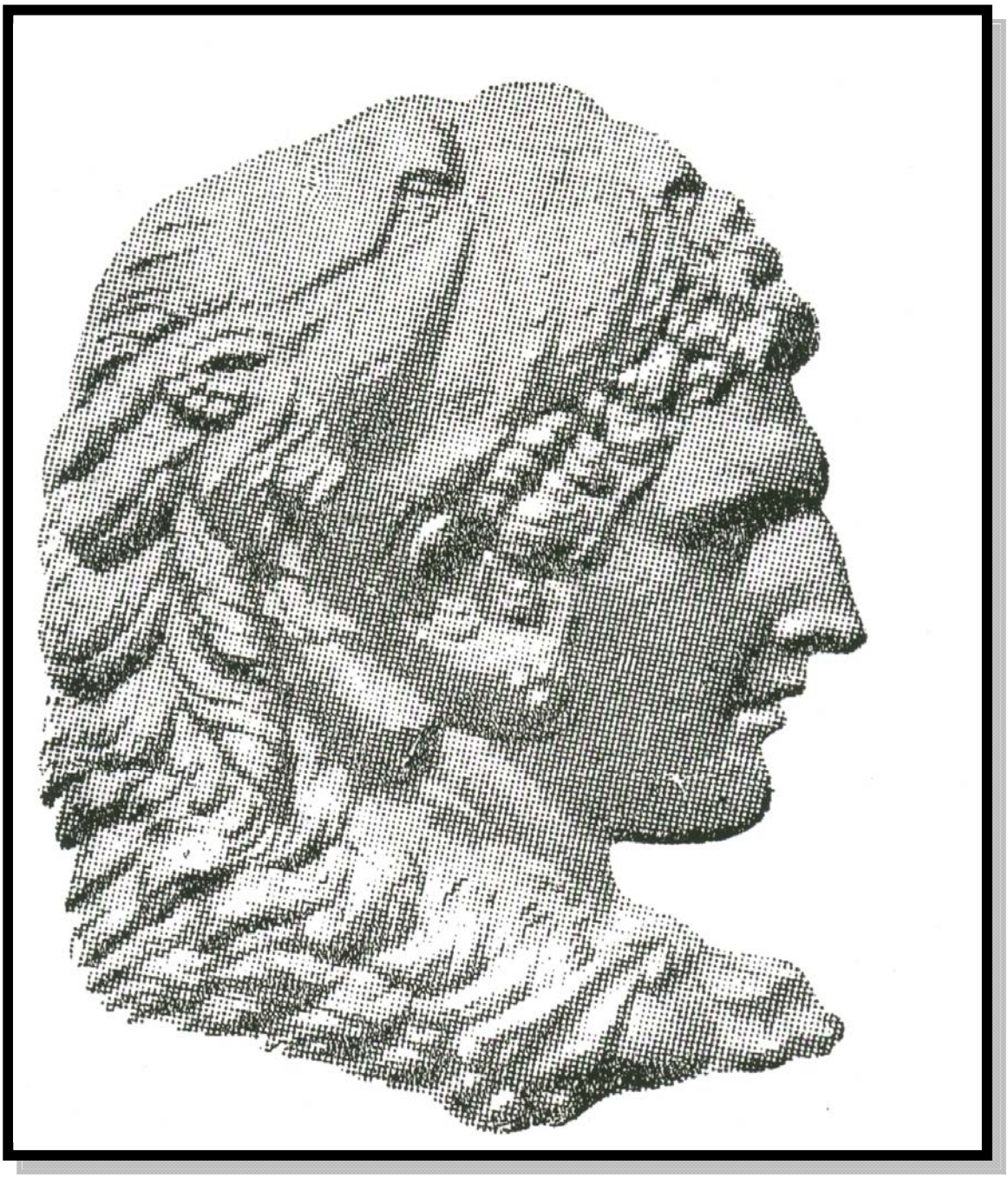

الإسكندر المقدوني (336. 323 ق .م)[1]

[1] .زكي علي ، الإسكندرية في عصر البطالمة والرومان، ص 03 .

الملحق رقم 09:

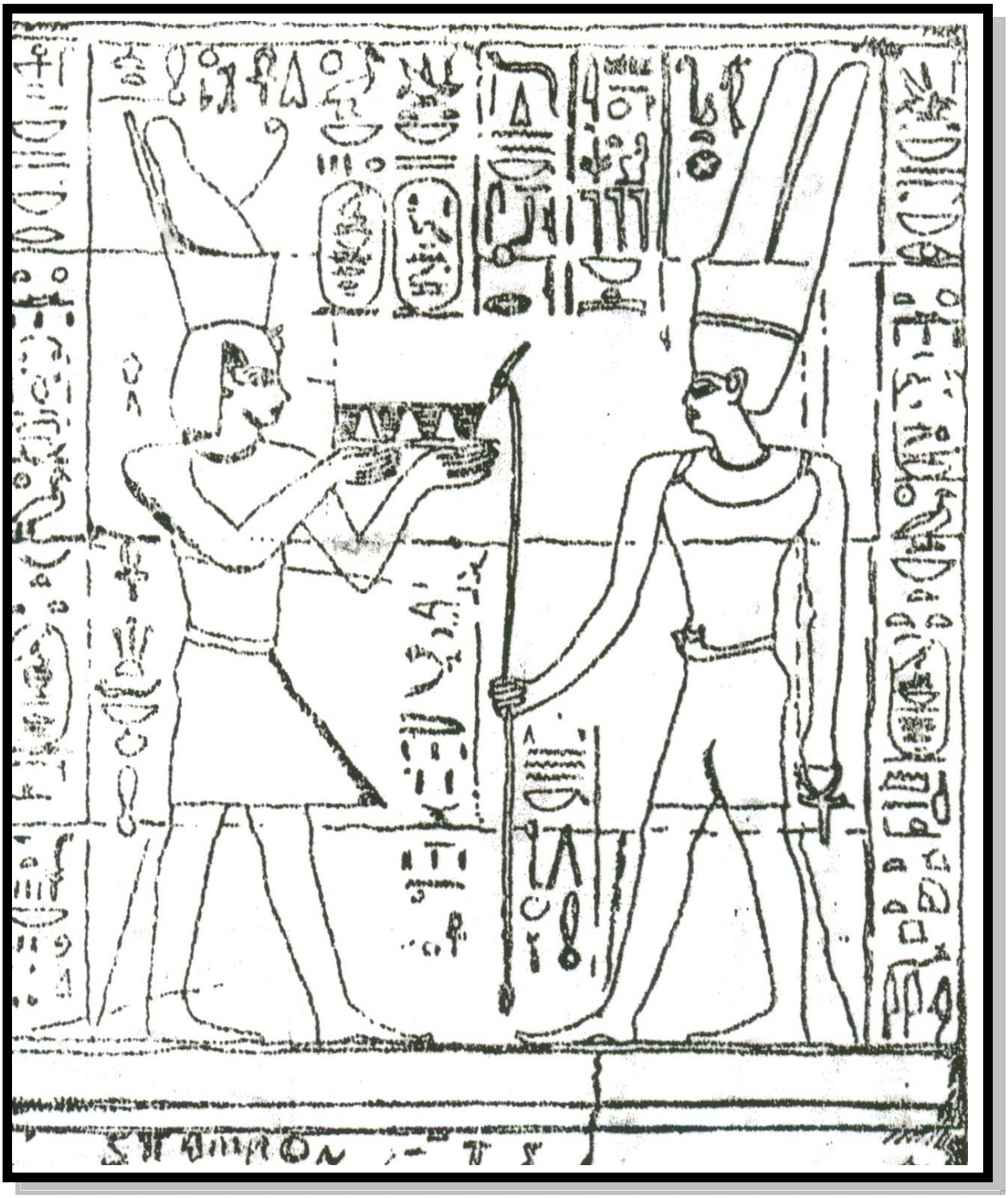

صورة توضح الإسكندر الأكبر يقدم القرابين للإله أمون[1]

[1] نبيل راغب، المرجع السابق، ص 351.

الملحق رقم 10:

قطعة نقدية عليها صورة مؤسس دولة البطالمة "بطلميوس الأول"[1]

[1] .محمد فهمي عبد الباقي، المرجع السابق ص 290 .

الملحق رقم 11:

الملوك البطالمة

بطلميوس الاول (سوتير)	٣٢٣ – ٤/٢٨٥	ق . م .
بطلميوس الثانى (فيلادلفوس)	٤/٢٨٥ – ٢٤٦	ق . م .
بطلميوس الثالث (يوارجيتس)	٢٤٦ – ٢٢١	ق . م .
بطلميوس الرابع (فيلوباتور)	٢٢١ – ٢٠٤	ق . م.
بطلميوس الخامس (ابيفانس)	٢٠٤ – ١٨١	ق . م .
بطلميوس السادس (فيلوميتور)	١٨١ – ٨٠ – ١٤٥	ق . م .
بطلميوس السابع (يوباتور)	١٤٥	ق . م.
بطلميوس الثامن (يوراجتيس الثانى) (بالاشتراك مع أخيه فيلوميتور)	١٧٠ – ٦٩ – ١٤٥	ق . م.
منفـــردا	١٤٥ – ١١٦	ق . م .

كليوباترا الثالثة مع ابنائها بطلميوس التاسع سوتير الثانى وبطلميوس العاشر (الاسكندر الاول) بطلميوس الحادى عشر (الاسكندر الثانى)

بطلميوس العاشر (الاسكندر الاول)	١٠١ – ٨٨	ق. م. منفردا
بطلميوس التاسع (سوتير الثانى)	٨٨ – ٨٠	ق .م. منفردا
برينيكى الثالثة	٨٠ ق . م .	
بطلميوس الثانى عشر (نيوس ديونيوس)	٨٠ – ٥١ ق . م .	

كليوباترا السابعة مع أخويها بطلميوس الثالث عشر بطلميوس الخامس عشر وابنها بطلميوس الرابع عشر (قيصـــرون) ٥١ – ٣٠ ق . م

قائمة الملوك البطالمة وسنوات حكمهم[1]

[1] - فادية أبوبكر، المرجع السابق، ص 363 .

الملحق رقم 12:

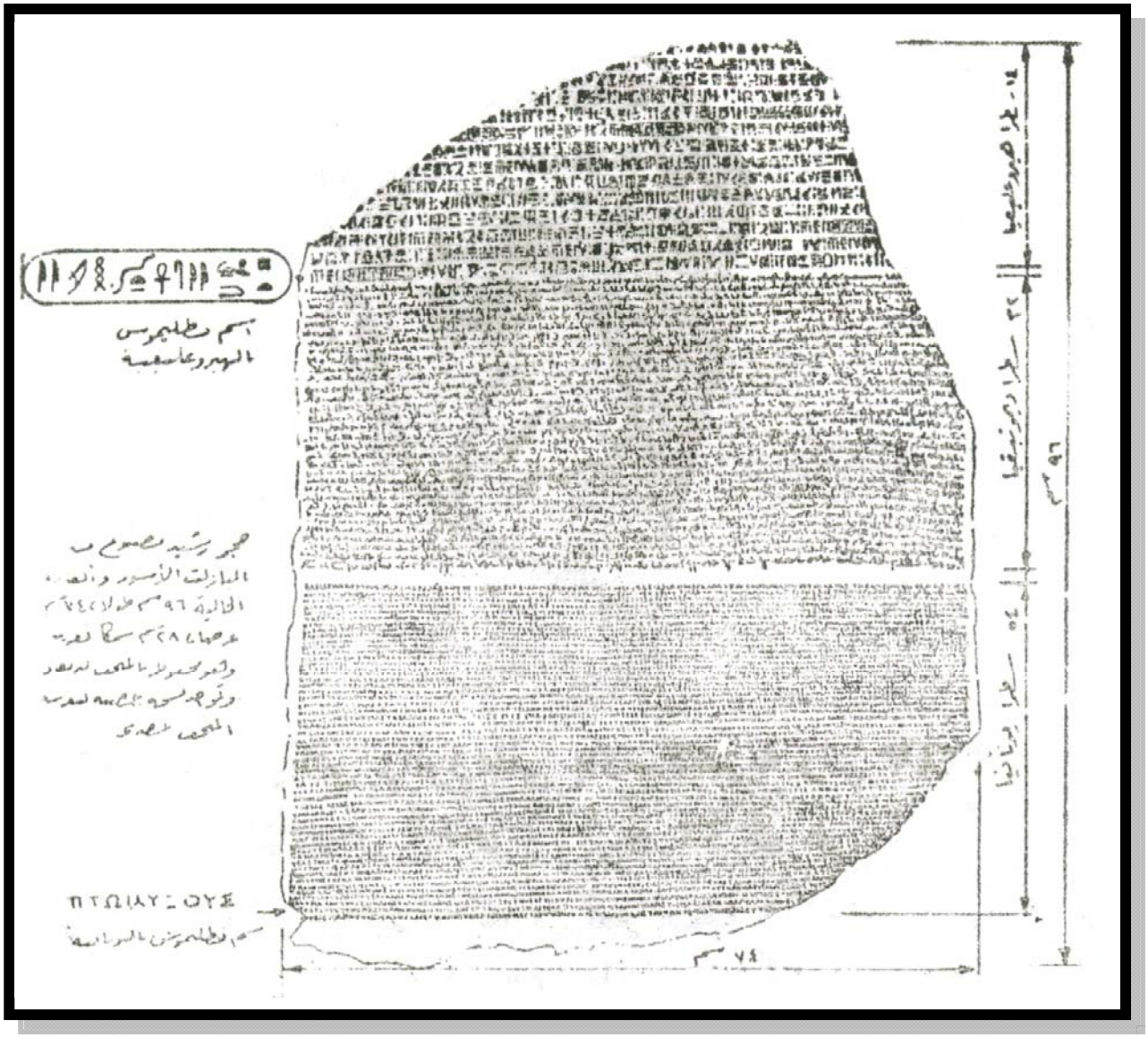

حجر رشيد[1]

وجد حجر رشيد في شهر جويلية من عام 1799 .م. في إحدى قلاع مدينة رشيد عند مصب النيل أثناء حملة نابوليون بونابارت على مصر. وقد وجده الضابط الفرنسي "بوشار" من سلاح المهندسين. وقد أمر نابوليون بطبع نسخ من نقوشه وتوزيعها على علماء أوربا لفك رموزه، فقد تبين أن النص الأعلى هيروغليفي والأوسط ديموطيقي والأسفل إغريقي. والحجر معروض الآن في المتحف البريطاني.

[1]- نبيل راغب ،المرجع السابق، ص 359 .

الملحق رقم 13:

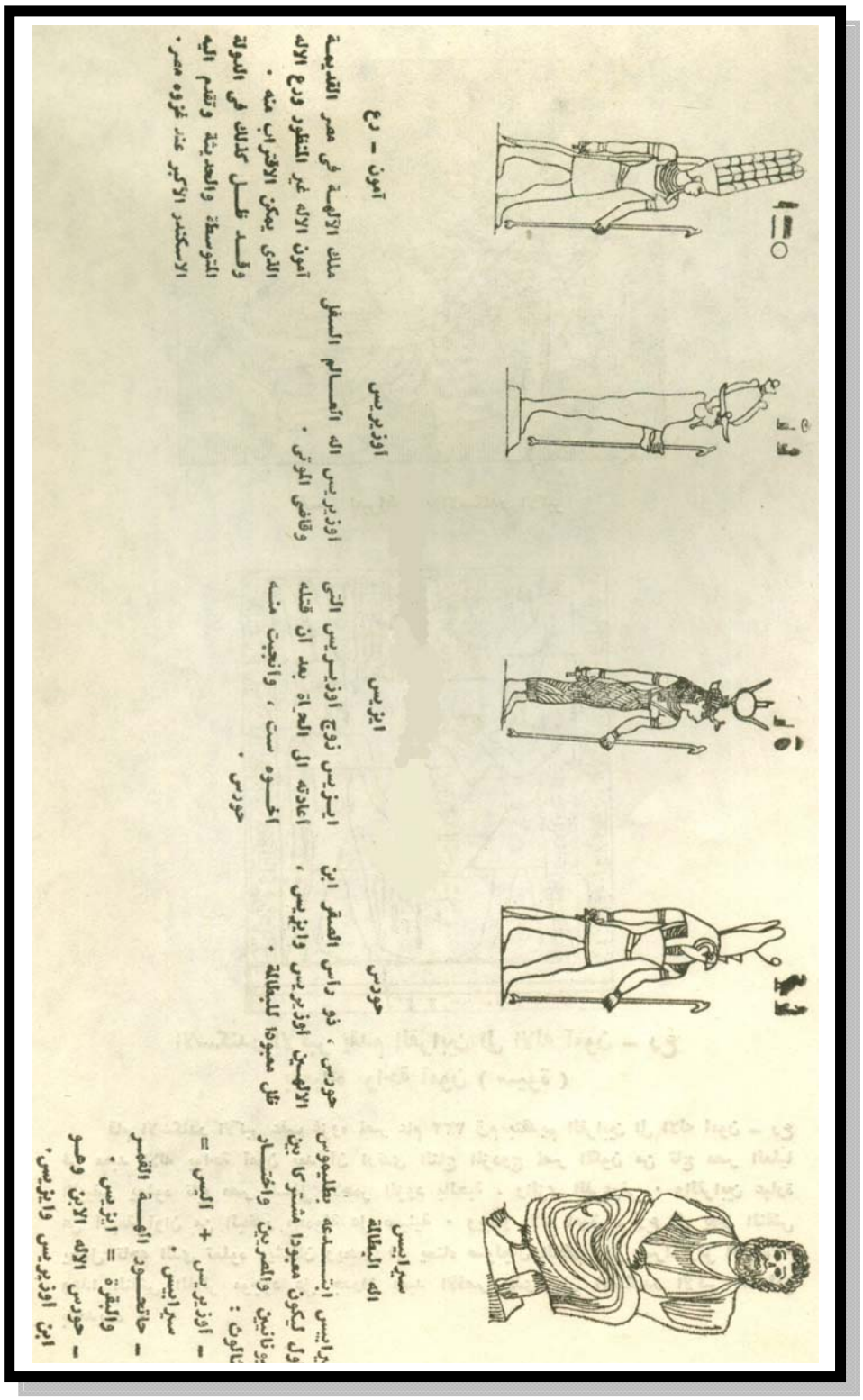

سيرابيس
اله البطالمة

حورس ، ذو رأس الصقر ابن الالهين اوزيريس وايزيس ، ظل معبودا للبطالمة .

ايزيس
ايزيس زوج اوزيريس التي اعادته الى الحياة بعد ان قتله اخوه ست ، وانجبت منه حورس .

اوزيريس
اوزيريس اله العالم السفلي وقاضي الموتى .

آمون - رع
ملك الآلهة في مصر القديمة آمون الاله غير المنظور ورع الاله الذي يمكن الاقتراب منه . وقد ظل كذلك في الدولة المتوسطة والحديثة وتقدم اليه الاسكندر الاكبر عند غزوه مصر .

آلهة المصريين القدماء الذين عبدهم البطالمة[1]

1 - نبيل راغب ،المرجع السابق، ص 352 .

الملحق رقم 14:

صورة الإله سيرابيس كما عبده المصريين[1]

[1] - حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 425.

الملحق رقم 15:

صورة الإله سيرابيس كما عبده الإغريق والمقدونيين[1]

[1].زكي علي ،المرجع السابق ،ص 08 .

الملحق رقم 16:

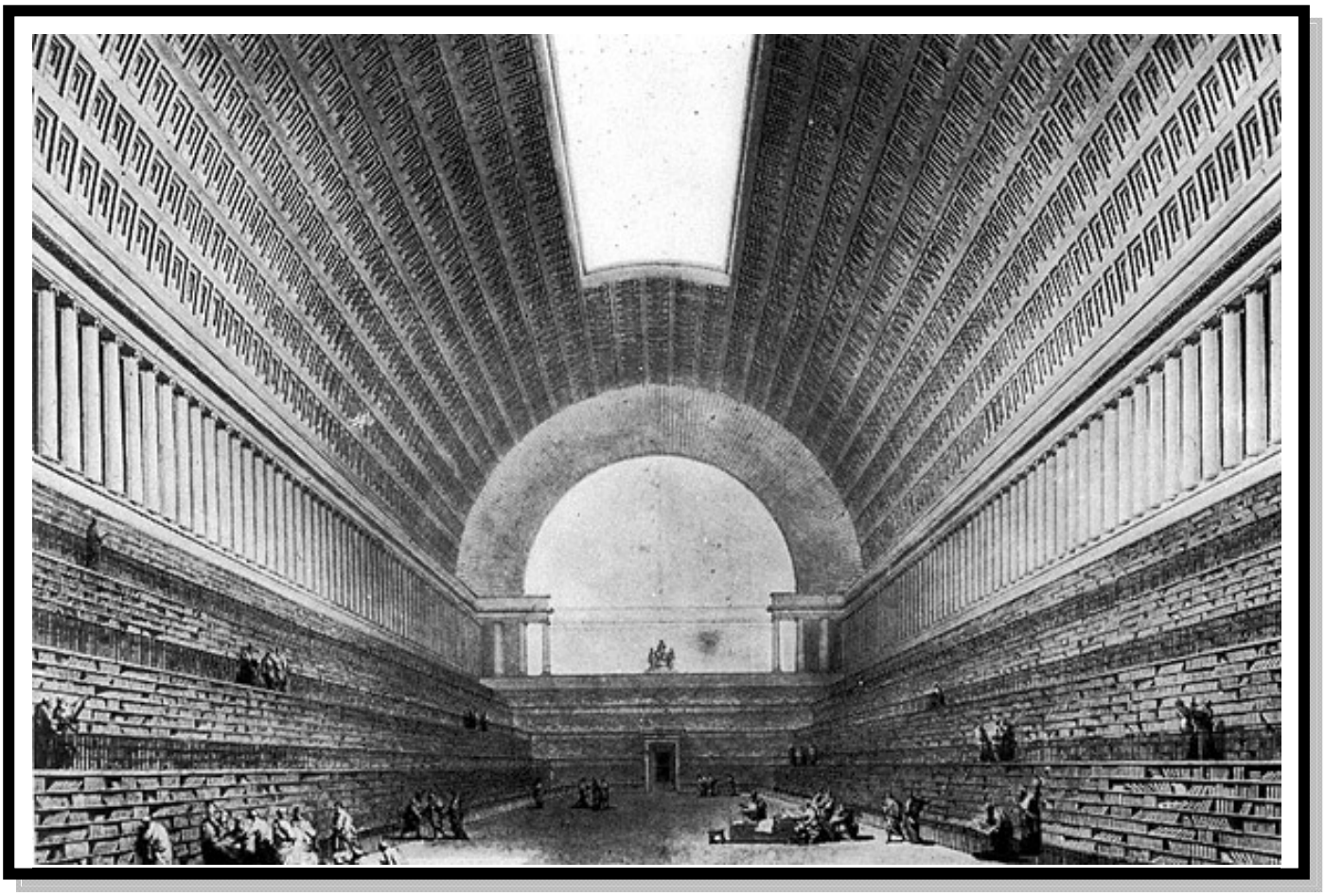

صورة لمكتبة الإسكندرية كما تخيلها بعض الفنانين.

فهرس أسماء الأعلام والأماكن والآلهة

(أ)

أبريس = واح أب رع ـ ملك : 11، 12 .

إبسماتيك الأول ـ ملك : 10 ، 11 .

إبسماتيك الثالث ـ ملك : 12 .

إبسماتيك الثاني ـ ملك : 11 .

إبسوس : 17 .

أبوللونيوس الرودسي : 130، 138 .

أبولو ـ إله : 116 .

أبولولو ـ إله : 121 .

أبولونيوس ـ حاكم : 20 .

أبولونيوس ـ وزير مالية : 32 ، 48، 52، 53، 63، 76، 88 ، 114 .

أبولونيوس الإبيمليتيس : 70 .

أبيدوس ـ بلد : 141 .

أبيس ـ إله : 17 .

الأبيض المتوسط ـ بحر : 10، 11، 13، 18، 21، 24، 26، 71 ، 74، 77، 78، 79، 85، 139 .

أثينا ـ بلد : 12 ، 13، 14، 22، 120، 123، 126، 129 ، 131، 132، 136، 137، 144 152، 153 .

إثيوبيا ـ بلد : 143 .

أجثارخيديس : 57 ، 142، 143 .

أجديستيس ـ إله : 113 .

أجزركسيس ـ ملك : 12، 13 .

الأحمر ـ بحر : 11 ، 12 ، 74 ، 75، 76، 77، 78، 142 143 .

أحمس الثاني ـ ملك : 11 ، 12 .

آخت آتون ـ بلد : 09 .

أخناتون ـ ملك : 09 .

إدفو ـ بلد : 46 ، 51، 67، 104، 108 .

أدونيس ـ إله : 113 .

أراتوس السولي : 129، 154 .

أراجوس ـ بلد : 08 .

أراسيستراتوس : 123، 149، 150 .

أرتاجزركسيس ـ ملك : 13 ، 14 .

أرتاجزركسيس الثالث = أخوس ـ ملك : 15 .

أرتاجزركسيس الثاني ـ ملك : 14 .

أرتيميدروس : 144 .

أرخميدس ـ عالم : 33 ، 146 ، 147 ، 148 .

أرستوفانيس البيزنطي : 123، 130، 131، 132، 139 .

أرسطو : 20 ، 120، 123، 125، 149، 150 .

أرسطون : 75 .

أرسينوس ـ بلد :108 .

أرسينوى ـ بلد : 51 ،57 ،63 ،87 .

أرسينوى فيلادلفوس ـ ملكة : 73 .

أرسينوى ـ ميناء :76، 77 .

أريانوس ـ مؤرخ: 20 ،24 .

أريستارخوس :123، 132، 139، 152، 153، 154 .

أريستوفانيس الأثيني :132 .

أريستوكسينوس :139 .

أريستيللوس :152 .

إسبرطة ـ بلد : 08 ،14 ،15 .

الإسكندر الأكبر ـ ملك : 08، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 36، 45، 47، 50، 56، 71، 82، 83، 84، 101، 107، 109، 110، 120، 121، 126، 136، 140، 142، 149 .

الإسكندر الرابع ـ ملك : 24 ،26 ،27 .

الإسكندر ـ كاتب : 137 .

الإسكندرية ـ بلد : 18، 19، 20، 21، 22، 27، 36، 37، 39، 55، 56، 57، 66، 67، 71، 72، 73، 78، 81، 83، 85، 88، 89، 92، 94، 100، 101، 103، 105، 107، 108، 109، 110، 112، 115، 120، 121، 123، 125، 124، 126، 128، 129، 130، 131، 133، 132، 134، 136، 137، 138، 139، 140، 142، 144، 145، 148، 149، 150، 152، 151، 153، 154 .

إسكيليبياديس :139 .

أسوان ـ بلد : 46 ،77 ،108 .

أسود ـ بحر :73، 75، 79 .

آسيا :145 .

آسيا الصغرى ـ بلد :10، 16، 24، 26، 27، 47، 73 .

أسيوط ـ بلد :75 .

آشور ـ بلد : 11 ،122 .

الأطلسي ـ محيط : 145 .

أفاجوراس ـ ملك : 14 .

أفروديتي برنيكي ـ إله :115 .

إفريقيا ـ بلد :74 ، 77 ،144، 145 .

إفسوس ـ بلد : 75 .

أفلاطون :14، 141، 142، 146 .

إقليدس :144، 145، 146، 147، 148 .

ألكسندر البلوروني : 128 .

إليوسيس ـ بلد : 129 .

أمناريس : 43 .

أمنحوتب الثالث ـ ملك :08، 09 .

أمنحوتب الرابع ـ ملك : 09 .

أمور تايوس :13 .

أمور تايوس الثاني ـ ملك :14 .

آمون ـ إله :18، 19، 43، 45، 140 .

أمينوفيس ـ ملك :103 .

أناكريون :127، 128 .

أناكساجوراس :14 .

أنتيباتروس : 24، 26 .

أنتيجونوس : 24، 26، 27، 28، 30، 82، 120 .

أنتيجونيا ـ بلد :82 .

أنتيفيلوس ـ ميناء :76 .

أنطاكية ـ بلد : 74، 126 .

أنطيوخوس التاسع ـ ملك :113 .

أنطيوخوس الثامن ـ ملك :111 .

أنطيوخوس الثاني ـ ملك :72 .

أهناسية ـ بلد :103 .

أوديسيا :102 .

أور شليم ـ بلد : 107 .

أوربا :143 .

أورسيوس :135 .

أوريليان ـ إمبراطور : 135 .

أوزيريس ـ إله : 114، 115 .

أوسور ـ أبيس ـ إله :115 .

أوكسورنخوس ـ بلد :92 .

أولمبياس ـ ملكة : 19، 24، 26 .

أولمبيوس ـ إله :116 .

أونياس الرابع : 110، 111 .

إيتوليا ـ بلد :137 .

إيجة ـ بحر :72، 74، 126 .

إيجينا ـ جزيرة : 11 .

إيراتو ـ إله :121 .

إيراتوسطين :126 .

إيراتوسيثنيس البرقاوي : 130، 131، 140، 142، 143، 146، 153 .

إيزيس ـ إله : 46، 114، 115 .

إيسخلوس :126، 132 .

إيطاليا ـ بلد : 68، 73 .

أيلة ـ خليج :75 .

إيناروس = أمون حر :13 .

أيونيا ـ بلد :12 .

(ب)

باب المندب ـ مضيق :75، 76 .

بابل ـ بلد : 11، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 126 152 .

باريتونيوم ـ بلد : 19 .

باقخيوس :151 .

بامفوليا ـ بلد :27، 148 .

بان ـ معبد :108، 116 .

باوسانياس :20 .

بتاح ـ إله :17 .

بتسيس :20 .

براكساجوراس الكوسي :150 .

برجامة ـ بلد :132، 135، 136، 137، 139 .

برجة ـ بلد :149 .

برديكاس ـ قائد عسكري :23، 24، 25، 26، 36 .

برقة ـ بلد :18 .

برنيكي ـ بلد :776 .

برنيكي ـ ملكة :148 .

بريو ـ باحثة أثرية :76، 105 .

البسفور ـ مضيق :74 .

بطلميوس ـ عالم فلكي :154 .

بطلميوس ـ ملك قورينائية :108 .

بطلميوس الأول = سوتير ـ ملك :21، 22، 23، 24، 25، 26، 30، 32، 36، 47، 55، 64، 74، 78، 82، 83، 84، 85، 94، 95، 110، 114، 117، 118، 120، 121، 122، 123، 125، 140، 141، 144، 150، 152، 154 .

بطلميوس التاسع = سوتير الثاني ـ ملك :106، 111، 113 .

بطلميوس الثالث = يوارجيتيس ـ ملك :32، 48، 58، 65، 83، 84، 89، 101، 108، 110، 125، 126، 131، 139، 148 .

بطلميوس الثامن = يوارجيتيس الثاني ـ ملك :42، 45، 46، 50، 105، 106، 111، 112، 113، 124، 132، 133 .

بطلميوس الثاني = فيلادلفوس ـ ملك :22، 31، 32، 42، 47، 51، 52، 58، 62، 64، 76، 77، 79، 83، 84، 95، 101، 108، 109، 110، 121، 128، 129، 139، 141، 144، 152 .

بطلميوس الحادي عشر = الإسكندر الثاني ـ ملك :107 .

بطلميوس الخامس = إبيفانس ـ ملك :45، 58، 62، 70،

73، 78، 104.

بطلميوس الرابع = فيلوباتور ـ ملك: 58، 75، 102، 110، 113، 139، 148.

بطلميوس السابع = يوباتور ـ ملك: 132.

بطلميوس السادس = فيلومتور ـ ملك: 75، 101، 105، 110، 111، 116، 132.

بطلميوس العاشر = الإسكندر الأول ـ ملك: 43.

بطوليميس = بطلمية: 36، 55، 56، 76، 85، 116.

بعنخى ـ ملك: 43.

بلاكروس ـ قائد عسكري: 20.

بلوتارخ=بلوتارك: 122، 134، 146.

بلوزيوم ـ بلد: 20.

بندرا: 128.

بنغال ـ خليج: 143.

بنفروس ـ إله: 116.

بنها ـ بلد: 108.

بوؤيس: 114.

بوباسطس ـ بلد: 77.

بوتو ـ معبد: 12.

بوليبرخون: 26.

بوليبيوس ـ مؤرخ: 84، 104، 105، 125.

بوليمون ـ قائد عسكري: 20.

بوليمينا ـ إله: 121.

بويس ـ بلد: 114.

بيتوسيريس ـ مقبرة: 95.

بيزنطة ـ بلد: 72.

بيوكسيتيس ـ قائد عسكري: 20.

(ت)

تاخوس ـ ملك: 103.

تارن ـ مؤرخ وأثري: 86، 92، 93.

تبتونيس: 41، 68.

تحتمس الثالث ـ ملك: 09، 43.

تراقيا ـ بلد: 24، 27.

تربسخورى ـ إله: 121.

تريبارادیوس ـ بلد: 26.

تل أثريب ـ بلد: 108.

تل العمارنة ـ بلد: 09.

تل الفواجير ـ بلد، 67، 77.

تليستيس: 52.

تونس ـ بلد: 73.

تيموثيوس ـ كاهن: 115.

تيموخارس: 152.

تيوتيموس :113 .

تيوس = جحدر ـ ملك : 15 .

تيوفيلوس :135 .

(ث)

ثالاريا ـ إله :121 .

ثمود ـ قوم :75 .

ثيودوسيوس الكبير ـ إمبراطور :135 .

ثيوقراسطس :123 .

ثيوكريتوس ـ شاعر :138، 154.

(ج)

جالينوس :150 .

جلاوقياس :151 .

جوزيفيوس = يوسف ـ مؤرخ :109، 110، 112، 140 .

(ح)

حاربوقراتيس ـ إله :115 .

حتشبسوت ـ ملكة :08 .

الحجاز ـ بلد :75 .

حضر موت ـ بلد :76 .

الحمامات ـ وادي :67، 77 .

حوروس ـ إله :114، 115 .

(خ)

خالكيس ـ بلد :138 .

خباش ـ ملك :12 .

خورسرموس :151 .

(د)

دارا ـ ملك :12 .

دارا الثالث ـ ملك :16 .

دارا الثاني ـ ملك :14 .

دباي ـ نهر :75 .

دجلة ـ نهر :74 .

دلتا ـ بلد :11، 12، 20، 32، 33، 48، 87، 104، 140 .

دمشق ـ بلد :74 .

دمنهور ـ بلد :108 .

دولوسبيس ـ حاكم :20 .

ديلوس ـ بلد :79 .

ديماس ـ حكيم :22 .

ديموستنيس : 20 .

ديموقريتوس :14 .

ديميتريوس ألفاليري: 120، 121، 123، 125، 128، 130 .

ديميتيريوس بن أنتيجونس ـ قائد عسكري :27، 82 .

دينوقراط ـ مهندس :18 .

ديودور الصقلي ـ مؤرخ :30 ،33 ،81 ،82 ،105 .

ديوسيثيوس:147 .

ديونيسوس ـ إله :110 ،115 .

ديونيسوس ثراكس :140 .

ديونيسيوس بيتوسيرابيس :100 ،105 .

(ر)

راقودة ـ بلد : 18 ،116 .

رفح ـ بلد : 28 ، 100 ، 103 ، 105 .

رودس ـ جزيرة :15 ،27 ،30 ،72 ،78 ،130 ،137 ،138 ،143 ،153 .

روستفتزف ـ باحث أثري : 69 ،88 ،102 .

روكسانا ـ ملكة : 23 ،24 ،26 ،27 .

روما ـ بلد : 73 ،78 ، 125 ،134 ،136 ،137 ،139 .

(ز)

زرمد ـ جزيرة :76 .

زينودوتوس : 125 ،128 ،130 .

زينون : 32 ،48 ،52 ،63 ،64 ،65 ،77 ،88 ،89 .

زيوس ـ إله :18 ،41 ،110 ،115 ،121 .

(س)

ساباتزس ـ إله : 110 .

ساباوث ـ إله : 110 .

ساتوروس :74 .

سارتون ـ باحث ومؤرخ :124 ،127 ، 131 ،133 .

ساموس ـ جزيرة : 11 ،137 .

سايس ـ بلد : 104 .

سبأ ـ بلد :75 .

سترابون ـ مؤرخ :11 ،36 ،64 ،122 ،134 ،143 .

ستراتون ـ جزيرة :76 .

ستراتون اللامباسكي :123 ،152 .

سخديا ـ بلد :108 .

سلوقية ـ بلد :74 ،153 .

سلوى ـ بلد : 154 .

سليوقس ـ ملك :26 ،27 ،28 .

سوخوس ـ إله :116 .

السودان ـ بلد :78 .

سوريا ـ بلد :08 ،13 ،16 ،17 ،24 ،25 ،26 ،27 ،28 ،74 ،75 ،76 ،77 ،82 ،102 ،103 ،111 .

سوسيبيوس ـ وزير :102 .

سوفوقليس : 126 ،132 .

السويس ـ بلد :75 ،77 .

سيرابيس ـ إله : 100 ،105 ،110 ،115 ،116 .

سيرابيوم ـ معبد :125 ،135 .

سيرابيون ـ وزير : 70 .

سيراقوسة = سيراكوزة ـ بلد :73 ،146 .

سيقارة ـ بلد : 141 .

سيلان ـ جزيرة : 143 .

سيمونيديس ـ شاعر : 127 .

سيمياس : 138 .

سيناء ـ بلد :67 .

سينكا ـ مؤرخ :134 .

سينوبي ـ بلد :115 .

سيوة ـ واحة : 18 ،19 .

(ش)

شار ـ آبي ـ إله :115 .

الشام ـ بلد : 15 .

شبه الجزيرة العربية ـ بلد : 75 .

شيشرون :146 .

(ص)

صقلية ـ بلد :153 .

صور ـ بلد :17 ،74 .

صوصه ـ بلد :17 .

صيدا ـ بلد : 15 .

(ط)

طاليس :14 .

طحنا ـ بلد :112 .

طراقية ـ بلد :26 .

طروادة ـ بلد :142 .

الطميلات ـ وادي :77 .

طيبة ـ بلد :18 ،43 ،85 ،87 ،103 ،108 ،106 ،108
115 ،112

(ع)

العبادي ـ مؤرخ :133 .

العراق ـ بلد :120 ،126 .

العقبة ـ خليج :75 .

عمر بن الخطاب ـ صحابي :135 .

عواد حسين ـ مؤرخ :98 ،102 .

عين شمس ـ بلد :111 .

(غ)

غاردافواي ـ بلد :75 .

غزة ـ بلد :17، 47، 82 .

(ف)

فارس = بلاد الفرس ـ بلد :13، 14، 15، 16، 17 .

فانوكليس :138 .

فرقوديس : 14 .

فريجيا ـ بلد : 26 .

فقط ـ بلد : 67، 77 .

فلسطين ـ بلد : 08، 17، 16، 15، 77، 108، 110، 111 .

الفنتين ـ جزيرة: 107 .

فوتيوس :143 .

فيثاغورث : 14، 139 .

فيلادلفيا ـ بلد : 32، 48، 51، 52، 53، 63، 89، 113 .

فيلوتيرا ـ بلد :76، 77 .

فيلوتيس :67 .

فيلون ـ جغرافي :74 .

فيليب أرهيدايوس : 23، 24، 25 .

فيليب الثاني = المقدوني ـ ملك: 16، 22، 24 .

فيليتاس :137، 1380 .

فيلينوس :52، 151 .

فينيقيا ـ بلد : 13، 15، 16، 17، 24 .

الفيوم ـ بلد :31، 32، 33، 36، 43، 48، 52، 67، 86، 108، 113، 114 .

(ق)

قاريا ـ بلد :27 .

قاينوبوليس ـ بلد :77 .

قبرص ـ بلد : 14، 15، 27، 86، 132، 148 .

قرطاجة ـ بلد :73 .

قزوين ـ بحر :74 .

قلكن ـ باحث أثري :115 .

قلمسن السكندري :142 .

قليقية ـ بلد :154 .

قمبيز ـ ملك :12، 15، 16 .

قوريني ـ بلد : 18، 19، 25، 108، 138 .

قوس ـ بلد :149 .

(ك)

كاتابانيا ـ بلد : 76 .

كاراكالا ـ إمبراطور :135 .

كاساندروس : 26، 27، 28 .

كاليماخوس البرقاوي : 125، 129، 130، 132، 137، 138 .

كاليوبي ـ إله: 121 .

كراتيس :144 .

كرنك ـ بلد :141 .

كريت ـ جزيرة :08، 09 .

كلايو ـ إله :121 .

كليوبترة الثالثة ـ ملكة : 106، 111، 112 .

كليوبترة الثانية ـ ملكة : 105، 106، 108، 111، 112 .

كليوبترة السابعة ـ ملكة : 28، 43، 134 .

كليومنيس النقراطيسي :20، 21، 25 .

كوبرنيكس ـ جغرافي فلكي :153 .

كورنمان ـ باحث أثري :83، 84 .

كوس ـ جزيرة : 27، 126، 137 .

كولوفونيس ـ بلد :138 .

كوم أمبو ـ بلد :116 .

كونون الساموسي :146، 148 .

كوينتوس قورتيوس : 20 .

الكيكلاديس ـ جزر :27 .

(ل)

لوسيماخوس : 24 ، 26 ، 27 .

لوقيا ـ بلد :27 .

لويد ـ باحث أثري :10 .

ليبانوس : 52 .

ليبيا ـ بلد :11، 25 .

ليديا ـ بلد : 11 .

ليفيوس ـ مؤرخ :134 .

ليكروفون ـ بلد :138 .

ليكوجرون الخالكيسي :128 .

ليوقس ليمن ـ بلد :77 .

ليونتوبوليس ـ بلد :108، 111 .

(م)

ماخاتاس :114 .

مارك أنطونيوس ـ ملك :134 .

مانيتون السمنودي ـ مؤرخ: 115، 126، 140، 141 .

مرسى مطروح: 19 .

مريوط ـ بحيرة :18 .

مصر ـ بلد : 08، 09، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 19، 20، 21، 22، 24، 25، 26، 27، 28

30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39
43، 46، 47، 48، 52، 54، 55، 56، 57، 58
59، 62، 63، 64، 65، 66، 67، ، 71، 73، 75، 76
77، 78، 82، 70، 72، 73، 74، 77، 78، 81، 82
83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 92، 91
93، 95، 98، 101، 103، 104، 106، 107، 108
109، 110، 111، 112، 113، 114، 117، 118
120، 121، 124، 123، 125، 126، 131، 132
136، 140، 141، 151، 152 .

معين ـ مملكة: 75 .

مقدونيا ـ بلد : 16، 23، 24، 26، 27، 28، 47، 154 .

ملبوميني ـ إله: 121 .

ممفيس ـ بلد: 20 .

منتور ـ ملك: 15 .

منف ـ بلد: 12، 13، 17، 18، 22، 45، 83، 103
104 ، 113 ، 114، 116..

منيوسوني ـ إله: 121 .

موريس ـ بحيرة: 32 .

موسخوس: 52 .

الميت ـ بحر: 75 .

ميثراس ـ إله: 113 .

ميكيني ـ بلد: 08 .

ميلياجوس: 23، 24 .

ميليتوس ـ بلد: 11 .

ميوس هرموس ـ بلد: 76 .

مينوسوني ـ إله: 121 .

(ن)

ناكاو الثاني ـ ملك: 11 .

نبت ـ بلد: 74 ، 76 .

نبوخذ نصر ـ ملك: 11 ، 107 .

نخاو ـ ملك: 12 .

نصحي ـ باحث أثري: 40 ، 60 ، 69 ، 88 ، 89
90 ، 98 ، 102، 110 .

نفرتيتي ـ ملك: 14 .

نفرتيتي الثاني ـ ملك: 14 .

نفروس ـ إله: 116 .

نقتانبو الأول ـ ملك: 14 .

نقتانبو الثاني ـ ملك: 15 .

نقراطيس ـ بلد: 11 ، 12، 17، 18، 36، 55، 56، 85 .

النوبة ـ بلد: 15 ، 67 ، 73 ، 76 .

النيل ـ وادي: 10، 13، 16، 20، 26، 31، 33، 67
73، 74، 77، 85، 104، 107، ، 111

108 . 114 .

نينوى ـ بلد : 120 .

(هـ)

هارفارد ـ جامعة: 67 .

هارويرس ـ إله: 116 .

هافوري ـ ملك: 14 .

هرمسيناكس : 138 .

هليوبوليس ـ بلد : 17 ، 140 .

الهند ـ بلد : 74 ، 76 ، 78 ، 126 ،131 .

الهندي ـ محيط : 74 ، 76 ، 143 .

هوميروس ـ شاعر : 92 ، 93 .

هيبارخوس : 155 ، 156 .

هيبس ـ معبد :12 .

هيبوكراتيس = أبقراط : 149 .

هيرؤنوبوليس ـ خليج: 76 .

هيرا الثاني ـ ملك : 73 ،146 ،147 ،148 .

هيراقلايديس : 151 .

هيراقليتوس : 14 .

هيراقليوبوليس ـ بلد :41 .

هيرباثيوس ـ إله: 116 .

هيرموبوليس ـ بلد : 108 ،112 .

هيروداس ـ شاعر : 121 ، 122 .

هيرودوت ـ مؤرخ: 10، 13 ، 32 ، 94 ، 115 .

هيروفيلوس : 123 ، 149 ، 150 ، 151 .

هيرون ـ إله: 113 .

هزيود : 128 .

هيكاتايوس الإبديري : 140 .

الهيكسوس ـ شعب: 09 .

(و)

ويل ديورانت ـ باحث أثري : 123 .

(ي)

يوتربى ـ إله: 121 .

يوديكسوس : 144 .

يورانيا ـ إله : 121 .

يوربيديس ـ شاعر: 94 ، 126، 132 .

يوفوريون : 137 .

يوليوس قيصر ـ ملك : 110 ، 133 ، 134 .

يومنيس ـ قائد عسكري: 23 .

اليونان ـ بلد : 08 ، 10 ، 11 ، 15 ، 22 ، 24 ،33، 53

82 ، 88 ، 122 ، 131 ،138 139 .

فـــهرس المحتـــــــويات

المـوضـــــــوع الـصـفـحة

.المقـــــــدمة.

.**الفصل الأول :** عوامل ظهور دولة البطالمة :

1.العلاقات بين مصر وبلاد اليونان قبل الفتح المقدوني. **08**

2.مصر في عهد الإسكندر. **16**

3 .قيام دولة البطالمة. **22**

.**الفصل الثاني :** السياسة الاقتصادية والنظام المالي للبطالمة :

1.الزراعة ونظام الأراضي: **30**

1 . 1.الزراعة. **31**

1 . 2.نظام الأراضي. **36**

2.الصناعة: **55**

2 . 1.سياسة البطالمة الصناعية. **55**

2 . 2.نظام الصناعات والحرف. **58**

3.التجارة: **68**

1.3.التجارة الداخلية. **68**

2.3.التجارة الخارجية. **71**

3.3.نظم التجارة الخارجية. **77**

.الفصل الثالث : الأوضاع الاجتماعية في مصر البطلمية :

1.الإغريق . 81

2.المصريون: 94

2 . 1.حالهم وحضارتهم. 94

2 . 2.ثوراتهم. 101

3 .اليهود . 107

4.عناصر أخرى. 112

5 .محاولة التقريب بين المصريين والإغريق(عبادة الثالوث المقدس) . 114

.الفصل الرابع : الحياة الثقافية في مصر البطلمية :

1.دار العلم والمكتبة. 120

2.مصير المكتبة. 133

3.الآداب والعلوم. 136

.الخاتمـــــــــــة. 156

.قائمة المصادر والمراجع. 161

.المـــــــــلاحق. 167

.فهرس أسماء الأعلام والأماكن والآلهة. 185

.فهـــــرس المحـــتويات. 198